العدد ٢ من السنة الثانية — المحرم سنة ١٣٦٠ — فبراير سنة ١٩٤١

مجلة الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة

قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : ديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

الموضوع

الموضوع		صفحة
من جيل الى جيل	عبد المجيد ابراهيم صالح بك	٣
مهمة المصلح الاجتماعى	أحمد لطفى السيد باشا	٨
حال تدعو الى القلق	محمد على علوبه باشا	١٢
الاصلاح الصحى فى الريف	الدكتور عبد الواحد الوكيل بك	١٥
القرية المصرية	الدكتور منصور فهمى بك	٢٥
تعاون الأهالى والحكومة	محمد السيد شاهين بك	٣٣
ثروتنا الخلقية	الأستاذ محمد توفيق دياب	٣٧
المرأة المتعلمة	السيدة هدى شعراوى	٤٢
جهد لم يطل	الأستاذ فؤاد بليبل	٥١
الخدمات الاجتماعية فى أمريكا	الدكتور تشارلس واطسن	٥٥
تغذية الفلاح	الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك	٥٩
بعض عيوبنا الاجتماعية	محمد البابلى بك	٦٤
الحرب وصناعاتنا الوطنية		٦٨
غرس الاخلاق بالمرآة	الأستاذ سلامه موسى	٧١
قيمة المشورة الفنية		٧٥
نشاط المرأة فى الخدمة الاجتماعية	السيدة زاهية مرزوق	٧٨
فى مدينة الأزهر	الأستاذ م . محمد عبد الكريم	٨١
الخرافات الشائعة		٨٧
التوجيه الثقافى فى الجامعة	الأستاذ صلاح الدين الشريف	٩١
أخلاقنا العامة		٩٩
المثليات فى حياة الشباب	الأستاذ س . م .	١٠٢
الصحافة والثقافة		١٠٥
فى بيوتنا		١٠٨
الأمراض الوبائية	وزارة الصحة	١١١
متفرقات اجتماعية		١١٥

من جيل الى جيل

تقاليد وعادات صالحة يجب احياؤها

لحضرة صاحب المعالى عبد المجيد ابراهيم صالح بك

وزير المواصلات والتموين

اعتاد شبان هـذا العصر أن ينفروا من كلمة " التقاليد " حتى أصبحوا لا يذكرونها الا فى مواضع السخرية والاستخفاف . واعتادوا أن يستنكروا القديم ويتبرموا به حتى لا يتهموا بالرجعة فى زمن التحرر والتجديد .

ولست أدرى ما قد تحدثه كلمتى هذه من الأثر فى نفوس شبابنا ، ولكنى أرجو على أى حال ألا يروا فيها نزوعا إلى القديم بخيره وشره ، ولا إنكارا للتهذيب الذى أحدثه الزمن فى كثير من عاداتنا وتقاليدنا ، فصيرها أقرب إلى مقتضيات العصر وأكثر انطباقا على ما استحدثته المدنية فى حياتنا الاجتماعية .

ومهما يكن من الأمر فالتقاليد والعادات خاضعة لمؤثرات خارجة عن إرادتنا وآرائنا . وهى كالمعانى يستبق الزمن ما طاب منها ويحمله من جيل الى جيل ، أما الخبيث فيتخلف عن موكب الزمن ولا تبقى منه إلا الذكرى يتندر بها الشيوخ والمعمرون .

على أننا مهما تشبعنا بروح عصرنا وسلكنا فى الحياة مسلكا تمليه علينا طبيعة هذا العصر، لانستطيع أن ننكر ماضينا ولا أن نقطع ما بيننا وبينه من الصلات .

فالأمم تحيا بماضيها كما تحيا بحاضرها وتستمد من ذلك الماضى مقومات لهذا الحاضر . وبعد فهل حاضرنا إلا الماضى تناولته يد الزمن بالتعديل أو بالتهذيب ؟

وإذا ذكرنا الماضى انبعثت الى أذهاننا سلسلة من العادات والتقاليد منها الزى الذى لا تسمح عودته طبيعة المدنية الحاضرة ، ومنها المضحك الذى أسدلت عليه السنون ستار النسيان ، ومنها الطيب الذى يحسن أن نبعثه وأن نجدد فيه بما لا يتنافى مع جوهره ولا مع مقتضيات هذه الأيام .

وهذا النوع من تقاليدنا وعاداتنا القديمة الصالحة التى يحسن أن نحاول إحياءها هو الذى أريد أن أتحدث عنه الآن ، ويزيدنى رغبة فى التحدث عنه وحث المواطنين على إحيائه أن آثارا كثيرة منه لا تزال باقية ، وأن بعض الأسر العريقة فى القدم لا تزال ترعى شيئا منه وتحرص عليه .

خذ مثلا زعامة الأسرة ووحدتها .

كان للأسرة ، لما كانت لنا تقاليد ، وحدة تقيها شر التفكك والتفرقة ، وكان لها كبير يطاع . ولا يخفى ما فى هذا النظام من ضمان هيبة العائلة . فقديما سئل أعرابى : "بماذا سادت قبيلتكم وأنتم أقل من غيركم عددا " فقال : " لأن لنا حكيما نطيعه فغلبنا بعدد أفرادنا حكماء . أما تلك القبائل فليس فيها من يسمع له رأى ، فهم ناس من غير آراء " .

وتذكرنى وحدة الأسرة بنظام " الدوار " فى الريف . ويؤلمنى أن أرى هذا النظام سائرا فى طريق الزوال .

فى الدوار تجتمع الأسرة تحت زعامة عميدها والكبار الموقرين من رجالها ، يتشاورون فى أمورهم ويتدبرون مشاكلهم ومشروعات مصاهراتهم ويتحسسون حال من نزلت به منهم نازلة أو حدقت به ضائقة فيدبرون الخطة ويتخيرون الوسيلة لإنقاذه ، ويقومون للضيف بواجب القرى والحفاوة ، أيا كان الزائر والمزور ، لأن المفروض أن ضيف الواحد منهم هو ضيف الجميع . وفى الدوار تقام أفراح الأسرة ومآتمها فلا يحار صاحب العرس أو المأتم فى اختيار المكان الذى يقيم فيه سرادقه أو يؤوى فيه القادمين اليه من المدن أو من القرى النائية .

أما الآن فقد تغيرت الأحوال وهجر الأعيان قراهم واستنهموا سكنى المدن ونقلوا إليها أنفس مقتنياتهم وأنخر فرشهم وأنظف خدمهم ، و بقى الدوار مهملا مهجورا يعشش فيه البوم وترتع الفيران ويكاد يحدثك عن العز السالف والمجد القديم و يشكو لك كيف انحلت الروابط وتفككت الأواصر وزالت الوحدة وتفرقت الكلمة واختلفت المشارب وتبدد شمل العائلات .

نعم إن مقتضيات الحياة الجديدة يفرض على البعض منا أن يقيم فى المدن التى تتوافر فيها ما لا يتوافر فى القرى من كليات الجامعة والمدارس الثانوية والمستشفيات وكبار الأطباء . ولكن ما ضر هذا البعض لو أنهم يحملون لمسقط رأسهم نصيبا من عنايتهم ومن أيامهم فيقضوا بها أسبوعا من الشهر أو ما تسمح به أعمالهم من أيام الشهر ؟ أليسوا ، إن فعلوا ، يستبقون شوكة الأسرة بين العشائر و يستديمون صلة مودتهم بالأهل والجيران ويجدون من حفاوة الناس بهم ولجوئهم اليهم وإكبارهم شأنهم ما لا يجدون بعضه فى المدن ؟

و يوحى الى ذهنى ذكر المآتم والأفراح تقليدا طيبا عصفت به ريح الفرنجة التى طغت على عاداتنا الكريمة فلا نكاد نسمع به أو نراه إلا قليلا . ذلك التقليد الطيب هو تلك المعاونة التى كان صاحب المأتم يلقاها من وجهاء قريته إذ كانوا ينصبون موائدهم فى دار المتوفى ويدعون اليها المعزين الوافدين من البلاد البعيدة ثم يهيئون حجرات النوم فى بيوتهم حتى اذا أقبل الليل دعوا أولئك المعزين الغرباء اليها . وهكذا يجد صاحب المأتم من أصدقائه وجيرانه فى البلدة

معاونة كريمة تخفف عنه كثيرا من الأعباء وغير قليل من النفقات . فأين هذا مما نراه اليوم إذ أصبح المأتم موتا وخراب ديار لا يتلقى فيها المحزون سوى كلمات تعزية محفوظة وعبارات مجاملة مألوفة وكلها لا تنفع ، لا تفيد ؟

حقا إن من الأسر من لا يزال يحتفظ بنظام الدوار ، ولكن وجاهته وصيفته وزعامة الأسرة فيه وسنة التعاون في الأفراح وفي المآتم وفي الديون والأزمات ، كل هذا لم يبق منه إلا آثار وذكريات . وتلك الفضائل كلها تسير اليوم في طريق الانقراض . فصار كبير الأسرة غير مطاع ولا مستشار ، وطغى زهو الشباب على ما كان سائدا من تقدير الشيوخ ، ولم يبق من الضيافة ومظاهر الكرم القديم إلا موائد يتورط العين أو العمدة في إقامتها للحكام ، وأصبح المدين من أفراد الأسرة لا يجد العون ولا القرض الحسن من عشيرته ولا من جيرته بل يهرول الى البنوك والمرابين ، وأصبح يحمل وحده أعباء عرسه ومأتمه وضيوفه . بل كثيرا ما سمعت من موظفين كبار ندبوا أعضاء لجان الانتخاب التي كان مقرها مدرسة إلزامية أو محكمة أو أي مكان غير بيت العمدة أنهم لم يجدوا مكانا يبيتون فيه ولم يدعهم أحد الى طعام فاضطروا الى شراء ما تيسر من طعام السوق أو الى الذهاب الى أقرب مدينة ليجدوا مكانا للنوم ثم عادوا آسفين على ما أصاب الكرم الريفي وتقاليد الأسر الكريمة من وهن بل من زوال .

ولعل من أحب تقاليدنا القديمة إلى نفسي ما كان متبعا في الأسر الكبيرة بالنسبة للمرأة.

وموضوع المرأة موضوع شائك يجب أن نمر عليه حذرين محترسين حتى لا تدمى أقدامنا الأشواك . ولكني أزعم أن الأسرة كانت تنظر الى المرأة فيما مضى نظرة أسمى وأعظم من نظرتنا اليها الآن .

ولقد شاع ظلما إننا كنا نحبس المرأة في سجن البيت ونحرمها الضوء والحياة ، وأننا كنا نبعدها عن متع العيش التي منحها الله ونعاملها كما لو كانت متاعا من أمتعة البيت . وهذا التصوير ظالم كل الظلم ، لأن حجاب المرأة إنما جاء نتيجة لتدليلنا إياها ورغبتنا في تيسير أسباب الرفاهية والنعيم لها . لقد أردناها لتكون ملكة وجعلنا قلوبنا مقرا لعرشها ، فكانت ترعى هذه القلوب بحنانها كما كانت ترعى البيت بعقلها وذوقها وهذه المعاملة لم تكن شائعة إلا في البيوتات الموفورة الغنى أو في البيئات الوسطى على حين لم يكن الفلاح البسيط يجد حرجا في أن تعمل امرأته وابنته في الحقل معه ، فكانت كلتاهما تخرج سافرة إذ لم يتوافر لها ولا لعائلها من أسباب الغنى ما يسمح لها بالاحتجاب والانقطاع لخدمة البيت والأولاد .

وليس من شك في أن معاملة المرأة على هذا النحو أسمى وأعظم من معاملتنا لها اليوم : لقد كانت ملكة فأنزلناها عن عرشها وصارت من الرعية .

ولكن هل من المستطاع أن نعود اليوم بالمرأة الى ما كانت عليه ؟ كلا ! وعلى ذلك فإن هذا التقليد القديم لا نستطيع إحياءه إلا إذا عدلناه وجعلناه ملائما لتطورات الأحوال.

فلتكن المرأة للبيت تديره وتسكب عليه فيضا من وقتها وحنانها ، وليكن لها من السفور ما لا يتنافى مع الخلق والدين بحيث يمكّنها من أن تتمتع بكل ما أحله لها الله . والمرأة تستطيع أن تتمتع بكل حلال دون أن تنساق من جراء الاختلاط الى مواطن الشبه ومخاطر الزلل والرجل يستطيع أن يوفر لزوجته كل المتع دون أن يشركها معه فى الجلوس الى موائد الخمر والميسر ودون أن يعرضها للمفاسد والمغريات ومتى تحقق هذا عادت الأسرة الى ما كانت عليه فى الماضى من توثق الروابط والثقة المتبادلة والترفع عن التبرج الممقوت .

وكان من تقاليد الأسر تبكير الشبان بالزواج إذ لم يكن المجال منفسحا أمامهم للتعزى عن الزواج بغيره ، ولم يكن من الصعب عليهم وجود الزوجة الصالحة فى أوساطهم . وهنا أدع للفكر أن يوازن بين هذه الحالة و بين حالة شبابنا فى هذه الأيام . وما أظن أن أحدا يشك فى أن التبكير بالزواج يستتبع حتما خلق نسل قوى . والنسل فى أمتنا ضعيف وقد جاء هذا الضعف نتيجة لتردد الشاب فى الزواج وانتهائه من هذا التردد بعد أن يكون قد جاز مرحلة الفتوة الى سن الكهولة . وما تردده إلا لأنه يرى من عيوب المجتمع ما يحمله على الإرجاء والتسويف .

ومن تقاليدنا التى نسيناها اتباع الفرد حرفة أبيه فلقد كان الرجل فيما مضى يحرص على أن يكون له من أبنائه من يخلفه فى حرفته . فكان التاجر يتمنى أن يعيش حتى يرى ابنه يحتل مكانه فى الدكان ، والصانع يودّ لو يمتد به الأجل ليدرب ابنه على صناعته حتى يحذقها كما حذقها هو ، والزارع يرجو أن يجد من أولاده من يعنى بعده بشؤون الحقل والعزبة ، والعالم يجتهد فى أن يربى ابنه تربية أزهرية حتى يظل بيت العلم مفتوحا من بعده .

ولهذا لم يكن ثمة تهافت على الوظائف الحكومية ، بل إن بعض الأسر كان يرى فى توظيف أبنائه جرحا للكرامة . وهذه مغالاة بلا شك ولكنها مغالاة ما أحوجنا إلى شىء منها اليوم .

و يقضى أن الأخذ بهذا التقليد فيه ضمان لإحياء صناعات واستبقاء متاجر وازدهار حرف وفتح بيوت وتنويع زراعات واستثمار أرض و إنماء ثروات ، وفيه إلى جانب كل ذلك إكثار من الأيدى العاملة المتحررة من قيود الوظيفة وتنمية لملكات الابتكار وفضيلة الاعتماد على النفس والاعتزاز بما ترك الآباء والأجداد .

أجل . فإنى أعرف كثيرا من الشبان خلف لهم آباؤهم ثروات ضخمة ، وكان هؤلاء الاباء يحترفون حرفا محلية تدر عليهم أرباحا وافرة كالجزارة والنجارة وأعمال المقاولات ، فلم يكد التراب يواريهم حتى تمرد أبناؤهم على حرفهم وتهافتوا على وظائف لا تكاد تقوم بأودهم

فدفعوا ثمن هذا التمرد غاليا إذ باعوا ما خلفت لهم الجزارة أو النجارة أو الصياغة أو المقاولات في سبيل التظاهر بالأناقة والرشاقة ثم لم يجدوا في الوظيفة ما يحقق أطماعهم فباعوا بخسران مبين .

ولقد كان من أظهر مزايا الجيل الماضي ، وبخاصة في الريف ، صدق عاطفة البر في قلوب الناس أو حرص الناس على الظهور في مظهر البررة المتقين ، فكان إكرام الوفادة وإكرام المثوى سنة لا يحيد عنها أصحاب البيوتات ولا متوسطو الحال . وكان الغريب والفقير وعابر السبيل يجدون المأوى والطعام ليوم أو لأيام فلا يضيق بهم صاحب الدار ولا يتبرم بهم أحد . أما الآن وقد حلت المقاهي والمشارب محل " السلاملك " القديم فأين يجد الغريب كنفا أو ملاذا ؟ وكان التغافل عن إيتاء الزكاة وبذل الصدقات في العيد عارا أي عار يتحاشاه الأغنياء خشية من الله أو خشية من ألسنة الناس ، وها قد غفل الناس عن الاحتفاظ بتلك المظاهر التي كانوا يبتغون بها وجه الله أو وجه العباد فكادت فريضة الزكاة أن تختفي دون أن يحظى اختفاؤها حتى بعبارات تنم على الأسف ويتبادلها الناس في مجالسهم .

ولم يكن البر الفني مقصورا على الإحسان وتوزيع الصدقات في المواسم والأعياد بل تعداه الى دائرة أوسع فكان إحسانا بالأعمال والمنشآت . وليس أدل على ذلك من هذه المساجد الكثيرة المبثوثة في القرى والكفور بناها أصحابها حبا للخير وزلفى الى الله . ولست أدعو قومي الى الاستزادة من المساجد والزوايا الا فيما تدعو الضرورة اليه ، فلقد وجد للاحسان صور أخرى تنطوي تحت تعبير "الخدمات الاجتماعية" وترمي الى معاونة الطبقات الفقيرة وتحسين حال الشعب ورفع مستواه جملة بدلا من معالجة بعض الحالات الفردية .

وبعد فهذه أمثلة من تقاليدنا وعاداتنا أدعو الى إحيائها وإدخال ما نراه ضروريا عليها مما يقتضيه تطور العصر . ولا يطيب لي أن أردد في هذا المقام ما قاله أحد المفكرين الفرنسيين وهو " إن في التمسك بالتقاليد ضررا يساوي الضرر الذي ينشأ عن إهمالها " ومعنى ذلك أن يذكر الشعب تقاليده ليأخذ منها ما ينفع ويدع ما لا ينفع . فتقاليد الأمم هي كرمتها ، هي كبرياؤها . هي تاريخها الذي يجب أن تحرص عليه لأنه جواز مرورها الى التقدم ، ونحن نريد لأمتنا أن تتقدم .

عبد المجيد ابراهيم صالح

مُهِمَّة المُصْلِح الإجتماعي

لحضرة صاحب السعادة العالم الجليل أحمد لطفى السيد باشا

مدير جامعة فؤاد الأول ، والعضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

٢ — اللغة :

ذكرت فى حديثى الماضى أن مهمة المصلح الاجتماعى تنحصر فى مساعدة الظواهر الاجتماعية على تطورها إلى أصلح وجه يقع عليه . واللغة من أهم الظواهر الاجتماعية ، لذلك كانت بعض موضوعنا ، ويسرنى أن أتحدث فى شأنها .

يتكلم الناس عندنا ، خواصهم وعوامهم على سواء ، بلغة عربية فى مادتها ، نابية عن العربية فى صورتها ، أهمل فيها ضبط الحركات فى بناء الكلمات ونفيت منها بتاتاً قواعد الإعراب . كذلك يتفق الخواص والعوام فى القراءة : هم يقرأون الكتب والصحف فلا يرعون ضوابط بناء الكلمات ، يقفون على كل كلمة على حدتها ، فينفون الإعراب من قراءتهم كما نفوه من أحاديثهم العادية . ثم يختلف هؤلاء وهؤلاء عندما يكتبون . فالعوام ، وهم السواد الأعظم وسوف يظلون كذلك أبداً ، يكتبون فى غالب الأمر كما يتكلمون ، وقد يشذ بعضهم أحياناً فيكتب لغة ليست بعربية فصيحة ولا عامية صريحة وأما الخواص فإنهم يكتبون عربية صحيحة ، يكتبها أقلهم بسهولة جريا على عادة ألفوها ، وأكثرهم يجدون مشقة فى كتابتها مع أنهم قد تعلموها ولكنهم لم يستعملوها كما يستعمل أهل كل لغة لغتهم فى حاجاتهم اليومية .

اذا كانت اللغة ، كما نزعم ، من أهم المقومات لشخصية الأمة ، وكانت لغتنا على ما وصفت متعددة الأشكال عند أهلها ، متفاوتة فى القوة والضعف فى مواطن استعمالها ، شأنها هين على أبنائها إلى حد أنه اذا اتفق أن راعى أحدهم قواعدها فى حديثه تخر منه سامعوه — على أن المعروف فى البلاد المتمدنة أن يسخر من المخطئ فى قواعد لغته لا من المصيب — اذا كان الأمر كذلك فماذا تكون حال هذه الشخصية القومية التى تدخل بنصيب كبير فى مقوماتها لغةٌ تلك حالها ؟ وهل نرضى أن نرى صورة شخصيتنا فى مرآة لغتنا على هذا النحو من اللون الباهت ومن التخاذل إلى حد أنه يصعب الحكم عليها بأنها شخصية محترمة لأمة كأمتنا رفيعة الجانب لها فى تاريخ الانسانية مقام محمود ؟

لغتنا من حيث هي ظاهرة اجتماعية، محل للتطور . فعلى أى وضع سيتم هذا التطور؟ الحق أننا اذا تركنا التطور وشأنه من غير أن نسعى الى تحديد مجراه فلا شك فى أنه سيقصر أثره على اللغة العامية، ويكون حظ اللغة العربية الفصحى حظ مثيلاتها من اللغات القديمة .

لغتنا الفصحى ، لغة القرآن ، ما الت هى اللغة المعترف بها والتى ما فتئنا منذ نهضتنا الحاضرة نساعد فى تطورها وتوسيع ميادين استعمالها . ولكن هل وصلنا من أمرها بتلك الجهود الى شىء كبير ؟ هل تطورت فأوفت بحاجتنا منها سواء أكانت حاجة علمية أم أدبية أم فنية، أو هى تقهقرت عما كانت فى قديم الزمان حتى ليضطر أهل البيان عندنا الى أن يتخذوا مقياسا لفصاحة اللفظ ومقياسا لبلاغة العبارة ما كتبه الأدباء منذ أكثر من ألف عام ؟ وهل أضحى تعلمها يسيرا على أبنائنا كما يكون علم كل لغة يسيرا على أبنائها ، أو أن أبناءنا يجدون فى تعلم لغتنا من المشقة ما يربى على ما يجدونه فى تعلم اللغات الأجنبية التى لا تمت الى لغتنا بصلة ما ، مع أنهم يقضون نهارهم وليلهم فى بيئات لا تتكلم الا العربية ؟ وهل يقرأ أبناؤنا ، بعد أن تعلموا لغتنا، ما تقع عليه أبصارهم من الكتب قراءة صحيحة سواء أفهموا معانيها أم لم يفهموا، أو نحن ، كما قال قاسم، نفهم أولا من أجل أن نقرأ ؟ وهل الواقع أن جمهور الشعب ومعه طبقة المتعلمين والمتعلمات يفضلون أن يشهدوا قطعة مسرحية باللغة الفصحى على شهود قطعة مسرحية باللغة العامية ؟ وهل جمهور المستمعين للغناء يحب أن يسمع قطعة من الشعر الجيد أو هو يضجر منها ويؤثر عليها الأغانى العامية ؟ وبالجملة هل نحن نجموعنا نحب حقا لغتنا كما يحب غيرنا لغته ويعتز بها كما يعتز بجنسه ووطنه ، أم هل نحن جهلناها فعاديناها ، ومن جهل شيئا عاداه ؟ .

تلقاء هذه المسائل ليس لدينا الا إحدى اثنتين : إما أن نترك اللغة وشأنها لأحكام التطور الاجتماعى فيحل لغة أخرى بالزمان محل لغة القرآن كما جرى ذلك على سائر اللغات القديمة ، وإما أن نرد اللغة العامية الى اللغة الفصحى فنستعيد بذلك شبابها وتصير أهلا للبقاء . وذلك بأن نهيئ لتطور اللغة مجرى يجرى فيه بحيث لا يضر اللغة فى جوهرها ، ونعنى بذلك المساعدة على شيوعها وجعلها لغة الحديث اليومى كما هى لغة الكتابة ولغة جميع الطبقات ، لا لغة كتابة وخطابة فحسب ؟ إن لم يفعل ذلك الحريصون على بقاء اللغة العربية وسلامتها قبل فوات الوقت خرج من أيديهم هذا الإمكان، وتطورت اللغة الى ما لا يعلم مصيره الا الله.

مهمة المصلح الاجتماعى أن يساعد تطور اللغة فى ميدانين : ميدان اللغة الفصحى فى ذاتها وميدان تسهيل تعليمها .

أما فى شأن اللغة الفصحى فإنها على ثروتها الواسعة كل السعة لم تف بعد بحاجاتنا ، لأنه ليس بها من الأسماء ما نسمى به المسميات العلمية فى نهضتنا هذه ، وليس فيها من الأسماء ما نسمى به المسميات الجارية الواقعة تحت حواسنا فى هذا العصر . فلا بد من وضع

ذلك كله ، ولا بد من اتخاذ الوسيلة لضبط معانى الألفاظ الموجودة الآن فى اللغة والى جمعها جامعو اللغة العربية أو اللهجات العربية للقبائل المتعددة على أنها لغة واحدة فكثر فيها المشترك الذى يدل على عدة معان لا قرابة بينها ، وكثر فيها ما يسمونه المترادف تدل به عدة ألفاظ على معنى واحد . وكل ذلك اذا جاز فى زمن ما فانه لا يجوز فى زماننا هذا ، ولا بد إذن من تقييد كل لفظ بمعنى خاص به . وإننا نكرر أن المشترك والمترادف لا محل لهما الان عندنا إلا عن قلة وعن طريق الشذوذ .

أما فى شأن اللغة العامية فلا بد من إحلال اللغة المعربة محلها بالزمان ، وذلك بتسهيل تعليم اللغة الفصحى وإشاعتها إشاعة تقضى بعد قليل أو كثير من الأجيال على اللغة العامية .

لقد فكرت فى هذا الموضوع منذ اثنين وأربعين عاما فلم أجد لذلك إلا وسيلة واحدة وهى إلجاء الناس إلى أن يقرأوا مايقرون من الصحف قراءة صحيحة فى بناء الكلمات وفى إعرابها ، فنشرت رأيى هذا فى مجلة الموسوعات سنة ١٨٩٨ ، وهو يتلخص فى إدخال الشكل فى بنية الكلمة حتى لايخطاه نظر القارئ . فمتى قرأ الناس صحيحا عشرات من السنين اعتادوا نطق اللغة كما كان ينطقها أهلوها الأولون ، فيسهل بذلك تعلمها وتتم بذلك وحدتها . لم أك مبتدعا رأيى هذا ابتداعا . ولكنه هو الطريقة الطبيعية لرسم أصوات الحروف كما ينطق بها . فقد روى سيبويه عن الخليل أنه يرى أن الفتحة من الألف والكسرة من الياء ، والضمة من الواو ، وعلى هذا وضع الخليل الشكل على هذه الطريقة فرسم للفتحة ألفا وللكسرة ياء راجعة وللضمة واوا . ولقد اتبعت فى رأيى طريقة الخليل ولكن بإدخال هذه الحروف اللينة فى بنية الكلمة .

أثار هذا الرأى وقتئذ جدالا بين بعض الكتاب توصلت إلى صرفهم عنه ، لأنى آنست أن الوقت لم يحن بعد للإصلاح فى اللغة بل ولا فى غيرها إصلاحا يرضى به الناس . ففضل ذلك بقليل احتج بعض الصحف على الحكومة لأنها شرعت فى إنشاء السكك الزراعية ، وبعد ذلك بقليل احتجت تلك الصحف على الحكومة لأنها فكرت فى إقامة خزان أسوان .

فلما وليت وزارة المعارف سنة ١٩٢٨ عرضت هذا الرأى على مفتشى اللغة العربية فقالوا بعدم صلاحيته ولم يعرضوا رأيا آخر يجعل من رسم الحروف وسيلة ملزمة للناس أن يقرأوا المكتوب صحيحا فهموا معناه أم لم يفهموه ، كما هو الشأن فى جميع لغات العالم .

فلما ولى صديقى الدكتور بهى الدين بركات باشا وزارة المعارف سنة ١٩٣٨ قام بحركة من هذا النوع لم يمهله وقت ولايته تلك الوزارة لاستيعابها واستخراج نتيجتها .

والآن لابد للصلح الاجتماعى من عمل شىء فى هذا السبيل .

لست متمسكا بالطريقة التى اقترحتها منذ زمان بعيد . ولكنى راض بأية طريقة أخرى تؤدى الى الغاية التى ننشدها من توحيد لغة الكتابة ولغة الكلام فى الجملة ليسهل تعليمها من ناحية وليوجد حدّ مشترك من اللغة بين المتعلمين و بين غير المتعلمين .

كان بعض أصحابنا يرى رأيا آخر يذكرونه فى المجالس الخاصة بشىء من التردّد ، وعلى استحياء يقيمون الأدلة على صلاحه . ذلك الرأى هو إلغاء الإعراب دفعة واحدة و إلزام السكون أواخر الكلمات جميعا على سواء . وهذا الرأى مطعون فيه من وجهين :

أما الأول فإنه لا يحل من المسألة إلا بعضها دون البعض الآخر . لأن ضبط حركات الحروف ليس ضروريا فى الأعراب فحسب ، بل هو أشد ضرورة فى بنية الكلمة . وهذا الضبط من جوهر اللغة ، فإذا أهملنا الإعراب وأهملنا الشكل ولم نأت بطريقة تقوم مقامه ظل الناس يلفظون الكلمات على غير وجهها الصحيح كما هم الآن يفعلون .

وأما الوجه الثانى فإن فى هذا الرأى إهدارا لصورة اللغة العربية وقضاء على أهم مميزاتها. وذلك مالا نظن أحدا يرضاه ، خصوصا متى أمكن تسهيل تعليم اللغة وشيوعها من غير الالتجاء إلى العبث بسلامتها ومميزاتها .

هذان الاعتباران أراهما من الجدّ بمكان . ولكنى مع ذلك أتوسم أن عقليات الأجيال المستقبلة لا تكاد تبالى بمثل هذه الاعتبارات . فإن اللغة ،فى نهاية الأمر ، ليست إلا أداة للتفاهم وواسطة للتعليم . ومن شأن الأداة أن تكون ميسورة الحيازة للكافة . فإذا كانت هذه الأداة من العسر بحيث يفنى المرء شبابه فى تحصيلها فمتى يحصّل ما تؤدى اليه ؟ .

من أجل الاعتبارات التى ذكرتها أرى واجبا على المصلح الاجتماعى أن يعجل بتدبير الوسائل لتسهيل تعليم اللغة الفصحى ، ولإشاعتها فى جميع طبقات القارئين ، ولجعلها وافية بحاجات الحياة ، و إلا يكون قد ألقى بسلامتها فى تطوّرها إلى أيدى المصادفات ، يجرى عليها التطور كما جرى على مثيلاتها من اللغات القديمة .

أحمد لطفى السيد

هال تدعو إلى القلق

لحضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا

ذكرت الصحف أن حاكم القاهرة العسكرى قرر فصل ثلاثة آلاف من الشبان المتطوعين للرقابة أثناء الغارات الجوية ، لأنه ثبت لديه أن بعضهم لا يقدرون سمو المسئولية التى تطوعوا لحملها وأن البعض الآخر يهملون أداء واجبهم وينصرفون الى مشاكسة الأهلين استنادا الى سلطة وظائفهم .

ولا بد أن الذين قرأوا هذا الخبر قد عراهم الأسى وتولاهم الأسف لهذه الحال التى تلجئ الحاكم العسكرى الى الاستغناء عن ثلاثة آلاف شاب لأنهم " لا يقدرون المسئولية " أو " يهملون أداء واجباتهم وينصرفون الى ... ... مشاكسة الأهلين " .

والمشاكسة هنا تعنى أشياء كثيرة . فإن هؤلاء المراقبين إنما يحتكون بالجمهور فى الليل أى فى الظلام ويتحدثون بلهجة الأمر إلى أعضاء البيت من الجنسين ، فالمشاكسة هنا تبعث الى الذهن أسوأ الظنون ، وأقل ما تدل عليه أن الشاب المشاكس قد عدم الشهامة والمروءة .

الوقت ليل والكون مظلم والمصابيح مطفأة والقلق مخيم على النفوس ، وهناك نساء وفتيات ليس لهن جلد الرجال قد استولت عليهن رعدة وهن ينتظرن من وقت لآخر سقوط قنبلة وانهيار البيت ، فإذا طارق يطرق الباب . ويحسب سكان البيت أنه قد جاء لكى يطمئن ويشجع ويهدئ . ولكنهم بدلا من ذلك يجدون الشاب المغازل المتمحك الثقيل . فأين الشهامة وأين المروءة وأين الشرف ؟

لقد ألفت محافظة القاهرة نفسها عقب دخول ايطاليا الحرب فى حاجة الى ثمانية آلاف مراقب يعاونون الناس على تحاشى المخاطر ويسعفونهم عند وقوع الكوارث ويطوفون فى الليل وقت الغارات ليمنعوا تسرب الأنوار الى خارج المنازل ولم تأنس فى شرطتها التى تحمل أعباء أخرى لصيانة الأمن العام سعة الوقت أو كفاية العدد لهذه المهمة الانسانية السامية ، فكلفت الشبان المتطوعين القيام بها وانتظرت منهم الرجولة والشهامة فلم تجدهما ، بل وجدت ذلك الشاب الذى يشتفى من خصمه باتهامه بإضاءة منزله . ووجدت ذلك الآخر الذى يتطلع ويزعم أن النور ظاهر من إحدى النوافذ لكى يدخل ويتحكك بسكانه ، ووجدت ذلك الثالث الذى يلتقى بسيدة فى الطريق فبدلا من أن يرشدها ويجدها فى الظلام يتعمد إيذاءها فى حياتها .

الحكومة تثق بالشباب وتكل اليهم مهمة كلها رجولة وشرف وشهامة ، فلا تجد من الشباب غير هذا التنكس فى الأخلاق والصغار فى السلوك والانتهاز للفرص بغية تحقيق شهوات خسيسة ، ثم تنتهى بعد التجربة بالاستغناء عن ثلاثة آلاف من ثمانيه آلاف أى ما يقرب من النصف .

وهذا السقوط الخلقي لم يذكر عن عشرات أو مئات وانما ذكر عن آلاف . والحق أن مثل هذه الحالات تدعو إلى القلق العظيم فإن شبابنا هم عدة مستقبلنا . فإذا كانت هذه العدة مختلة من الآن فكيف نعتمد عليها في السنين القادمة حين تنشد الأمة رجالها لكي يحملوا أعباءها ويؤدوا واجباتها ؟

كانت الشكوى من أخلاق الشباب تبدو من وقت لآخر على صفحات الجرائد ، ولكنا لم نكن نحسب أن مثل هذه الظروف — ظروف الظلام والخوف — يمكن أن تستغل لأعراض دنيئة . والحق أنه قد آن الأوان لأن نصارح بل نصرخ حتى يتنبه الغافلون ويعملوا للإصلاح حتى ولو تطلب الأمر سن تشريعات جديدة وتشديد العقوبات القائمة .

وقبيل الحرب حين كان الاصطياف عاما على الشواطئ كنا نسمع عن الاستهتار المتفشي ، وكان بعض شيوخنا ممن يغارون على الفضيلة يلحون في الفصل بين الجنسين على الشواطئ ، وكنا نظن فيهم المغالاة ونعتقد أن الحال لا تدعو الى كل هذا القلق . ولكن من منا الآن يظن أن الصيحات الماضية كان يخالطها أدنى غلو ؟ ألسنا نرى في هذا الخبر الذي رويته الصحف ضوءا جديدا يصب على هذا التعفن الأخلاقي بين شبابنا ويوضح لنا الخطر الذي يستهدف له مجتمعنا اذا تركنا الحبل على الغارب ولم نضع الشكيمة واللجام في موضعيهما .

هناك على الشواطئ تنشد العائلات الصحة في هواء البحر وأشعة الشمس ، بعضهم في الماء وبعض آخر على الرمال ، فاذا بشاب يحاول التقرب من الفتيات ولا يبالي الحياء ولا يكترث لنظرات الأم أو الأب . وكثيرا ما تستحيل هذه النظرات ألفاظا عنيفة من التوبيخ والتبكيت . والبحر مع سعته يضيق ببعض الشبان حتى ليتركوا مكانهم منه ويقتربوا الى حيث تستحم الفتيات ثم يكون الإغراء والإغواء الذان لا ينقطعان الا بعد تدخل أحد الوالدين . وهكذا تجرى المفاسد ويتوالى العبث ويشهر بالفتيات دون رحمة من هؤلاء الشباب الذين "لا يقدرون المسئولية الملقاة على عواتقهم" والذين "ينصرفون الى مشاكسة الأهلين" على حد قول محافظ العاصمة .

ثم نكون في القاهرة أو في الأسكندرية ونعمد الى ركوب الترام أو الأتوبيس فنجد الشبان يغتنمون فرصة الزحام ويتحككون بالسيدات أو الفتيات . وهؤلاء المسكينات عاجزات عن ردهم اذ يجدن أنفسهن بين عامل الخجل الذي يحملهن على ايثار الصمت وعامل الشرف الذي يبعثهن على صد هؤلاء الشبان باليد أو اللسان . وكان يجب على الجمهور أن يستشعر ضعف نسائنا وأن يعينهن بقمع هؤلاء الشبان كلما وجد منهم لحظة أو عدوانا . ولو أن شابا وجد من الجمهور تأديبا مرة أو مرتين لاتعظ وصلح وكف عن مشاكساته سائر حياته .

ونحن الذين جاوزنا سن الشباب نتساءل : لماذا كنا أيام شبابنا على حياء عظيم لا نكاد نجرؤ على أن نتطلع الى سيدة أو آنسة في حين لا يبالي شباب هذا العصر أن يجابهوا النساء بالكلام الفظ والإيماءة الوقحة والعبث المهين ؟

ويقال لنا فى الرد على هذا السؤال إن العالم قد تغير بعد الحرب وإن الأقيسة الأخلاقية القديمة قد تزعزعت وإن الحرية الجديدة قد جرأت الشبان على ما كنا نقف إزاءه متحفظين خاشعين . فإذا صح هذا التعليل وجب أن نندب هذا الحظ الذى وقع فيه شبابنا وان نعمد فى سرعة عاجلة الى إصلاحهم فنردهم الى حظيرة الفضيلة التى نزعوا عنها مغترين بحرية قد جنت على نفسها بالمبالغة والإسراف حتى صارت إباحية ضارة .

وليس من شك فى أن هذا التعليل يتضمن بعض الحق . فإن الاستقرار الذى سبق الحرب الكبرى قد تزعزع عقبها . والعلاقات بين الجنسين قد طرأ عليها تغيير كان بعضه حسنا ولكن بعضه أيضا كان ضارا . والاحترام بل الوقار الذى كنا ننظر به الى المرأة قد خف وزنه ونقصت قيمته . وعلينا جميعا أن نصلح هذه الحال وأن نتعقب أعراض الفساد لكى نتعرف بها الى عناصره ونعالجها .

فعندنا مثلا بعض المسرحيات التى يتفرج برؤيتها جمهور الشباب فيسمع فيها الأقوال والاراء الناشزة كما يرى الإيماءات والحركات التى تجعل عواطفه نوعا من العربدة لا يطاق، فلم لا نصلح هذه المسرحيات ؟

وعندنا أغان وقصص وأناشيد ترسلها محطة الاذاعة على أمواج الفضاء ، وهى ليست بريئة مما يفسد العقول بالنكات الفجة والألفاظ الفظة ولا مما يهيج العواطف بالإحساسات الفاجرة . فلم لا نقضى على هذه الأغانى والقصص والأناشيد ؟ .

وعندنا أيضا مجلات أسبوعية ما كان أسعدنا حين كنا نجهلها قبل الحرب الماضية ! ولكن هذه المجلات تفشت فى جونا الصحفى كأنها طفح الحمى على جسم المريض ، تسود صفحاتها بطائفة من الصور والأخبار التى تثير فى النفس التفاتات واحساسات غير بريئة . والشاب يتأملها ويتخيلها كأنها بعض حياتنا المألوفة فلا يبالى بعد ذلك أن يترسم هذا الخيال فى حياته الواقعية. وخاصة لأنه يرى الكبار يقرأون هذه المجلات التى لا يصح لشخص مهذب أن يقرأها . فلم لا نعمل بكل الوسائل على الحيلولة دون نشر هذه المجلات فى الجمهور ؟

ثم عندنا بعد ذلك القصص التى تصدر بمعدل اثنين أو ثلاث كل أسبوع وهى دعارة قلمية تفسد الأذواق والأخلاق . فلم لا نطالب الحكومة بمكافحتها كما تكافح سائر الموبقات ؟

أجل كل هذا يستحق الإصلاح . واذا كانت الحرب الكبرى قد أحدثت بعض التفكك الأخلاقى فليس فى هذا ما يمنع الإصلاح أو يدعو الى السكوت والرضى . فانه يجب على محررى صحفنا وعلى وعاظنا وعلى مؤلفى مسرحياتنا وعلى محطة الإذاعة وعلى الآباء وعلى الحكومة أن يتعاونوا جميعا على بعث الرجولة والشهامة بين شبابنا وعلى إشعارهم بأنهم رجال المستقبل إذا أردنا أن يكون لهذه الأمة مستقبل وأن يكون لهذا المستقبل رجال .

محمد على علوبه

الاصلاح الصحى فى الريف

لحضرة صاحب العزة الدكتور عبد الواحد الوكيل بك

أستاذ علم الصحة والطب الوقائى بكلية الطب

مشكلة الإصلاح فى المناطق الريفية وسكانها القرويين ، حتى فى الممالك الأوربية والأمريكية الراقية ، تعتبر المحك الحقيقى لليقظة الاجتماعية والانسانية بين الطبقات المتعلمة فى تلك الشعوب ، كما أنها تعتبر ميزان الجدارة الإدارية للحكومات .

فالطبقات المتعلمة ، أو أغلبية أفرادها على الاقل فى الوقت الحاضر ، تتكون من أبناء الريف. وهم بذلك يحملون فى أعناقهم دينا كبيرا للطبقة التى منها برزوا وعلى أكتافها ارتفعوا ذلك الدين أن يكونوا لسانها الناطق وعقلها الباحث ، وأن يظلوا طول حياتهم دعاة إصلاح وطلاب رقى وإنهاض .

أما الحكومات فإن جدارتها لا يمكن أن يكتفى فى قياسها بما تقوم به من مشروعات سهلة نسبيا ، كخدمة جزء راق من الشعب مثل سكان المدن، أو شق ترعة، أو إقامة قناطر أو تجنيد جيش فحسب ، بل إن جدارتها العظمى يجب أن تتبدى فى رفع مستوى الحياة العائلية والشخصية بين أغلبية السكان ، وهم اهل الريف .

ومع ذلك فيجب أن نعترف أن مشكلة الإصلاح الريفى سواء من الوجهة الصحية أو سواها ليست مشكلة هينة التناول ، ولا هى سريعة الحل . وذلك لعدة اسباب ، لعل أهمها أن ذلك الإصلاح هو من النوع المركب لا البسيط ، اذ يجب أن يتناول رفع المستوى الريفى من عدة جوانب ، أعنى رفع المستوى الاقتصادى والمستوى الثقافى والمستوى الصحى فى وقت واحد ، لارتباط كل منها بالآخر ارتباطا وثيقا ، وتفاعل بعضها فى البعض تفاعلا مستمرا يجعل منها تسعة مشاكل لا ثلاثا فقط . بل إنا اذا زدنا عليها ضرورة تعاون الفلاح مع سواه صارت المشاكل ستة عشر لا أربعا فحسب .

وقد ساعد على تأخر ذلك الاصلاح بمختلف نواحيه ، أن السكان الزارعين يعيشون متناثرين فى زهاء أربعة آلاف قرية وعشرين ألف عزبة ، أى لا تضمهم بقعة واحدة يسهل فيها الإصلاح دون تكرار للجهود فى تلك الألوف من الأمكنة . وأنهم أنفسهم لا يكادون يشعرون فى فقرهم وجهالتهم بفضاضة كبيرة فى أحوالهم المعيشية والصحية ، ولا يلحون فى طلب إصلاحها كما فعل مثلا المشتغلون فى مهنة الصناعة تلك المهنة التى هى أحدث فى حياة الانسان

من مهنة الزراعة ، ومع ذلك فقد نجح أبناؤها حتى بمصر فى الحصول على حقوقهم المالية والاجتماعية والصحية ، مدعمة بالقوانين واللوائح ، قبل أن يحصل على مثلها أو أقل منها أقاربهم الفلاحون ، مستفيدين فى ذلك بوجودهم متجمعين فى المدن وعلى مقربة من السلطات الحاكمة وتحت أنظارها .

واذا اعتبرنا أن العمال جديرون بمثل تلك العناية الخاصة بحكم تعرض صحتهم وحياتهم فى المصانع لأمراض وأخطار كبرى ، من اصابات وعاهات وأذى بالغبار والغازات والسموم وبحكم ميل أرباب الصناعة الى استغلال قواهم وجهودهم الى أقصى حد ، فانه يجب ألا ننسى أن الزراعة فى بلادنا الحارة بصفة خاصة ، يجب اعتبارها كذلك صناعة مؤذية ، اذ أن لها نوعا خطيرا من أمراض المهنة كالبلهارسيا ، والانكلستوما ، والملاريا ، والتعرض للعوامل الجوية الشديدة من البرد فى الشتاء ، الى ضربة الحر والشمس فى الصيف ، فضلا عن مشاكل الايجارات والأجور وغير ذلك مما يحتاج الى وقاية صحية وحماية اجتماعية .

أما تأخر الاصلاح الصحى بصفة خاصة فى الريف فيجب لمعرفة سببه الأساسى أن نحدد أولا موقف ذلك الجانب بالنسبة لسواه من عوامل المشكلة الريفية . ذلك أننا اذا أمعنا النظر لوجدنا أن أسوأ تلك العوامل وأكثرها أثرا فى الحالة الصحية هو عامل الفقر . بحيث لا ينتظر بلوغ درجة كبيرة من النجاح الصحى مع بقاء أغلبية الفلاحين فى مستواهم الاقتصادى الحالى . أى مجرد إجراء يشتغلون للحصول على الكفاف من الفوت .

ويكفى لإثبات ذلك ما نراه من أن امتلاك أى فلاح لشىء من الأرض ولو كان فدانا واحدا يرفع فى الحال مستواه الصحى ومستوى زوجته وأولاده درجات فوق مستوى حيرانه ، وذلك لتمكنه من الحصول على مقدار أكبر من تلك الضروريات الأساسية للصحة الشخصية وأهمها ثلاثة أشياء هى الغذاء الصالح ، والملبس الكافى ، والمسكن المناسب .

فالفقير ، مهما كان جاهلا ، سواء فى الريف أو الحضر ، ميال بطبيعته وغريزته لتحسين حالته الجسمانية والمعيشية ، تواق لرفع مستواه بذاته إذا تيسر له قليل المال . أما إذا بلغ من المتربة القدر الذى عليه فلاحنا اليوم فلن ينتظر لحالته الصحية تحسن ولو كان فلاحا انكليزيا أو أمريكيا ، أى فى تلك الأقطار المتمتعة بأرقى نظام صحى وأكمله .

وإذا كنا فى بلد لا يستطيع أغلب أهليه شراء نعل بقرش ونصف أو قرشين يقيهم عدوى الانكلستوما ويرفعهم عن طبقة البائسة ، بحيث يقترح البعض شراء تلك النعال وإهدائها اليهم ، ويخشى آخرون أن يبيعوا تلك النعال بعد توزيعها عليهم كما فعلوا فى الصابون الذى منح لهم فى بعض الجهات لغسل أبدانهم ، فلا يجب أن نتعب كثيرا فى وضع أصبعنا على مصدر الضرر وعلة العلل . وهو الفقر .

و إذا كانت الحكومة ومجالس المديريات والمجالس القروية تستطيع توفير سبل العلاج والوقاية الطبية لذلك الملايين ، فان هذه الخدمات مع ضرورتها لا يمكن وحدها أن تصل الى الهدف المنشود كاملا ، إذ أن خزانة هـذه الهيئات لا تستطيع أن توفر لهم جميعا تلك الضروريات الأساسية وهى الغـذاء الكافى والملبس والمسكن المناسبين التى بدونها لا يمكن فى النهاية منع المرض أو العيش فى حياة صحية أو شبه صحية .

فاذا أمكننا تخفيف أثر الفقر فى الريف بالعمل على حسن توزيع الثروة الزراعية فى المستقبل وحماية ملكية الفلاح لها بتحديد أقصى حد لما يمكن أن يتملكه منها الأغنياء ولو فى قابل الأيام فيضطرون بذلك الى استغلال أموالهم فى الشركات والمصانع والمبانى وما أشبه ذلك ، بدل استعمالها فى شراء الأراضى الزراعية ، وإذا عملنا على سرعة إصلاح الأراضى البور ، وفى مناطق أخرى من الصحراء لتوزيع تلك الأراضى على فلاحى المناطق المزدحمة ، وإذا عملنا على تحسين غلة الأرض ، وسرعة إدخال زراعات وصناعات زراعيـة جديدة ، وتعميم الجمعيات التعاونيـة وما إلى ذلك ممـا أتركه الى من هم أفضل منى بين الباحثين ، لو فعلنا ذلك لأمكننا السير حثيثا فى النهضة الصحية بأسرع ممـا كان وما ينتظر .

وهكذا إذا شئنا توزيع المسئولية الأساسية فى تأخر الأحوال الصحية فى ريف هذه البلاد وجب ألا نضعها كلها على باب وزارة الصحة ، كلا ولا كلها على باب الفلاح ذاته ، بل وبمـا كان الواجب وضع شطرها الأكبر على أبواب أخرى ، أو على باب وزرائنا ونوابنا الذين يستطيعون ، بطريقة حاسمة أو تدريجية ، تغيير نظامنا الاقتصادى وجعله أجدى على الفلاحين الفقراء عما هو الآن . وهو تغيير تم فى ممـالك عديدة أخرى . معتبرين إياه أساسا للنهضة الصحية الريفية وسواها من النهضات . أو بتعبير آخر معتبرين اياه قتلا للأفعى بدق رأسها حيث تلك الرأس هى الفقر بينما جسم الأفعى هو الجهل وذنبها المرض .

ومع ذلك فإننا يجب ألا نجلس صامتين عن تحسين الشئون الصحية الريفية ، منتظرين تحسين دخل الفلاح ، أو شموله بمثل تلك الرعاية القانونيـة التى يتمتع بها العمال الصناعيون ، فإنه من جهة يظهر أننا سننتظر طويلا الى أن يمن الله علينا بمصلح جرىء يؤدى هذه الخدمات الجلى للبلاد ، ومن جهة اخرى فإن سوء الحالة الصحية القروية ، وإن رجع أغلبه الى الفقر فإن هناك عوامل أخرى مسببة له ، كإهمال السلطات لشؤون الريف مدة طويلة ، وكتفشى الجهل والعادات السيئة بين سكانه ، وخطأ سياسة الرى والصرف القديمة ، وما أشبه ذلك مما يمكن ملافاته سريعا أو تدريجيا لرفع المستوى الصحى درجة عما هو الان .

ولتحسين الحالة الصحية فى الريف يجب أن يكون أول ما نضعه نصب أعيننا أن الفلاح فى حالته الراهنة هو شخص مثقل بأمراض عديدة ، كالبلهارسيا المصاب بها ٧٥ ٪ من

السكان ، والانكلستوما المصاب بها ٥٠ ٪ والديدان المعوية الأخرى المصاب بها ٥٠ ٪ أيضا ، والملاريا المصاب بها ١٥ ٪ من سكان الدلتا ، والرمد المصاب به ٩٠ ٪ ، والبلاغرا المصاب بها ٧ ٪ ومرض الزهرى المصاب به ٧ ٪ تضاف الى ذلك أمراض الأطفال خاصة كالإسهال وغيره وهى مما تسبب أكثر من نصف الوفيات العمومية .

ومثل هـذا المجتمع المثقل بالأمراض يحتاج منا الى نوعين من الخدمة ، أولهما اسعافه سريعا من الوجهة الطبيـة بتوفير سبل العلاج له من تلك الأمراض ، وثانيهما العمل على وقايته من تلك الأمراض .

أما النوع الأول من الخدمة الصحية الريفية ، وهو توفير سبل العلاج لهذا الفلاح المريض فهو نوع أسهل منالا من الآخر ، ومع ذلك فلا يمكننا القول إننا بلغنا فيـه درجة تذكر من النجاح . فقد سارت خطة العمل مدة طويلة ، أى منذ عهد الحكم البريطانى ، على انشاء مستشفيات عموميـة فى بنادر المديريات والمراكز لخدمة سكانها وسكان القرى التابعة لها ، فلما وجد أن الفلاح لا يلجأ الى تلك المستشفيات لبعدها عن مقر عمله ، هذا ما لم يبلغ درجة اليأس فى مرضـه ، صار تعديل تلك الخطة بابتداع مستشفيات متنقلة لمختلف الأمراض كالرمد والأمراض المتوطنة ، تضع خيامها فى جهة ما شهرا أو اثنين أو أكثر ثم ترحل الى سواها لعم خيرها المزعوم لمختلف النواحى والجهات .

ويكفى دليلا على عدم نجاح هذه السياسة العلاجية الريفية النجاح الوافى ، وعلى ضرورة العمل على تغييرها حتى تماشى حاجة البلاد ، وزيادة السكان والأمراض فيها ، أن نسبة الوفيات فى الريف لم تنخفض شيئا فى غضـون هذه السنين الطويلة ، بل تلك النسبة قد ارتفعت من متوسـط ٢٤ فى الألف فى الخمس السـنوات (١٩٢١ — ١٩٢٥) الى ٢٤,٣ فى الفترة التالية (١٩٢٦ — ١٩٣٠) ثم الى ٢٥,١ فى الألف فى المدة (١٩٣١ — ١٩٣٥) ، أى ان الحالة قد زادت سوءا فى الريف بمقدار ٥ ٪ على الأقل فى تلك الخمس عشرة سنة ، بينما أن سكان الحضر المصرى هبطت وفياتهم فى تلك الفترة ذاتها بمقدار نحو ١٠ ٪ ، كما لا يستطيع أحد القول بأن عـدد المصابين بالامراض الهامة من متوطنة وسـواها قد انخفض فى تلك الفترة الانخفاض اللائق بطب القرن العشرين .

كما أن وفيات الأطفال الرضّع فى الريف قـد ارتفعت كذلك فى تلك المدة نفسها من ١٢٩ الى ١٣٨ الى ١٥١ لكل ألف مواود أى زادت بمقدار ١٧ ٪ ، بينما أن المدن المصرية سجلت فى تلك المدة انخفاضا بمقدار ٧,٥ ٪

ولعل فى هذه الأرقام برهانا مقنعا على عدم سداد الخطة العلاجية التى لا تزال متبعة الى اليوم كتراث من المـاضى . فإنه يجب ألا ينتظر من الفلاح ، وهو فى جهله الحالى ،

واتكاله على القضاء والقدر ، مع كثرة أعماله الزراعية ، أن يرحل كيلو مترات عديدة للوصول الى الطبيب فى المستشفيات المركزية . كما يجب ألا ننتظر إلا أقل فائدة من ذلك النوع الآخر من تلك المستشفيات أى المتنقلة ، التى هى مع ذلك قليلة العدد ، والتى قد تحسن الحال بها ما أقامت فاذا رحلت عاد المرض فاحتل الأبدان والأجسام .

ومن عجب أنه مع ظهور هذه الحقائق ، ولمس السلطات المسئولة لها من سنوات عديدة ، لم تحدث الا محاولات طفيفة لاتباع أو تجربة خطط أخرى . ذلك ما جرب من انشاء مستشفيات قروية رفضها البرلمان فيما بعد لكثرة نفقات انشائها ، وعدم استكمال فائدتها . ومثل انشاء وحدات صحية شاملة ، لها برنامج جميل على الورق ولكنه غير منفذ فعلا . كما أنه يقصد بها خدمة ٣٠ ألف من السكان وهو أكثر مما يطيقه طبيب لكثرة المرضى فيهم .

كما أن السلطات لم تتعب نفسها قليلا كى تعرف ما هو متبع فى الممالك الزراعية الأجنبية الشبيهة بمصر والتى نجحت نجاحا بارزا فى رفع المستوى الصحى بين فلاحيها فى بضعة سنين .

يقال فى الأمثال إنه اذا لم يتحرك الجبل الى محمد فان محمدا يتحرك إليه . وعلى هدى هذه الحكمة يجب أن تكون سياستنا العلاجية الريفية .

فالريف المصرى ، أو أغلبيته على الأقل ، لا يمكن لسكانه الاستفادة من المنشآت أو الخدمات الموجودة فى عواصم المديريات وبنادر المراكز . ولذا يجب تقسيمه الى وحدات أو مجموعات أو مراكز جديدة تختلف كثيرا عن نظام المديريات والمراكز الكبيرة الحالى الذى ورثناه من القرن الماضى . مراكز صغيرة لا يتعدى سكانها العشرة آلاف نسمة ، ولا يزيد قطرها عن الخمسة عشر كيلو مترا ، تشبها بتلك المراكز التى انشأتها الممالك الزراعية الأخرى والتى لا يزيد سكانها عن خمسة أو ستة آلاف وقطرها عن بضعة كيلو مترات قليلة .

هذه المراكز أو الوحدات أو المجموعات القروية الصغيرة الجديدة ، يجب اعتبارها بمثابة الخلية من جسم الأمة ، وفى هذه الخلية ومنها يجب أن يبدأ الاصلاح الحقيقى لهذه البلاد ، إصلاح لا يتناول الفلاحين والفلاحات الحاليين فحسب ، بل يتناول كذلك أطفال الفلاحين أى الجيل الجديد الذى هو أمة الغد المرجو المأمول .

فاذا ما اقتنعت السلطات بضرورة هذا التقسيم الجديد للاصلاح الصحى والاجتماعى فى الريف ، متشجعة فى ذلك بنجاحه فى كثير من الأمم الزراعية الأخرى ، أمكن تدبير شؤون العلاج للفلاحين رويدا بطريقة ناجحة ومناسبة لهم . بل كذلك أمكن فى بضع عشرات من السنين ، تدبير شؤون الوقاية الصحية وكذلك ادخال الخدمات الاجتماعية والاقتصادية فى الريف عامة بطريقة أنجح وأنجع ، لا إرهاق فيها للموظفين الفنيين ، ولا لجمهور الفلاحين .

وفى كل من تلك المراكز أو المجموعات الصغيرة، يجب أن تتمثل الخدمات الفنية اللازمة للفلاح . فمن الوجهة الطبية ينشأ مركز صحى دائم يتكون من طبيب مقيم متمرن على أمراض الفلاحين الهامة، وهى لا تزيد عن عشرة أمراض، وعن شؤون الوقاية الطبية من الأمراض المعدية ، وشؤون الدعاية الصحية ، تساعده زائرة صحية لتوليد النساء ورعاية الأطفال . يجاورهما حمام صغير بسيط به خمسة أو ست فوهات رشاشة لنظافة الرجال والنساء والأطفال. وبضع أسرة لإقامة الوالدات .

ولا أقصد بالإنشاء ، أن نقيم بناء لكل تلك المراكز الصحية يتكلف الكثير من المال. وانما يكفى تأجير أية دار فى القرية، كما فعلت الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية فى قريتى المنايل وشطانوف، يمكن بقليل من المال ولو على نفقة السكان تهيئتها لتكون مركزا صحيا مناسبا للريف .

ويسهل بعد ذلك ربط هذه الوحدات الصحية بسيارات نقالة فى المستشفيات ، لنقل المحتاجين الى عمليات جراحيـة ، أو فحص طبى خاص بالأشعة أو سواها ، أو عناية خاصة فى العيادات الداخلية . كما يمكن الاكتفاء بذلك الطبيب عن انشاء مستشفيات متنقلة لعلاج الأمراض المتوطنة وكذلك الرمد مع امداده بأخصائى فى العيون مرة فى الأسبوع أو الشهر لمساعدته وارشاده .

واذا كنت أذكر لحضراتكم هذه الخطة اللازمة بصفة أساسية للخدمة العلاجية فى الريف فليس ذلك نتيجة التخيل أو التوهم ، بل لقد كان لى الحظ فى مشاهدة عشرات منها بنفسى فى ممالك مختلفة ، بل لقد كان لى الحظ فى مشاركة بعض أطبائها العمل ، وكذلك المبيت فى بعضها أثناء تجوالى .

ولا بد لى هنا من أن ألم المامة ولو موجزة بذلك الجانب الآخر العويص من المشكلة الصحية الريفية وهو مشكلة الوقاية العامة . وصعوبة الأمر فى هذا الجانب أنه يتطلب مالا وجهدا غير قليلين . فاذا كانت الوحدات أو المراكز الصحية التى سبق ذكرها تحتاج الى مال غير قليل بحيث لا يمكن تعميمها الا فى مدى عشرة أو خمسة عشره سنة، فان التحسين الصحى العام فى الريف ، سيحتاج فى اتمامه كاملا أو شبه كامل الى مدة أطول ومال أكثر . كما أنه يحتاج الى تعديل بعض المشروعات المتبعة لتحقيقه فى الوقت الحاضر وهى المشروعات التى دلت الدلائل على عقمها أو بطئها أو عدم ملاءمتها لأحوال الفلاح وعاداته .

ولنأخذ مثلا فى ذلك تلك المشاكل الرئيسية وهى إمداد الفلاحين بمياه الشرب النقية . وردم البرك والمستنقعات ومشكلة إنشاء المساكن الصحية .

أما مياه الشرب فاننا اذا استبعدنا مديرية الفيوم ، وكذلك الخمسين كيلومترا الشمالية من الدلتا ، وهى المناطق التى لا يمكن فيها استعمال الآبار لملوحة امياه الجوفية ، والتى يصعب فى بعض جهاتها الشمالية ايجاد كمية كافية من مياه النيل أيا ما عديدة لوجودها على أطراف الترع ، فاننا نجد فى الإمكان حل هذه المشكلة بصفة مؤقته على الأقل ، بل ربما كذلك بصفة دائمة ، بامداد الجهات الباقية من القطر وهى ثلاثة ارباع القرى والعزب كافة أى ما لا يقل عن ثلاثة آلاف قرية و ٥٠ ألف عزبة بمياه جيدة نقية على أهون سبيل ، وذلك بواسطة غرس آبار عميقه تتراوح نفقة كل منها ما بين ٣٠ — ٣٠٠ جنيها .

وهذه الآبار لن تكلف الدولة فى الغالب أكثر من مليون من الجنيهات ، يمكن صرفها فى غضون أربعة أو خمس سنوات ، بدلا من الانتظار سنوات لا نهاية لها حتى تتمكن الخزانة العامة من تدبير خمسة وعشرين مليونا لإنشاء تلك العمليات الكبرى المزمع تعميمها فى كافة أنحاء القطر ، والتى تتكلف كل منها ثلاثة أرباع مليون من الجنيهات ، وتحتوى على معدات فاخرة من أوروبا أو أمريكا لتنقية مياه النيل ، وما لا يقل عن خمسمائة كيلومتر من المواسير ، وعشرات الخزانات الكبرى والصغرى فوق الأرض وتحتها . بخلاف نفقات الادارة والصيانة الطائلة .

نعم ان كل مصرى فلاحا كان أو متحضرا يفضل مياه النيل لشربه كما يفضلها لرى أرضه وحيوانه . ولكنه ما دامت تلك المياه هى لسوء الحظ فى غالب الأحيان ، مياها ملوثة ، كريهة المنظر ، مليئة بالمواد المعلقة والميكروبات ، وتحتاج فى تنقيتها الى عمليات كيميائية وميكانيكية غالية الثمن والتكاليف ، فان إنشاء الآبار يجب أن يكون كما ذكرت الحل المؤقت بل ربما الدائم لهذه المشكلة الوقائية الأساسية ، كما هو متبع فعلا فى مدن كثيرة فى الوجه القبلى وكذلك فى النصف الجنوبى من الوجه البحرى ، بل كما هو متبع فى عشرات من الممالك الأخرى . ضاربين صفحا عن عسر تلك المياه أحيانا أى زيادة استهلاكها للصابون عن المياه النيلية ، وهو ما لا يقاس من ضرره بتاتا بفائدة كونها مياها نقية من الوجهة البكتريولوجية ورخيصة فى الوقت ذاته .

أما مشكلة ردم البرك والمستنقعات — ويوجد منها ما مساحته زهاء عشرة آلاف فدان ملكا للحكومة ذاتها بخلاف ما يملكه الأهالى — فقد طال الزمن ، وسيطول كذلك ، فى التخلص منها ومن رداءة منظرها ، وما تؤدى إليه من توالد البعوض والعدوى بالملاريا وأمراض أخرى ، طالما اننا نظل على طريقتنا الحالية ، أى ردم ما تملكه الحكومة على نفقتها ، والاعتماد على قانون معقد ضعيف لردم ما يملكه الأهالى بمعرفتهم . فها قد مضت خمسة عشر سنة منذ زيادة الاهتمام بالبرك والمستنقعات دون فائدة تذكر . بل إن تلك المياه الآسنة

قد زادت فى تلك المدة بين القرى وحولها بفضل التلكؤ فى تعميم مشروعات الصرف الزراعية .

ولعل أسهل السبل لحل هذه المشكلة فى سنوات قليلة هو أن توهب برك الحكومة على الأقل الى القرى أو مجالسها القروية ، مع التزام السكان أنفسهم بردمها فى سنتين أو ثلاث مستعملين فى ذلك الردم المرتفعات الكثيرة التى يراها الانسان فى شوارع القرى ، وكذلك أراضى الجبانات القديمة الكثيرة بعد جمع العظام منها ، وكذلك مستعملين الاتربة التى تنتج سنويا من تطهير الترع والمصارف ، والأتربة التى يمكن قشطها من سطح الحقول العالية ، وغير ذلك من مواد الردم الأخرى .

إن الإلزام فى ملافاة مثل هذه العيوب الصحية الكثيرة الضرر ، لا يحمل فى الحقيقة معنى التحكم والظلم والجبروت إذ أنه من جهة إلزام مؤقت غير دائم ، كما أنه إلزام له أجرته المالية . إذ ستنتفع القرى بما يجئ من بيع البرك بعد ردمها بصفتها أرضا قريبة من المساكن صالحة للبانى ، أو ما يتحصل من إيجارها كأرض زراعية . فيمكن للقرى إدخال خدمات عامة أو إقامة منشآت صحية أو تعليمية أو اجتماعية . أى أنه إلزام كله خير و بركة .

وأن لنا فيما كان متبعا من إلزام القرويين بحراسة جسور النيل أثناء فيضاناته العالية لعبرة وعظة فان تلك الطريقة ، مع مساوائها ، كانت الطريقة الوحدة لانقاذ البلاد عشرات أو مئات السنين من ذلك الخطر ، حتى أمكن رويدا الانفاق على رفع مستوى الجسور فأمكن من بضع سنين تحرير القرويين من تلك الخدمة الوطنية الشاقة التى لا يقاس بها تكليفهم بردم برك قراهم فى فترات فراغهم من الأعمال الزراعية ، ذلك الردم المفيد لهم أنفسهم من الوجهتين الصحية والمالية .

فالاصلاح الصحى ، وكذلك غيره من شؤون الاصلاح ، هو فى الحقيقة سلعة تشترى بالمال . ولا يمكن للمصلحين أن يصلوا إلى أهدافهم بقوة الحكومة أو أموالها وحدها ، بل يجب أن يتعاون معها الأهالى وخاصة أولئك الذين يراد لهم النفع والخير .

ويكفى دليلا على ذلك ما نراه فى الممالك الأوروبية التى بلغت الدرجة العظمى من التمدين والرقى ، إذ تكلف كل شخص فى الدولة أن يقوم بخدمة مجانية لوطنه فى أوقات فراغه ، فتستخدمه أحيانا فى الإجازات بعيدا عن بلده ، فى انشاء طرق أو مبان أو خدمة مرضى أو غير ذلك من الخدمات التى تعود على المجتمع عامة بالفائدة .

أما مشكلة انشاء المساكن القروية ، فيجب أن نطرح من أذهاننا إمكان حلها فى الوقت الحاضر ، وأن نروض أنفسنا على الانتظار عشرين أو ثلاثين سنة أخرى للبدء فى معالجتها

بصفة جدية ، أى انتظار ذلك الجيل الجديد من القرويين الذى سيرتفع اقتصاديا وثقافيا وصحيا فى ملك لمدة بمضل ما نأمل من ولاه الأمور ادخاله من اصلاح فى غضون ذلك الزمن.

فن الدار بالسكان ، قبل أن تكون بالحيطان . ومسئولية إقامتها موزعة إلى قسمين : قسم ارشاد ومعونة يسيره تقدمها الحكومة ، وقسم مقدرة مالية للانشاء يقع على عاتق صاحب الدار ، فاذا كان الاول ممكنا الآن فان الاخر يكاد يكون فى حيز المستحيل .

وليس فى مقدورنا اليوم الا الصبر على قرانا القذرة الرديئة المنظر ، المزدحمة بسكانها وعيو بها الصحية ، فهى ظاهرة من نتائج الفقر ، وصورة من صوره العديدة ، مكتفين فى العشرين أو الثلاثين سنة القادمة بإدخال ما يمكن من عادات النظافة المنزلية أو أى إصلاح آخر لا يكلف نفقة ينوء بها حمل ذلك الساكن الفقير .

وإنه ليحضرنى فى هذا الصدد مثل مفيد لما يمكن أن يجول فى ذهن المصلحين من الأمور التى تعتبر بسيطة فى ظاهره ، ولكنها توجد معقدة متعبة فى حلها . ففلاحنا المصرى مشهور بميله فى منزله إلى سد النوافذ ، بل تلك الكوات الصغيرة العالية المسماة نوافذ ، كما أنه مشهور بميله إلى إنشاء قرابه و إيواء حيواناته داخل الغرفة التى فيها يقيم وينام .

وقد يظن البعض أن منشأ هذه العادات الصحية السيئة هو مجرد الجهل وظلام التفكير بينما أنها فى الحقيقة ترجع إلى الفقر أكثر مما ترجع الى الجهل . ترجع الى حاجة الفلاح الى الملبس والغطاء الذى يدفئانه و يحفظانه شتاء ، كما ترجع إلى حرصه على بقاء بهيمته تحت انظاره ، وحثيته من النوافذ الكبيرة التى تحدث حرمة منزله . وتعرضه لأذى أعدائه . وهكذا اذا أردنا أن ننشىء اليوم قرى جديدة للفلاحين ، فيجب اذن ألا ننسى تموينهم معها بالملابس والبطاطين .

ان مجال الاصلاح الصحى الوقائى فى الريف لا يشمل هذه المشاكل الرئيسية وحدها أى مياه الشرب وردم البرك وانشاء المساكن الصحية . بل يشمل كذلك أمورا عديدة أخرى أقل مشمة وكلفة عنها .

ولما كان الوقت غير مؤات للتوسع فى وصفها فانى أجتزئ فى ختام كلمتى بذكر ما أراه منها أكثر أهمية وأوفى بغرض الاصلاح .

فالريف المصرى محتاج بصفة دائمة الى هيئات محلية تعنى بالشؤون الصحية البسيطة ، كتنظافه المنازل والقرى وتجميلها ، وردم البرك ، وابعاد أكوام القمامة ، ومكافحة الحرائق ، وما الى ذلك . أى أنه محتاج الى تعميم المجالس القروية ، على أن تعطى تلك المجالس حق تحصيل نسبة معينة من الضرائب للصرف على أغراضها البسيطة ، تحت اشراف وارشاد

الأطباء والمدونين الصحيين ، الذين يجب الاكثار منهم للقضاء بصفة نهائية على ذلك النظام الفاسد نظام الحلاقين الصحيين كما ستقضى الوائرات الصحيات على نظام الدايات الجاهلات المؤذيات .

وهو محتاج لتجارب عديدة يشترك فيها الأطباء والمهندسون الصحيون ، لابتداع أنواع صحيـة رخيصة من المراحيض القروية ، تمنع أخطار التبرز فى الخلاء ، ولا تحرم الفلاح فى الوقت نفسه تلك المواد الانسانية التى يعتبرها ثروة سمادية عظيمة لأرضه .

والريف محتاج كذلك الى سرعة تنفيذ مشروعات الصرف ، ليس لفائدة الزراعة فحسب ، بل كذلك لمنع تفشـوء برك جديدة ، ولتقليل تصاعد الرطوبة فى جدران المبـانى ممـا يدعو لأمراض عديدة . كما أنه محتاج الى مراجعة مشروعات الرى ، لمنع شق الترع داخل القرى أو بجوارها لمنع البرك كذلك ، ولتقليل تلويث مجارى المياه بالبول والبراز ممـا يدعو لانتشار البلهارسيا وسواها من الأمراض .

وهو محتاج لمراجعة السياسة الزراعية لحصر زراعة الارز فى المناطق الشمالية الباردة أى منعها فى المناطق الدافئة الوسطى والجنوبية ، التى يزداد فيها توالد البعوض وبالتالى انتشار الملاريا الى درجة كبيرة .

وسكان الريف محتاجون فى النهاية الى دعاية صحية رشيدة مستديمة ، مدعمة بالآيات والأحاديث والحكم والأمثال التى هى لحسن الحظ مليئة بالحض على منع تلويث المياه والنظافة ونبذ الخزعبلات والتقاليد الضارة .

دكتور
عبد الواحد الوكيل

القرية المصرية

بقلم الدكتور منصور فهمى بك

مدير دار الكتب والعضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

ما من أحد نال حظا من الذوق السليم ، وأتيح له أن يعيش فى ريف مصر وقراها إلا شعر بحاجة هذا الريف وتلك القرى الى الإصلاح .

فقد تمثل القرية — حين ترى من بعيد — كأنها ركام من النقع والعفر ينعقد على بساط محدود من السندس ليعطل نسق هذا الجمال الممدود . وكأنى بالقرية المصرية — وهى تبدو كرقعة سوداء قاتمة فى وجه هذا الفضاء الريفى الذى يسطع ضياؤه وتصفو سماؤه — كانى بها فرضت لتشوه ما ينبغى أن يكون إنعاشا للخواطر وإمتاعا للنواظر .

أما فى داخل القرية فطرقات ملتوية متربة ، لا استواء فيها ولا تعبيد ، وأخرى على جوانبها أكوام من الأسمدة والأقذار ، تطوف حولها أبابيل الذباب ، ويثار فى مفسود جوّها الغبار .

واذا ألقيت ببصرك على ما يغدو فى هذه السبل ويروح ، فكثيرا ما يقع البصر على انسان رث الثياب أغبر الوجه أصفر اللون أرمد العين أو على حيوان مستأنس يترغ على كومة كأنه يشاطر القرية أو تشاطره بعض ما يلازمها من السوء أو على أطفال يلعبون فى القفر ويعبثون فى الاقذار .

واذا أشعت النظر فى جوانب هذه الطرقات فثم بيوت من اللبن الأخضر أو الأحمر منطمنة ضيقة النوافذ ، مكفهرة اللون ، خالية من المتاع إلا من بعض جرار للماء الكدر ، وأدوات أولية للعجين والخبز والطبخ ، وأردية لسيئ الغطاء وسيئ الوطاء ، وهناك يحوم بعض الدواجن حول الآدميين القابعين فى أعقار هذه الدور المشكلة فى أحط الأوضاع وأبشع الصور .

واذا أردت أن تتبين ما قد يتاخم هذه القرية ، فثم البرك والمستنقعات ، أو المقابر عفى على بعضها الزمن فانفرت رموسها ، وربما تبعثرت منها بقية من عظام . وقد تمر على دهن المارء — وهو فى قرية من قرى مصر — ذكريات الماضين وخيال الأولين ، فيلوح له أنه فى عالم تولى من آلاف السنين . لأن القرية المصرية ظلت الى اليوم كأنها هى قرية

الفابرين ، لا تتغير ولا تتبـدل إلا الى الأسوأ ، والا فى القليل الذى لا ترتفع به سمعتها ، ولا تتهذب به صورتها .

ثم قد تطوف بذاكرة المرء صورة لبعض قرى البلاد الغربية التى عرفت فيها نظافة المبانى ، و بشاشة الوجوه ، و يسر الأهلين ، وتذليل أسباب العيش لهنيء ، فتأخذه الرعدة شفقة وجزعا ، و يستعيذ بالله من وهدة تتردى فيها قرى مصر ، و يكاد يستولى اليأس على نفسه عند ما تتجسم له كثرة النواحى المفتقرة الى الاصلاح ، و يصيح من وطأة اليأس قائلا يا لهول طريق هذا الاصلاح ، و يا لوعورته وعسره !

حقا قد يتعذر على المرء أن يتصور استحالة القذارة الضاربة الممضة إلى نظافة تشتهاها النفس و يرضاها الذوق السليم ، وأن يأمل فى تحول هذا الركام المتلاحق من المساكن الخانقة ، لينتشر بيوتا منتظمة ، يطيب للآدمى فيها الثواء ، وأن يرجو صيرورة هذه الوجوه القاتمة المغبرة المكفهرة ، وتلك الجسوم الهزيلة المتراخيـة ، إلى وجوه نضرة مستبشرة ، وأعواد صلبة زاهية ، وأن يرى تطور هذه الطرقات المعوجة إلى طرقات لا يتعثر فيها السائرون ، ولا يرتطم فيها العابرون . وأن يجد التواصل والتناسق بين صفاء تلك السماء ، ونضرة تلك الخضراء ، ووداعة تلك النفوس المؤمنة القانعة ، و بين هـذه القرى التى تضم فى جنباتها الحزينة من يستمتعون بهذا الصفاء ويسرحون فى هـذه الخضراء و يتنسمون أجواء هـذا الوادى السخى الجميل .

وإنه لمن المؤلم الممض أن يعيش المرء تحت سماء مصر الخالدة ، وفى عصر يزهو بمدنيته وحضارته ، و يشعر أن نحو أربعة آلاف قرية ونحو ثلاثة أضعاف هذا العدد من الدساكر والمحلات وكلها ينتظمها وادى النيل المبارك الميمون على نحو ما قدمت ووصفت .

لقد لفتت القرية المصرية وشأن الفلاح نظر الكثيرين من العلماء والكتاب من أجانب ومصريين . فوجهوا البحوث فى شتى النواحى من تاريخية ، وجغرافية ، وهندسية ، وعمارية ، وأدبية ، واقتصادية ، وأخلاقية ، وما إلى ذلك ، نذكر من هؤلاء الباحثين على سبيل المثال ماريت ، ورانجلمان ، وآرتن ، والأمير طوسون ، و بوهن ، وديمانجون ، والأب عيروط ، وويلكوكس ، وموصيرى ، وكريم ، وهيكل ، وحسن الهلباوى ، ورشاد ، وغلاب ، وغيرهم .

ومع ذلك فإنه بالرغم مما جهر به الكاتبون لإيقاظ هذه القرية من سباتها فإنها مازالت على حالها من البؤس والبلاء .

قد يغتبط المصريون لوصول طلائع الإصلاح والتقـدم التى بدأت سيرها قبيل بداية هذا القرن إلى شتى نواحى البلاد من سياسية ، وعلمية ، واقتصادية ، وصناعية ، وصحية ،

وقضائية، وزراعية ، وتعاونية ، ورياضية . وكل أولئك متصل بخير الفلاح من قريب أو بعيد .

لكن القرية نفسها — التي هي مثوى هذا الفلاح الممثل لكثرة المصريين — مازالت تحار بمر الشكوى مما هي عليه من سوء حظها رغم ما سن من القواعد لمجالس بلدية ومجالس قروية من سنة ١٩٠٩ أو سنة ١٩١٨ ورغم ما أنشئ من المزب والقرى النموذجية التي كأنها قطرة عذبة في بحر أجاج .

وقد يعجب الباحث فيسائل نفسه : لم تقدمت في مصر شتى النواحي الاجتماعية وخلفت وراءها القرية ممعنة في هذا التأخر الملموس؟ وعندئذ يأنس المرء لاستعراض الأسباب المالية والجغرافية والاقتصادية التي أثرت في تصوير القرية وعملت على تأخرها . وقد يلوح له أن يفسر تجمع البيوت وتكدسها في القرى بأنه كان نتيجة لمقاومة المعتدين حين كان الأمن مختلا والسلام مضيعا . وربما يجد أن العلة في ذلك ترجع لتأثير الري حين كان يعم الأرض في مسافات شاسعة ويبقى بها الماء زمنا طويلا، وربما أتى على البناء . وربما يبدو للباحث أن انحطاط القرية كان نتيجة طبيعية لضعف ثقافة الناس وانحطاط مستوى ذوقهم العام .

على أنه إذا كان من أسباب انحطاط القرية المصرية هذه العوامل شتى أو جميعا فحسبي أن أكبر العوامل أثرا وأبقها خطرا هو ضعف الإرادة الإصلاحية واسترخاء عزيمة من يعنيهم هذا الاصلاح .

من الحق أن العوامل المحلية وشؤون المحيط، لها أثرها الفعال في حال القرية، لكن ليس من الحق أن يتخذ من أثر الطبيعة تكأة لتخدير الهمم الإصلاحية حين يزعم الزاعمون أن القرية المصرية ظاهرة اجتماعية لا بد أن تخضع حتما في صورتها لعناصر المحيط الطبيعي وسلطان البيئة ، فهي ولدة من تراب مصر ومائها وجهل الفلاح وفقره وقنوعه وعاداته . فحقيق عليها أن تتأثر بما نشأت عنه من تراب وجهل وفقر وقنوع، لكن قد تناسى هؤلاء الزاعمون أنه متى كانت عزيمة الإنسان كبيرة ونزعاته سامية وعقله المدبر قويا فإن عوامل الطبيعة لا تلبث أن تخضع ويضعف أثرها أمام مضاء العزم وقوة الفهم وعظمة الهمة والنزوع الى المثل الأعلى .

لقد كان "محمد علي الكبير" من ذوي العزائم الاصلاحية القوية، لكن عزيمته كانت مطبوعة بطابع الجندية ، فكانت المصانع والمنشآت والمدارس والمعاهد العلمية التي أنشأها وأرسى قواعدها ودعم بناءها ، تتناسق وتتعاون جميعا لخدمة القوى الحربية . فلو أن حركة اصلاحية انبعثت من عزيمة مشبوبة كعزيمة محمد علي واتجهت نحو القرية المصرية في صدق وثبات لخصص أضخم رصيد في ميزانية الدولة لإصلاح القرية والفلاح ، ولوجه أظهر تشريع

لما فيه خير الفلاح وسلامه ، و جادت بحوث العلماء و إلهامات الأدباء فى سبيل القرية ، وسخرت أنواع الفنون تسخيرا لما فيه نفعها وترقيها . و على الجملة لتضافرت جميع القوى لتستحيل قوة متحدة ماحة فى إخراج الفلاح من الظلمات الى النور ولتصبح كلها فى لحن واحد متناسق . . " ريف مصر وقرية مصر وفلاح مصر " .

فضعف العزيمة الإصلاحية إذن هو السبب الأول فى وحدة القرية المصرية . أما السبب الثانى فهو الخطأ فى التصميمات التى رسمت لإصلاح القرى . ومن مظاهر هذا الخطأ أن الذين رسموا السبل لهذا الاصلاح لم يصيبوا التوفيق المرتجى برغم غيرتهم المشكورة . فالذين نشأوا المستشفيات المتنقلة لعلاج بعض الأمراض المتوطنة قد يبرئون بعض المرضى لوقت قصير ثم لا يلبث المرض أن يعاود الفلاح لعودته الى أسلوب الحياة الذى جرائيه مرضه وسقامه. فكأن المصلحين يقدمون العلاج و يغفلون الوقاية .

وكذلك سنت قواعد وقوانين لردم البرك والمستنقعات ، على أنه أغفل فى الحساب تيسير الوسائل لردم هذه البرك والمستنقعات ، فما زالت أكثر القرى تحيط بها البرك بل وتغلق فيها خلقا وظلت القوانين واللوائح المسنونة معطلة لعسر التطبيق و إهمال الوقاية .

شهدت فى يوم من الأيام طبيبا من أطباء وزارة الصحة يفد بموكبه وعربته المتنقلة وأشرطته المتحركة فيعظ أهل القرية و يعرض عليهم فى ساحة من ساحاتها بعض ما تمثله الصور من انتقال الأمراض وتطورها . فكانت مظاهرة لطيفة تسلى فيها النساء والأطفال ، وتذوق منها الشيوخ الكلام المعسول ، و بعدئذ انطلق كل من السامعين الى شأنه ومضى لسبيله ليعود فى حياته الصحية سيرته الأولى .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وحضرت فى ذات يوم من الأيام مجلسا ضم سراة القرية وأخذ أحد الأطباء يقيم لهم الحجة بعد الحجة ، ويدلل لهم على فصل جعل الأسمدة والمتخلفات المنزلية والأحطاب بمأى عن البيوت . وكان جميع السامعين يظهرون استحسانهم لقوله و يؤمنون عليه كأنهم قد استجابوا من فورهم لدعوته ، لكن لم تنقل الأقدار من مكانها ولم تتغير مواضع الأحطاب .

فالوسائل التى جادت بها قرائح الغيورين على الاصلاح غير موصلة إذن للغاية المنشودة فلا نصح الناصحين ، ولا وعظ الواعظين ، ولا مكافحة الأمراض المتوطنة على نحو ما تكافح به ، تبلغنا ما نرجو لريف مصر من سمو المكانة .

وعندى أن العلاج الحاسم انما يكون مرجعه السلطان والقهر والتضحية ؛ فلو كان هذا الطبيب الذى جمع شيوخ القرية ليخيل لهم النصح يملك أن يحملهم بسلطانه على ما يريد

لهم من خير وكان وراءه من النظم التشريعية والتنفيذية ما يجعل إرادته ماضية ومشيئته نافذة لاختصر الزمن ووصل الى النتائج المرجوة من أقرب السبل وأدناها الى الغاية .

ولو كان هذا الطبيب الذى استقبل الفلاح فى المستشفى المتنقل لخصه من مرضه حينا من الدهر يملك الأسباب ليضرب الضرائب و يفرض الفروض للوقاية من عودة المرض الى الفلاح لما رأينا المصابين بالبلهارسيا يشفون منها لمدة لا تتجاوز مدة تمريضهم إلا قليلا .

وإنها لكثيرة تلك النقائص وتلك الأمور التى يصح أن تضرب الضرائب من أجل محوها أو تحسينها ، وإنها لعديدة تلك الحالات الحقيقية التى يجوز أن تفرض على سواد الناس ليزاولوها أو يجتنبوها . فأفقر الفلاحين قد يبدد من ماله فى المكيفات والتدخين مالو اشترى بثمنه حذاء من المطاط أو الجلد الأصم لوقى نفسه شر كثير من الأمراض . وقد ينفق بعض الملاك من مالهم فى مظاهر الرفه والابهة ما لو أنفقوه فى أدوات الحياة الضرورية لعامليهم الفلاح لأفادوا واستفادوا . ولكن لا وازع اليوم من النفوس والضمائر ولا وازع من القوانين والشرائع ولا سلطان للحاكمين .

ولو أن الحكومة تسخر الناس وتشغل المتعطلين فى فترة من فترات العام التى يسكن فيها نشاط الأعمال الزراعية لتصلح القرى بشق المنافذ وتعبيد الطرق وردم المستنقعات ونزع الملكيات العابثة المعطلة للإصلاح وغرس الأشجار وتهذيب الشكل لما اشتكى حارس خزانة الدولة من ضخامة تكاليف الإصلاح حين يقدرها المقدرون بما ينيف على الثلاثين مليونا من الجنيهات .

قد يقولون : " إنه قد فات زمن مثل هذه السياسة الإصلاحية القاهرة التى تحد من الحريات ولا تتمشى مع الديموقراطيات . لكن ما العمل اذا كانت الحريات تستخدم استخداما خاطئا لا يرضاه الله ولا يقره الذوق السليم ولا يساير حاجة الحياة من التحسين والتجويد والكمال ؟

ان القوانين الحازمة الصريحة من أنجع الوسائل التى تربى الشعوب فى أخلاقها وذوقها . وفى الحديث " إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن " أيباح أن تحيا الحريات الباطلة و يموت الذوق السليم ؟ أيباح أن يحيا العدل فى الحياة و يقبر الحسن والجمال ؟ كلا فما كان ذلك من الخير وما كان ذلك من الحق والانصاف .

ان الشعوب كثيرا ماتتربى كما يتربى الطفل حين يستخدم فى تربيته وتنشئته كلا الترغيب والترهيب ، والمزح والتأديب .

ولقد روى أنه شكى إلى أبى بكر بعض عماله ليقتص منه فلم يقبل أن يؤاخذ عامله ، وقال رضى الله عنه مستنكرا : " أأنا أقيد من وزعة الله " ؟

و بينما كان أبو بكر يبيح لوكيل الحاكم أن يأخذ الناس بالسلطان فى سبيل الخير ، نجد أن حكامنا الإداريين يتحرجون أن يستخدموا الحزم فى هذا السبيل خشية أن يتعرضوا للؤاخذة والجزاء و بطش القانون والقضاء ، مع إيمان هؤلاء الحكام بأن فى الريف نواحى شتى يتيسر لهم إصلاحها لو منحهم القانون شيئا من حق الزجر والإرهاب والحد من طغيان الحريات الآثمة .

لقد نرى مع الأسف أن رجال القضاء لا يحسنون الظن بعدالة الحكام الإداريين ، ونراهم يضجون اذا هم ظفروا بالسعة فى النفوذ والسلطان. وأن الحكام لا يحسنون الظن بالقوانين والنظم المقلدة كأداة للإصلاح فى القرى ، وأننا حين نشهد تجاذب الطرفين نميل الى أن نقرر أن فى كل من القانون والحاكمين نقصا ينبغى أن يكمل . ولعل نقص القانون كان من أن أكثر مواده مستنبطة من روح الحياة الغربية وتقاليدها وثقافتها مع ما بيننا و بين الغربيين من فوارق ذاتية ومعيشية. أما نقص الهيئة الحاكمة فربما كان مرده الى عدم العناية والاحتياط فى اختيار بعض الحاكمين .

ونظرا الى ضعف الأداة الحاكمة والقانون ، يرجح بعض المفكرين جانب المدرسة والتعليم كوسيلة أساسية يجب تقديمها على غيرها من وسائل الإصلاح المنشود . وليس من ينكر قيمة المدرسة فى ذلك الإصلاح لولا أن التعليم وحده لا يحدث إلا أثرا بطيئا قد يظل به الريف طويلا على ما هو فيه من تعاسة وانحطاط . فطالما أدرك الفلاح عن سبيل العلم وتلقن عن طريق الدين أن النظافة من الإيمان ، وأن الباقيات الصالحات خير ، وأن الله جميل يحب الجمال . ومع ذلك ظل يتردى فى مهاوى القذارة ، وظلت القرية بمعزل عن الحسن نافرة من معانى الجمال . ذلك بأن الناس ، مذ كانوا ، يعلمون الخير و يعملون الشر ، وقد يعرفون طريق الجنة لكنهم يسيرون فى طريق أهل الجحيم. فلا سبيل للخير إلا بممارسة الخير واعتياده. ولا سبيل لدفع الشعوب المتأخرة الى الخير إلا عن طريق التنظيم القاهر المسيطر المتشكل فى صور القوانين والقواعد النافذة .

ومن المفكرين من يترجح عندهم أثر الحياة الاقتصادية على كل أثر ، فيجدون أن الاصلاح المرتجى لريف مصر وقراها قد لا ينال إلا إذا حسنت أحوال الفلاح الاقتصادية فزاد كسبه وكثر دخله . و إنى لا أنكر قيمة الثروة وزيادة الكسب كعامل من أهم عوامل الترقى والتقدم لكننى لا أقترى على الحق شيئا حين أزعم أن قرى كثيرة لا ينقصها الرخاء ولا يعوز أهلها

الثراء ومع ذلك ظلت فى كبوتها وانحطاطها . ذلك بأن الثروة والرخاء لا يستلزمان حتما سمو الذوق وسلامة الطبع . وليس الفقر والمتربة بمبعدين صاحبهما لزاما عن حسن الذوق وتوخى الجمال، فقد ذكر لنا التاريخ وانبأنا المشاهدة أن شعوبا أعوزها المال والرخاء دون أن يعوزها ذوق الجمال . فما كان الفلاح فى اليونان القديمة ثريا ولكنه كان غنيا فى تذوق الجمال .

وليس بعار أن يضيع غنى الغنى ولكن عار أن يضيع التجمل، وكم من زهرة باسمة نبتت عفوا ولكنها تعين على تذوق الجمال من يهمه تذوق الجمال . وكم من مجرى ماء يعين على الطهر والنظافة من يعنيه أن يتطهر و يتنظف .

و إنى حين استعيد تاريخ الصبا وذكريات الماضى قد أجد فيهما ما يقوى عقيدتى فى أن الفقر لا يحول بين الانسان و بين العيش المبرأ من مظاهر القبح والضعة ، فقد نشأت النشأة الأولى فى قرية صغيرة على فرع من فرعى النيل ، وليس حظها من الانحطاط ونصيبها من القذارة وسهمها من الحاجة الى التنسيق دون شبيهاتها من قرى مصر . لكن شاء القضاء من نحو أربعين عاما أن يرسل الى هذه الناحية قرويا لبنانيا وزوجته فاستأجرا على مقربة من القرية مساحة تبلغ خمسة أفدنة كانت لبعض أهلى على الشاطئ ، وأقاما فى جزء منها كوخا من اللبن والقاب والطين ، وقسماه غرفتين لمتاعهما القليل من مراتب وذرابى وأغطية ، ونصبا عند مدخله بعض فروع الشجر وشكلاها لتصير سقيفة تسلقت عليها كروم تظل مصطبة من الآجر . وعند هذه السقيفة وعلى مسافة أذرع منه قد نثر الورد والريحان ، ووراء هذا الكوخ سياج من القصب والحطب وحواجز أخرى أعدت لقرة حلوب ولبعض الدواجن ولأدوات الخبز والطبخ ومكان الغسل والتطهير، وكان أغنياء القرية وسراتها يحدون لعيونهم ولصدورهم عند هذا الكوخ النظيف المنظم متعة وانشراحا فيذهبون من وقت لآخر ليريحوا النفس من غمة قريتهم ومساكنهم المتغلغلة فى محيط من الأقذار .

ولقد عاد رب الكوخ وربته لبلادهما فى شيخوختهما المباركة وعفت السنون وغيّر الأيام على آثار هذا الكوخ . ولكنى كلما ذهبت إلى القرية وسرت هناك على شاطئ النيل نظرت إلى حيث كان كوخ الشيخة وردة وزوجها الشيخ أنطون ، وعاودتنى بعض ذكريات الصبا وخيال الماضى ، وتمنيت لفلاحاتنا وفلاحينا لو هيأوا أكواخهم ونظموها كما فعل الشحنان "وردة وأنطون" فلقد كانا دون أكثر الفلاحين ثروة ، لكنهما كانا من الذوق أغنى وأرق من الكثيرين من أعيان القرى .

إذن ، ليس الفقر وحده هو الذى رتب بؤس القرية وهبوطها فيما تتردى فيه ، فإذا أراد المصلح الاجتماعى أن يتمثل عناصر المرض التى هيأت بضعة القرية المصرية فليعلم أنها مزيج

من ضعف العزيمة العامة فى الإصلاح وعدم تناسق المشروعات، والبطء المزمن فى إجراءات الأداة الحكومية ، ومحاكاة القوانين التى لا تلائمنا، وفى اعتلال ذوق الفلاح واختلال صحته، وانحطاط ثقافته . وفى فقر الحياة الاقتصادية للتنظيم وفيما هو متصل بكل أولئك .

وإذا أراد ذلك المصلح الاجتماعى أن يشير بالعلاج فى حالة القرية فلن يبدو له العلاج إلا مزيجا أهم عناصره القوانين الزاجرة ، والنظم القاهرة ، والاجراءات السريعة الشبيهة بإجراءات الأحكام العرفية ، وفرض الضرائب وتسخير كل القوى التى يجب تسخيرها لإنقاذ القرية وتقديم ذلك على كل ما سواه .

فلو أن وزارة الشئون الاجتماعية أتيح لها أن تقوم بتشريعات جريئة قاهرة سريعة التنفيذ وتسن تنظيمات مسيطرة تتأكد بها معانى السلطان لأدركنا ثمرات من جهودها فى بعض السنين .

ولست أرمى من وراء ذلك إلى أن أغمط الوزارة مجهودها فى نشر الدعاية وإعداد المحاضرات وتهيئة وسائل الإرشاد . إنما مازلت أعتقد "أن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن".

فى مصر الحديثة من يؤمنون أن كل جهد صالح فى سبيلها مهما كانت وجهته ومهما تنوعت صبغته لا يبوئها المكان الجدير بها بين الأمم مالم ينصلح حال قراها وفلاحيها وهم يبلغون ثلاثة عشر مليونا .

ونحن الآن نعيش فى عصر السرعة والسير الحثيث العاجل لصالح الجماعات . وهل لأبناء مصر وقد منحهم الله ذلك الوادى الجميل المزود بكل الخيرات أن يشكروا ربهم على ما آتاهم ، وأن تكون آية شكرهم العمل على تجميل بلادهم وصيانة هذه الزبرجدة الخضراء من وصمات القبح والتشويه .

هل لقوانين مصر، وأموال مصر، وجهود المصريين، وقلوب المصريين، أن تنصرف متعاونة لإصلاح القرى لتجعل حياة مصر الاجتماعية الواسعة فوق كل حياة ، ومجدها قبل كل مجد سواه ؟ !

هيهات ، هيهات أن يدركنا النصب فيما نؤمن به وندعو إليه !

منصور فهمى

تعاون الأهالي والحكومة

فى تخفيف وطأة الضرورات الحاضرة

لحضرة صاحب العزة محمد السيد شاهين بك

محافظ مدينة القاهرة

" فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر الماضى ، وبدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية ، تفضل حضرة صاحب العزة السيد شاهين بك محافظ مدينة القاهرة وحاكمها العسكرى ، فألقى هذه المحاضرة القيمة من محطة الإذاعة اللاسلكية ، ونحن ننشرها بنصها راجين أن ينتفع الجمهور بما تضمنته من النصائح والإرشادات "

المحرر

مواطنى الأعزاء :

أتحدث اليوم الى حضراتكم فى أحد الشؤون العامة المرتبطة بالمصلحة العليا للبلاد . وأى حديث أحرى بالعناية وأولى بالاهتمام من استعراض موجز لما تنشده مصر من أبنائها فى محنة عالمية شقيت فيها الانسانية وأصاب العالم من البلاء ما أهلك الحرث والنسل وعرق اللحم وهاض العظم .

فى هذه الأزمة العصيبة تعتمد الدول على سواعد رجالها ومؤازرة نسائها وتضامن بنيها . عندئذ تتحلل الشعوب من آفاتها وتسودها مثل عليا من الوحدة والإخلاص والبذل والتضحية.

إن جهود الحكومات محدودة الأثر ولا بد أن يعتورها القصور كلما نزلت بها الكوارث وتوالت عليها المحن . انما نجاة الوطن منوطة بأهله . فبين صفوف الشعوب حوافز دافعة تصد الغوائل ، وعزيمة واقية تصمد للويلات وتعاون صادق يخطو الى الظفر ويقفز الى النجاح

وفى هذه الظروف المكفهرة تتطلع مصر الى أبنائها حكومة وشعبا . ولقد أدركت الحكومة واجباتها منذ الساعة الأولى فاستعدت لطوارئ ما وسعها الجهد وباتت تنتظر معونة الأفراد .

لقد تطورت سياسة الحروب ، فتحولت من النضال بين الجيوش الى الهجوم على المدن والسكان الآمنين ، ولم يعد الكفاح مقصورا على الرجال ، بل تعداه الى النساء والأطفال ، واذا بالدعاية أفتك سلاحا وخور العزائم مدعاة لانهيار الشعوب .

أمام هذه التطورات ، تتضاعف واجبات الأفراد ، وتتنوع تكاليفهم ، وتتعدد وجوه معاونتهم للدولة .

وفى ساعة الحرج يتجرد الفرد من أنانيته، ويحد من حريته، وينسى نفسه ليذكر وطنه.

انشروا هذه المبادئ بين جموعكم، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

لقد رأيتم كيف واجه الشعب الانكليزى ساعة الحرج فخوّل الحكومة سلطات واسعة نزل فيها عن ثروته وحريته، وكتب لنفسه مجداً خالداً سوف يبقى على الدهر ما بقى الدهر.

فانسجوا على هذا المنوال الكريم، وبادروا الى تزويد الوطن بحوائجه، وسارعوا الى سد كل نقص فيه، واذكروا أن لمصر تراثاً أقدس من أن يفرط فيه.

ما زالت مصر بعيدة عن ويلات الحرب وإن استهدفت لغارات جوية قليلة أصابت مع الأسف بعض الأهداف المدنية فدمرت المنازل وخربت المساكن وأودت بحياة بعض الآمنين.

وإنه لمن دواعى الفخر الجدير بتقاليد المصريين أن هذه الحوادث على قسوتها وإيلامها قد بددت الغشاوة وشحذت الهمم ووثقت عروة التضامن بين الأهلين.

وأتاحت للحكومة الفرصة فى تعزيز وسائل الوقاية وتعميم إنشاء المخابئ فى جميع الأحياء وخاصة المزدحمة بالسكان من العمال والفقراء.

إن الحكومة تقدر مصريتها موقنة تمام اليقين أن وقاية الأهلين من أول واجباتها، ولكنها إزاء تعدد المشروعات وتضخم التكاليف تقصر إنشاء المخابئ على الفقراء والمعوزين وكذلك عابرى الطريق الذين تداهمهم الغارة فى طريقهم إلى منازلهم.

أما الأغنياء وذوو المقدرة فتقف الحكومة حيالهم عند مجرد الإرشاد والتوجيه معتمدة على مواردهم الخاصة فى إنشاء المخابئ اللازمة لوقايتهم، لذلك أصدرت الحكومة القوانين والأوامر الكفيلة بإلزام الملاك بإنشاء مخابئ خاصة فى منازلهم ودورهم على نمط ميسور بسيط التكاليف.

ولو أن هذه المخابئ قد اقتصر نفعها على حالة الطوارئ والاستعداد للوقاية من الفتك والهلاك لكان نفعها أعلى من أن يقوم بمال، ولكنها متعددة المنافع أيضاً فى وقت السلم إذ يمكن استغلالها فى مختلف أعمال المخازن والمستودعات.

كذلك عنيت الحكومة بتنظيم خدمات المتطوعات والمتطوعين (المدربين) على أعمال الوقاية والإسعاف وتوفر لديها عدد كبير يركن اليه فى الملمات، ويرجى ألا يقعد من تتوافر فيه الأهلية والدراية عن المساهمة فى هذا الواجب القومى.

وإنه لفضل مشكور تسجله الحكومة لرجال البوليس الخاص الذين طرقوا باب التطوع أنهم أكبر عون للبوليس النظامى فى الاضطلاع بمختلف الواجبات عند الطوارئ.

إن نظام التطوّع مستحدث فى مصر . ألم تر كيف كان مقصورا الى أمد قريب على جماعة الإسعاف الذين خطوا لأنفسهم صفحة ذهبية تحنى لها الرءوس إجلالا .

لم يعرف التطوع فى غير هذا المرفق من المرافق الإنسانية، ولقد أصاب من النجاح فوق ما قدر له . وإذا كان هـذا شأن التطوع فى وقت السلم فهو فى ساعة الخطر أكثر نفعا وأوفر نجاحا .

أنزلوا المتطوعات والمتطوعين المنزلة اللائقة بسمو (رسالتهم) وأطيعوا أوامرهم ويسروا مهمتهم ، وليذكر المتطوعون جميعا ما عهد اليهم من الواجبات ونيط بهم من المسئوليات وليصدروا فى معـاملة الناس عن أدب ولين وزجر حكيم ، وليدركوا أن التنصل من أداء الواجب أو التخاذل فيه، حسابه عسير

ولم يفت الحكومة فى سبيل وقاية الأهلين أن تعلن عن خطورة بعض المناطق الأكثر تعرضا من غيرها لأخطار الغارات ، فأجازت للسكان فسخ عقود إيجار مساكنهم تمكينا لهم من الانتقال الى مناطق أخرى أكثر أمنا وأبعد خطرا . ولقد رحل بالفعل عدد كبير من السكان الى القرى . وإنى أناشـد أعيان الريف وأثرياء الأقاليم، أن يكرموا وفادة الفقراء من هؤلاء اللاجئين، ويبسطوا لهم يد المعونة ويصلوا ما انقطع من وسائل ارتزاقهم، فلطالما تواترت الشكوى من نقص كفاية الإنتاج الزراعى بسبب هجرة أبنـاء الريف الى المـدن وما ترتب عليهـا من قلة الأيدى العاملة، فاليوم يدور الزمان دورته ، ويعمر الريف بأبنائه ويتسع المجال للملاك فى الانتفاع بهذه الأيدى العاملة ويعود النشاط الزراعى الى سابق سيرته .

سيداتى وسادتى :

صدرت عدة قوانين وتشريعات وأوامر عسكرية قصد بها تنظيم ما أثرت فيـه حالة الحرب وما قضت به الضرورة والاستعداد للطوارئ، ولا خير فى نظام أو تشريع لا يحوطه الجمهور بالطاعة والاحترام، وما أبغض على الحكام من فرض عقوبة على مخالفة القانون روعى فيها مجرد الحيطة لاتقاء شر العابثين . فمن واجب الجمهور أن يعـاون الحكومة فى تنفيـذ الأنظمة الجديدة وأن يوفر عليها ما تنفقه فى مراقبة تنفيذها من جهود أحرى بها أن توجهها الى مرافق أخرى .

وإياكم والاستهانة بقيود الإضاءة والوقاية، ولا يغرنكم ما انتهت إليه الغارات الجوية على مدينة القاهرة حتى الآن من سلامة وأمان . فلا تقصروا فى تنفيذ هذه التعليمات ولا تتكاسلوا عنها فمعظم النار من مستصغر الشرر .

غير أن نفاذ القوانين والأوامر الجديدة فى مصر يصطدم عادة بعقبة كأداء لا تزال تعانى البلاد وطأتها، وهى انتشار الأمية والجهل بالقراءة والكتابة ، فإن كثيرا من أفراد الجمهور

لا يسمعون بهذه القوانين ولا يدركون أحكامها إلا بعد انقضاء وقت طويل يضطرب فيه حبل النظام فى حين . إن رجال البوليس منوطة بهم إذاعة هذه القوانين وتعميم أحكامها ولكن على المتعلمين من أفراد الجمهور أن يعاونوا فى اذاعتها وتلقينها لسواد الشعب .

وأهم ما تنشده الحكومة من جمهور الشعب فى الوقت الحاضر هو مضاعفة الإنتاج الزراعى والصناعى لسدّ ما طرأ على تجارة الواردات من نقص حتى يتوافر للبلاد ما يكفيها من المواد الغذائية والحاجيات الصناعية .

وأخطر ما يتأثر به الاقتصاد القومى أن يحبس الناس أموالهم عن التداول ويكتنزونها فى دورهم وخزائنهم . هذا ضرب من الجهل فيه شل للإنتاج وخيم العواقب ، فهم بذلك يحرمون السوق من تداولها ويضيعون على أنفسهم ما تدره عليهم من الربح .

إنى لا أدعو إلى انفاق المال فى غير طائل ولكنى أحض على استثماره فى شتى المرافق الاقتصادية سواء بإحياء الصناعات التى تعتمد على الخامات المحلية أو بالمساهمة فى الشركات المالية والمشروعات التجارية .

وأخطر من حبس المال أثرا ما يعمد إليه بعض الناس من تخزين المواد الغذائية والحاجيات الضرورية . انها عادة عقيمة تؤثر فى غلاء الحاجيات كلما تهافت الناس على تخزينها ، ولذلك تعمد الحكومات فى زمن الحروب الى استعمال نظام البطاقات . ان مصر غنية بمنتجاتها الغذائية وحاجياتها الأولية ، وهى إن بدأت بتطبيق نظام البطاقات واختارت له صنف الغاز فهى تجربة أريد بها تعرف مدى الاستعداد لتنفيذ هذا النظام إذا دعت إليه الحاجة .

وإن الحكومة لتقف بالمرصاد حيال ما يعمد إليه بعض التجار من رفع أسعار الحاجيات وما يسعى إليه بعض المضاربين من ترويج إشاعات باطلة بقصد التأثير فى الأسواق وتنذرهم جميعا بأشد الجزاء .

ثبت الله أقدامكم ، وسدد خطاكم ، وهيأ لنا من أمرنا رشدا .

محمد السيد شاهين

ثروتنا الخلقية

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ محمد توفيق دياب

ثروتنا الخلقية تعبير غير مألوف وإنما المألوف أن يتكلم الناس عن الثروة العقارية ، أو الزراعية أو المعدنية ، فيكون كلامهم مفهوما .

ويتحدثون أحيانا عن الثروة الفكرية أو العلمية أو الفنية — يريدون آثار العلماء والأدباء وأصحاب الفنون ، مما نقرؤه فى الكتب والصحف ، أو نشاهده فى المعارض والمتاحف . ولكل أمة نصيبها من هذه الثروات .

أما " الثروة الخلقية " فتعبير أزعم أنه جديد ، ألقى فى روعى من حيث لم أحتسب . ذلك أنى أردت اختيار موضوع لهذا المقال ، فلبثت بضعة أيام كلما عرض لى موضوع ، زهدت فيه حتى صحوت ذات صباح ولسانى يقول — " ثروتنا الخلقية " ، فأيقنت أن النفس الباطنة كانت يقظى تشتعل وتبحث ، حتى اهتدت الى هـــذا الموضوع أو هذا " الاكتشاف " .

وليس جديدا أن يبحث الباحث فى موضوع الأخلاق ، فهو مبحث النـاس فى جميع الأجيال ، وإنما الجديد ، فيما أعلم ، أن تسمى أخلاق الأمة أو أخلاق الفرد " ثروة " مع أن الأخلاق لا توزن كما يوزن القطن ، ولا تكال كما يكال القمح ، ولا تعد كما تعد الجنيهات أو ما يمثلها من الأوراق . والأخلاق كذلك لا تحصى كما تحصى مؤلفات العلماء أو آثار الأدباء ورجال الفن فى كل جيل . إذ الأخلاق لطائف نفسية مودعة فى القلوب والصدور ، بل القلوب والصدور التى نعرفها بين الجوانح ليست أوعية للأخلاق إلا على سبيل المجاز ، فكيف إذن نسمى هذه الوظائف المعنوية ثروة ؟

لكن نفسى الباطنة احتجت على هذا المنطق . قالت "سبحان الله ! ، ألا يكون ثروة إلا ما يؤكل ويشرب ويوزن ويكال ويكتب ويقرأ ؟ ! اذن ماذا تقول فى الكهرباء ؟ وهل تحسها الحواس مقطوعة عن الأسلاك ؟ هذه القوة التى تكون نورا فتضىء ، وتكون نارا فتحرق ، وتكون حياة لكثير من المرضى ، وتكون موتا يعاقب به القتلة فى أمريكا ، هذه القوة الهائلة التى تدار بها المصانع فى جنبات الأرض ، ويتضاعف بها نشاط العمران كل يوم — ألا تسميها ثروة ، لا لسبب سوى أنك لا تعرفها الا بآثارها ؟ وهى مع ذلك تقاس . نعم لا توزن بالرطل ولا تكال بالإردب ، لكنها تقاس بالكيلوات ، وتحصى بالعداد ويُشكى غلاؤها ويسرق تيارها ويرفع الأمر فيها الى القضاء .

الأخلاق ثروة للافراد والأمم ، وإن تكن صفات معنوية موطنُها النفوس . بل هى لاتكون ثروة ، الا اذا كانت النفوس موطنَها . ولو قرأ قارئ كتب الأخلاق من عهد أرسطو الى عهد بن مسكويه ، الى عهدنا الحاضر ، لمجرد الإلمام والاطلاع ، دون التخلق بما فيها والانطباع بمعانيها ، لظل ضميره فقيرا الى الأخلاق . وان امتلأ رأسه ببحوثها ومسائلها . كدارس القرآن الكريم من حيث فصاحة بيانه ، وإعجاز أسلوبه ، أومن حيث أحكام الفقه وعلم المواريث — قد يخرج من دراسته قرآنى البيان دون أن يتخلق باخلاق القرآن ، وقد يخرج من دراسته أعلم العلماء بالفقه والتوريث دون أن ينير قلبه بروحية القرآن .

و إنما ضربنا هذه الأمثال برهانا على أن الخلق موطنه النفس والضمير ، وليس موطنه الذهن والدماغ كالحساب والهندسة . فكم من رءوس فياضة بالمعارف تصحبها نفوس فياضة بالرذائل ، وكم من رءوس لاتكاد تعرف أحوال القراءة والكتابة ، تصحبها نفوس كبيرة وهمم عالية وخلق كريم .

لم يكن محمد رسول الله يقرأ أو يكتب . ولم يكن يقرأ أو يكتب محمد كبير بيت مصر المالك .

لكن محمدا رسول الله أحيا الإسلام بوحى ربه ؛ لأنه كان على خلق عظيم ، بشهادة أصدق القائلين ، وشهادة نوره الساطع فى العالمين . ومحمد جد الفاروق ، أحيا مصر الحديثة لعهده ، بوحى من ضميره ، لأنه كان عظيم الخلق ، بشهادة ما بعث فى مصر من عظمة لو اتصلت حلقاتها ، لكانت أمتنا اليوم من كبريات الأمم .

* * *

ثروة مصر الخلقية ، تتألف من أخلاق أفرادها ؟ كما تتألف من أموالهم ثروتها المالية . و إنى لأخشى أن تكون ثروتنا الخلقية ، مرهقة بالديون ، مهددة بالإفلاس — كثروتنا العقارية . وليس الدائنون فى هذا المجال المعنوى — بنوكا ومصارف ، أو مستغلين دخلاء يرهقوننا بالربا الفاحش . انما الدائن الذى يهدد كياننا الأدبى ، انما الغريم الذى يطارد فى نفوسنا أكرم عناصرها ويكاد يخنق فى ضمائرنا أسمى معانى الرجولة ، انما العدو اللدود الذى يفتك بنزعاتنا الى الخلق العظيم — انما ذلك الدائن المرهق ، وذلك الغريم المنح ، ذلك العدو اللدود ، هو الأنانية ، هو الافراط المنكر فى حب الذات ، هو استهانتنا المنكرة بواجباتنا ، واستهانتنا المنكرة بحقوق من سوانا ، ما دام فى الأمر ارضاء لشهواتنا أو راحة من عنائنا أو تحقيق لمنافعنا .

* * *

تسأل الشاب ، بل الكهل الغنى المستهتر — ماذا يمنعك من الزواج؟ — فيجيبك مالى ولهذه التعة . ان فى المتاع لمباح متسعا لأمثالى .

وما هو بمباح إلا عند من أسقط عن كاهله واجب المروءة ، وواجب بناء الأسرة ، وواجب تقديس الحرمات ، وأسقط عن كاهله حقوق ذويه من العشيرة والأهلين .

فإن يقصد بالمباح ، تلك المباذل التى إن أجازها القانون ، فقد لعنها الله ، فيالله من متاع وبىء ، تطيب لهم خبائثه حتى أرذل العمر .

لكنها الأنانية ، فيها إرضاء لشهواته ، و إراحة له من عناء الزوج والولد .

تسأل الموظف — أو نقول بعض الموظفين ، حتى لا يغضب الجميع — ماذا يشغل بالك ويملك عليك أحلامك بالليل ، ولبك بالنهار ؟ فيجيب " درجة رابعة خالية " تسأله " وهل أنت أحق زملائك بها ؟ " يجيب كلا — اذا كانت المسألة بالأقدمية . لكن المسائل كلها اليوم محسوبيات وصلات ووسائط ووسائل " ويكاد يبكى المسكين ، ويسب الأولين والآخرين ، ويدعو على الدنيا بالخراب — وليته صاحب حق . . . ولكنها الأنانية .

الأنانية هى التى تزين للطالب أن يطلب العلم للشهادة ، لا الشهادة للعلم ، حتى إذا أحرزها ، اتخذها صكا على الدولة يتقاضى به الجلوس طيلة حياته إلى المكتب بأجر محدود ولكنه " مضمون " .

قاتل الله الأنانية فهى التى تزين للصانع أن يكسل ما استطاع الكسل ، وأن يقصر فى الاتقان ما استطاع التقصير .

هى التى تزين للتاجر أن يجمع أرزاق الناس بثمن رخيص ، حتى اذا صرخت حاجتهم اليها — باعهم إياها بأفحش الأرباح ، لولا حماية التسعيرة ، التى يغافلها كلما استطاع .

قاتل الله الأنانية . هى التى تزين لشاهد الجريمة أن يكتم شهادته عن القضاء ، رهبا أو رغبا ، فتحفظ أكثر القضايا ، وتهدر دماء المئات من الضحايا كل عام .

هى التى تزين للأدنياء شهادة الزور ، وللفتاك قتل الأبرياء بثمن معلوم . قاتل الله الأنانية هى التى فككت أواصر الجماعة المصرية فى المنزل والنادى ، وفى المدينة والقرية ، وكلما اجتمع ولو شريكان اثنان فى عمل ، قطعت ذات بينهما كأسرع من قطع السكاكين .

هى التى تزين لصاحب الأفدنة الألف ، أن يبذل عفا لثوره ، أضعاف ما يبذل أجرا لعامله .

قاتل الله الأنانية فهى التى تغل يد الغنى عن إعانة الملهوف إذا نزلت به النكبات ومزقته الصواعق ،

هى التى تمزق الجماعة أحزابا والحزب شيعا — والشيعة آحادا متحاسدين . هى التى تجعل المناصب مغانم ، وتجعل المغانم قسمة بين المحظوظين . هى التى تجعل الكبير مزهوا بطرا ، وتجعل الصغير حاسدا ضجرا .

قاتل الله الأنانية ، فهى التى تكاد تحمل كل مصرى على أن ينسى المصرى فى وقت محنته ، حتى لتخشى أن ينسى الجميع هذا الوطن ، إن حلت به الكارثة .

* * *

إن لنا فى فرنسا عظيمة الأمس وضحية اليوم — لعبرة أى عبرة .

ثروة فرنسا فى المال لا تحصى . زراعتها ، معادنها ، صناعتها — كانت مثار حسد النظائر والحارات . علومها — آدابها فنونها "مثل عليا للعبقرية" لكنها انهارت بعامل واحد صارح به الملأ شيخها " بيتان " .

قال وتكاد عيناه تبيض من الحزن وهو كظيم ، إن فرنسا انهارت ؛ لآفة فتاكة طغت فيها على الأخلاق . ولم تكن تلك الآفة سوى الأنانية — أى حب النفس ونسيان الوطن . ولو تلوت عليكم كلامه المحزن فى هذا المقام لأخذكم فى الخوف على مصر مثل مايأخذنى . ذلك أن بطل فرنسا بالأمس ، والفارق فى ويلاتها وكروبها اليوم — يصف الأخلاق التى أودت ببلده العظيم ، وكأنما يصف الأخلاق فى مصر اليوم .

أفلا يحق لنا إذن أن نعتبر ، أفلا يحق لنا أن نوقن من أن ثروة الأخلاق إذا أفلست لم تغن عنها ثروة المال ولا ثروة العلم والأدب فتيلا ، وإلا لأنقذت فرنسا قناطيرها المقنطرة وأدبها الأسمى وفنها الرفيع ؟

أليس يحق لنا بعد هذه العبرة الفاجعة ، أن نسمى أخلاق الأمة ثروة ، وأن نرفعها فوق ثروة العلم وثروة المال لأنها ثروة النفس وثروة الضمير وثروة الروح .

* * *

إذا كان مصرع فرنسا آية رهيبة على أن الأمم الأخلاق وجودا وعدما ، كما قال شوقى وأيدته فاجعة فرنسا واعتراف بيتان ، فهنالك آيتان أخريان لن ينساهما التاريخ :

أريد آية الأخلاق فى بريطانيا العظمى ؛ وآية الأخلاق فى اليونان الباسلة المتواضعة ! من كان يوقن بعد انهيار فرنسا ، بل قل بعد انهيار أوربا الوسطى وأوربا الغربية كلها — أن تصمد تلك الجزيرة العجيبة هذا الصمود العجيب . إنى لا أريد أن أعرض لشؤون الحرب ولا لشؤون السياسة فى هذا المقال ، لأنى أنشره فى مجلة الشؤون الاجتماعية وما أحب أن أعدل بأحاثها عن شؤون الاجتماع .

غير أن انتزاع الشواهد من مسالك الأمم فى الخطوب مطلب أساسى لكل من يبحث فى شؤون المجتمع ، وما أظن فى الدنيا انسانا ، ولو كان هـذا الانسان ألمـانيا أو إيطاليا سلت من نفسه الأحقاد إلا يحنى رأسه إجلالا لعظمة الثروة الخلقية التى تجلت فى بريطانيا واليونان .

أما اليونان فروعة موقفها ، حديث القاصى والدان ، وإن استطاع الايطاليون فى الغـد مالم يستطيعوه معها بالأمس ، فقد سجلت اليونان لنفسها صفحة مجد لن تزول .

وأما بريطانيا فالحديث فيها أطول وأصفى مما تتسع له السطور الباقية .

لكننى أعلن إعجابى على مسمع من أبناء وطنى جميعا — بالبطولة التى أدهش البريطانيون بها الدنيا فى ستة شهور ، لا من حيث الاستماتة والاستبسال فى البر والبحر والجو ، بل كذلك وفوق ذلك من حيث اصطبار المدنيين للكاره الجلى ، وخروجهم عن أكثر أرزاقهم تمويلا لحرب قال رئيس حكومتهم إنها قد تطول سنين .

وما أنس لا أنس حملة النواب البريطانيين والصحف البريطانية على وزير مالية انجلترا يوم أعلن فى مجلس العموم أنه رأى جعل ضريبة الدخل نسبة تتراوح بين خمسين وثمانين فى المـائة من رزق كل مواطن . وما أنس لا أنس حملة النواب والصحف عليه فى ذلك الحين ، لا لأنه اشتط وأسرف فى تقـدير الضريبة ، بل لأنه بالغ فى القناعة والإشفاق ، ثم تجاوبت الأصداء فى أنحاء البلاد بأن الأمة على استعداد لبذل المزيد فداء لبريطانيا العظمى — نعم العظمى ، لا بالأساطيل ، فغيرها أساطيل أحدث ، ولا بالجيوش فلغيرها جيوش أضخم ، ولا بالطائرات فلغيرها طائرات أكثر — ولكن بريطانيا العظمى بهذه الأخلاق — بهذه الثروة المعنوية التى لا تفنى على الإنفاق .

* * *

ليس رجلا من لا يعجب بالرجال ، ولا عظيما من لا يعجب بالعظمة . وأمتنا المصرية مهما أخف عليها عواقب الأنانية — أمة عريقة النسب كريمة العنصر ، فيها عظمة وفيها رجال .

والله أدعو أن يوفقنا للعمل على تنمية ثروتنا الخلقية بقدر ما نعمل على ترقية ثروتنا الزراعية والعلمية ، أو أضعاف ذلك ، وأن يجعل اهتمامنا بمقاومة "الأنانية" — أعنى دودة الأخلاق — بقدر اهتمامنا بمقاومة دودة القطن وسائر السموم والحشرات .

محمد توفيق دياب

المرأة المتعلمة

فى ميدان الحياة المصرية

بقلم السيدة الجليلة هدى شعراوى

زعيمة النهضة النسوية فى مصر

واجب المرأة فى كل مكان وفى كل ناحيـة من نواحى الحياة واجب هام وشاق ، إلا أنه أصبح فى الظروف العصيبة التى يجتازها العالم هـذه الأيام أشد خطرا وأبعـد أثرا منه فى أى وقت مضى . وأخص بالذكر المرأة المتعلمة لأنهـا مع تقديرها للظروف و إدراكها مدى ما يتطلبه الوطن منها ، لا تملك ما للرجل من وسائل التشريع والتنفيذ التى تمكنها من تأدية الواجب المفروض عليها نحو وطنها ونحو المجتمع حسب مقدرتها وحسبما يمليه عليهـا ضميرها . بل كثيرا ما يعرقل الرجل مساعيها فى الاصلاح وفى تقويم ما اعوج من الأمور بسبب انفراده بتسيير دفتها وبمـا يضعه أمامها من موانع لا مسوّغ لهـا ؛ اللهم إلا أنانيته واستئثاره بالسلطة وخوفه من مزاحمتها له فى ميادين الحياة العملية . على أننا نراه فى أوقات الشدّة والمحن يلجأ اليها ملتمسا منها أن تساعده وتشدّ أزره ، ثم ينبذها إذا ما اجتاز مرحلة الضيق . وكذلك كان دأبه عند ما كان طفلا : يهرع إلى أمه كلما خاف من شىء أو زلت به القدم كى تهدئ من روعه وتكفكف من دمعه ، حتى اذا ما ذهب خوفه وآنس فى نفسه الاطمئنان والقوة استغنى عنها ومضى . وقد دلتنا التجارب على أن الرجل مهما كبرت سنه أو علا شأنه هو بعينه ذلك الطفل الذى يحتاج فى جميع أدوار حياته الى تلك اليد الرقيقة وذلك القلب الحنون ، يد المرأة وقلبها ، سواء كانت له أما أو شريكة فى الحياة . لأن المرأة والرجل خلقا ليكوّنا باتتلافهما وتعاضدهما الانسان الاجتماعى الكامل .

من صفات المرأة التضحية والصبر وتقدير المسئولية و إتقان العمل وحسن النظام . و إذا قامت بأى عمل فانمـا تقوم به عن عقيدة و إخلاص لأنها ترى بضميرها وتحكم بقلبها وعقلها فتكون أقرب الى العدل والصواب من الرجل الذى لا يعتمد إلا على عقله وقوته وبطشه . وقد تبينت الأمم الراقية هذه الصفات فى المرأة ففسحت لهـا مجالا رحبا للاشتراك فى ادارة أمورها ، ولولا ذلك ما تسنى للمرأة الغربية فى الظروف العصيبة أن تملأ الفراغ الذى يتركه

الرجل بذهابه الى ساحة القتال . بل لقد كسبت الأوروبية بجدها واجتهادها ثقة الرجل الى درجة سمحت لها بالوقوف بجانبه فى ميادين الحرب حتى فى أكثر البلاد انكارا لحقوق المرأة السياسية كفرنسا وسويسرا وغيرهما من الدول . ولأول مرة فى تاريخ الجيش الفرنسى رؤيت المرأة فى الحرب الأخيرة تشترك فى الوحدات النظامية وهى تلبس الزى العسكرى الكاكى. وفى شهر مايو الماضى قدم المسيو بيير تانجير عضو الشيوخ بباريس والعضو فى لجنة الجيش اقتراحا يرمى الى تجهيز جيش نسائى محلى بفرنسا اقتداء بما يجرى فى انجلترا .

وفى سويسرا ، حيث كانوا يتمسكون بالفوارق الجنسية، أصبحت المرأة تشغل كثيرا من المناصب والوظائف التى أخلاها التجنيد من الرجال . وفى ٢٧ مارس من السنة الحالية صدرت إشارة من " برن " تدل على أن السويسريات سيدعين إلى التطوع فى الجندية فى الخدمة المساعدة للجيش وحتى وقعن التعهد المطلوب أصبحن خاضعات للخدمة الإجبارية أما النساء اللواتى تدربن على العمل فى الفرق الميكانيكية فيتولين فورا قيادة الأقسام فى الخدمة المساعدة برتبة جاويش .

وفى فنلندا، وهى المثل الأعلى للديموقراطية والحضارة، حيث لاتختلف الحقوق والواجبات باختلاف الجنسين وحيث يعمل كل من الرجل والمرأة حسب كفاءته ومقدرته ، منح الدستور المرأة الفنلندية حق الاشتراك فى الدفاع عن الوطن . وكانت نتيجة ذلك أنها رؤيت فى الحرب الأخيرة على الحدود لابسة ثوبها العسكرى البسيط حاملة سلاحها على كتفها ، وهى لم تشغل مركزا بين صفوف الفصائل الصغيرة فقط ، بل لقد امتازت ببسالتها وحسن تصرفها حتى عرفت كيف تحتل مكانها فى هيئة أركان الحرب وبين القواد العسكريين . وقد اشترك بعضهن من القسم الجغرافى والكيميائى فى المباحثات التى دارت لوضع الخطط العامة للدفاع عن أرض الوطن . وبالأمس ضم الجيش الفنلندى جيشا مستقلا من النساء قوامه مائة ألف جندية من مختلف الرتب .

هذه أمثلة مما وصلت إليه المرأة الأوروبية أضربها لا لأدعو إلى تجنيد النساء، بل لتكون موضوع تفكير رجالنا عند ما يوازنون بين مطالبنا المتواضعة وبين ما بلغه شأو أخواتنا الغربيات ، ثم أسائل نفسى بعد ذلك : هل آن لمصر أن تشكل من فتياتها ولو عشر ذلك الجيش الفنلندى لا للذود عن حدود مصر بل ليقوم ذلك الجيش النسائى بمحاربة الأمية ومعالجة أدوائنا الخلقية والاجتماعية والقضاء على روح الرجعية التى تعرقل نهوض المرأة ورقى البلاد ؟

إن نساءنا المتعلمات وإن كان عددهن قليلا لا يتعدى خمسا وثلاثين فى الألف وعملهن لا يزال محدودا بالنسبة لمجموعهن ، جديرات بأن يلعبن دورا خطيرا فى حياة الأسرة المصرية، وأن يقمن بخدمات جليلة للنهضة الحديثة وللمجتمع المصرى خصوصا فى مثل هذه الأوقات

العصبية اذا أولاهن الرجال بعض الثقة وحظين منهم ببعض التشجيع فيما يقمن به من أعمال. وليست الحركة الوطنية ببعيدة عن الأذهان، ولم ينس أحد ما كان لمواقف المرأة فى سنة ١٩١٩ من أثر فعال فى نجاح القضية المصرية و إعلاء سمعة مصر فى الخارج. وما كان لجهودها من نتيجة ظاهرة فى تشجيع المشروعات الوطنية وتنشيط الحركة الاقتصادية فى البلاد. و إنما تقوم به سيداتنا وفتياتنا من حركة التطوع فى جمعية الهلال الأحمر تحت قيادة حضرة صاحبة الجلالة مليكتنا المحبوبة و إرشاد حضرة صاحبة العصمة رئيستهن العـاملة ، واندماج المرأة المصرية المتعلمة فى جمعية الخدمة العامة وجمعيات التعاون والرواد والجمعيات الخيرية وغيرها لممـا يبشر بمستقبل زاهر لمصر بفضل اشتراك المرأة فى ادارة شؤونها و بفضل إخلاصها لوطنها .

وعندى أنه لو وحدت جهود السيدات الفردية وتكاتفت الجمعيات النسائية فى ميادين الاصلاح المنشود لجنت مصر من ثمرات تلك الجهود المشتركه المتضامنة كثيرا من الخير فى قليل من الزمن ، واسرنا بخطوات واسعة نحو تحقيق غاياتنا المنشودة وجنينا من ثمـارها عوضا عما خسرناه فى السنين المـاضية .

وأعتقـد أن من أخطر العلل التى تئن منها مصر والتى ينبغى للمرأة أن تساهم فى علاجها بنجاح، ثلاثة أدواء فتاكة لعلها أقوى أسباب تأخر البلاد وانحطاط الصحة وتدهور الأخلاق وضياع الثروة وهى : الأمية والخمر والميسر وانه لمن العجيب حقا أن نرى أن الأمية بين الطبقات المحرومة ما زالت محتفظة بنسبتها الفاجعة بينما نحاول رفع مستوى التعليم العالى للطبقة الراقية بالإكثار من الكليات فنخلق بذلك هوة عميقة بين الطبقتين المتعاونتين من أبناء الأمة يخشى أن تدفن فيها معظم مجهوداتنا . و إنه لمن المحزن أن نرى بؤر الخمر والميسر تفتح أبوابها على مصراعيها بترخيص رسمى من الحكومة وأن تبقى بيوت الدعارة الرسميـة مفتوحة ونحن فى بلد إسلامى يحرم دينه الخمر والميسر والزنا . وقد تعبت أقلام الكتاب والمصلحين فى علاج مشكلة البغاء، تلك الوصمة القبيحة التى تشوه جبين مصر الناضر وتحط من قدر المرأة وكرامتها . لقد فكرت الحكومات المتعاقبة فى الغائه وشكلت أخيرا لجان فى عهد وزارة على ماهر باشا ذلك الوطنى الغيور والمصلح الكبير للنظر فى القضاء عليـه نهائيا . ثم وقف المشروع بغتة بحجة طروء عوامل استثنائية فى الظروف الحاضرة .

كل هذه النقائص هى من أشـد أدواء الوطن والمرأة على السـواء . فيجب على المرأة المتعلمة أن تبذل جهدها فى محاربتها محاربة جدية بكل ما أوتيت من قوة وعدة ومال . ويجدر بها أيضا ان تعمل ما استطاعت على مكافحة التواكل والكسل ، والبدع والخرافات ، وتخفيف وطأة الأمراض الخطيرة التى تذاب بخاصة طبقة الفلاح كالبلهارسيا والانكلستوما والرمد الصديدى وغير ذلك من الأمراض ، الموروثة منهـا والمكتسبة ، التى

تفتك بالكثيرين من أبناء هـذا الشعب المسكين فتكا ذريعا . وبذلك يمكنها أن تنشئ جيلا صحيح الجسم سليم العقل قويم الأخلاق ، وما الأمم إلا مجموعة أفراد تصلح بصلاحهم وتفسد بفسادهم ، وما رأينا أمة معمرة إلا على أساس الخلق المتين ، وقد صدق شوقى بك — رحمه الله — إذ قال :

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

* * *

المرأة والطفل عنصران هامان فى حياة كل أمة ، والعناية بهما ركن من أهم أركان تقدم الأمم ورقيها ، ولا جدوى من اختصاص أحدهمـا بالعناية دون الآخر ، إذ لا يمكن التفريق والفصل بينهما ، وكل مجهود فى سبيل الإصلاح يعتبر ضائعا إذا أهمل شأن هذين العنصرين ، فالطفل هو المستقبل والأم هى دعامة هذا المستقبل ، وعلى هذين العنصرين الحيويين للوطن تعتمد مصر لانتشالها من حالة التأخر والفوضى التى سادتها حقبة طويلة من الزمان .

لقد كانت المرأة فى بلادنا الى عهـد قريب تعتبر منذ ولادتها ضيفا ثقيلا على الأسرة أو عضوا موقوت الإقامة سوف يغادرها إلى أسرة أخرى ، وإذا ما دخلت بيت الزوجية اعتبرها زوجها متاعا قابلا للتغيير والتبديل ، وبنى معاملته لها على هذا الاعتبار . وفى فوضى الطلاق حتى اليوم ما لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل ، إذ تعيش المرأة مهددة فى حياتها غير مطمئنة على مستقبلها ، ولا قادرة على إثبات وجودها فى المجتمع الذى تعتبر فيه عضوا أشل لا قيمة له فى الحياة العمليـة . فيا ليت شعرى هل من كان هـذا شأنها فى بيت أبيها وكانت تلك حالتها فى بيت زوجها وكان ذلك مركزها فى الهيئة الاجتماعية ، تستطيع أن تؤدى الرسالة الجليلة التى يتطلبها الوطن منها كزوجة صالحة وأم مهذبة ومربية قديرة وعضو عامل فى المجتمع ؟

لذلك وجب على المرأة المتعلمة الشرقية عامة والمصرية خاصة أن تقتحم كل عقبة تعترض سبيلها فى تكوين شخصيتها واتخـاذ مكانها اللائق بها فى المجتمع والمتناسب مع الوظيفة النبيلة التى خلقت من أجلها سيما وأن التطور قد عبـد لها هذا الطريق فأصبح من الميسور عليهـا أن تسلكه بخطوات واسعة ونفس مطمئنة .

ومن أهم المسائل التى يجب على المرأة السعى لعلاجها :

(أولا) مكافحة فوضى الطلاق الناشئة عن عدم تقدير قدسية الرابطة الزوجية واحترامها ويرجع ذلك الى الجهل وعدم متانة الأخلاق .

(ثانيا) وضع حدّ لتعدد الزوجات وذلك بألا تقبل المرأة الزواج من أى رجل متزوج إلا اذا كان هناك عذر قاهر يبرر زواجها به حتى يصبح هذا مبدءا من مبادئ المرأة المسلمة ما دام بعض الرجال ما زال متمسكا به كحق شرعى له لا يتنازل عنه رغم ما يسببه تعدد الزوجات من تفكك الأسرة وتنافر أفراد العائلة الواحدة ورغم قوله تعالى " فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً " والعدل بين الضرائر مستحيل .

(ثالثا) معالجة أزمة الزواج الوهمية التى خلقتها دعاية الرجعيين وكان لها أسوأ الأثر فى نفوس بعض الشبان فعدّها المصلحون إحدى المشاكل المعقدة وحارت فى حلها أقلام الكتاب فعزا بعضهم أسبابها الى السفور والتبرج ، وقال البعض الآخر إنها من نتائج طفرة التطور الحديث وسوء تصرف بعض الفتيات الطائشات فى الحرية التى نلنها . وسأبين لحضراتكم خطأ هذا الزعم بالاحصاء الاتى :

فى سنة ١٩٢٧ كان عدد النساء المتزوجات ٢,٨٩٦,٥١٢ وفى سنة ١٩٣٧ بلغ عددهن ٣,١٢٣,٠٣٤ ، أى بزيادة ٢٢٦,٥٢٢ وفى سنة ١٩٢٧ كان عدد الرجال المتزوجين ٢,٧٨٩,٨٧٢ وفى سنة ١٩٣٧ بلغ عددهم ٣,١٠٨,٦١١ أى بزيادة ٣١٨,٧٣٩

ومن هذا الإحصاء البسيط يتبين أن عدد المتزوجين والمتزوجات قد زاد فى سنة ١٩٣٧ على عددهم فى سنة ١٩٢٧ ومع أن هذا الفرق قد يعزى الى تكاثر عدد السكان فانه يدل على عدم وجود أزمة زواج .

وإنى مع ذلك أنتهز هذه الفرصة فأنصح فتياتنا الناهضات أن يتحلين بالفضيلة ، وأن يربأن بأنفسهن عن مواطن الشبه ومسالك الزلل ومثار القيل والقال ، وأن يحسنّ التصرف فى الحرية التى جاهدنا فى سبيلها من أجلهن وأن يتحرزن من التقليد الأعمى ولا يقتدين بأخواتهن الغربيات إلا فيما ينفع و يشرف ، ليضمن حدّا لهذه الحرب الشعواء التى يشنها عليهن الرجعيون الذين يتهزون كل فرصة للحط من كرامة الفتاة المصرية المسلمة . وليتذكرن أن الحرية التى يتمتعن بها الآن لم تعط لهن عبثا ليبذلنها فى اللهو واللعب فقط فنحن إنما ناضلنا من أجل هذه الحرية لكى يخرجن إلى ميادين العمل و يعملن لإصلاح الوطن وليتبوّأن المركز اللائق بهن بين نساء الأمم الراقية المتحدة ، لأنها الوسيلة الوحيدة التى تصل بهن إلى هذه الغاية ، فعلى المرأة المصرية أن تبرهن على أنها كانت جديرة بهذه الحرية فيما تقوم به من خدمات لوطنها وقومها . وأمامها الحياة الاجتماعية فسيحة الأرجاء وقد تفتحت فيها أبواب عدّة للنشاط العلمى والفكرى والأدبى والرياضى والإنسانى بفضل المشروعات الإصلاحية الواسعة النطاق التى قام بدرسها وتنظيمها المصلحون فى بلادنا وقد وفقوا — ولله الحمد —

إلى إخراج هـذه المشروعات النافعة من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ حتى اقتنعت الحكومة بالفوائد العظيمة التي تجنيها البلاد من وراء هـذه المشروعات فقامت تشجعها بكل أنواع المساعدة .

وقد كان فى الخطبة التى أذاعهـا حضرة صاحب السعادة الأستاذ عبد الخالق حسونه بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية ونشرتها له هذه المجلة شرح واف لهذه المشروعات ولما تقوم به الحكومة من مساعدة أدبية ومادية فى سبيلها ، وما تنظمه من دعاية لحث المصريين جميعا رجالا ونساء على مساعدة هذه الحركة المباركة . ولا حاجة بى إلى تكرار ما شرحه سعادته من أعمالها ولا ما سرده من إحصائيات سارة مشجعة ، و إنى لأضم صوتى إلى صوته حاثة مواطنى الأعزاء أن يقدموا ما فى وسعهم من مساعدات لهذه النهضة المحمودة الدفعة التى لا شك ستخطو بالبلاد خطوات واسعة سريعة نحو التقدم والفلاح ، ومن البديهى أن مساهمة المرأة فى هذه الحركة تعود عليها بالنفع الجزيل ، لأن المرأة المتعلمة فى استطاعتها أن ترشد أولى الأمر إلى كثير مما قد يغيب عن أفكارهم وأنظارهم فيما يختص بأحوال المرأة والطفل .

ومن الأعمال التى يجدر بالمرأة أن توليها عناية خاصة تعميم التعليم الإلزامى والإرشاد إلى تحسين برامجه لرفع مستواه لأنه على حالته الراهنة لا يعود بالفائدة المرجوة منـه ، وأن تسعى فى إصلاح حال البؤساء من الأيتام والمتشردين ، وأولئك الذين قست عليهم الطبيعة فحرمتهم نعمه التمتع ببعض حواسهم الرئيسية كالعمى والصمم ممن لهم على المجتمع مثل ما لغيرهم من حقوق العناية والرعاية ، وأى قلب أقسى من قلب المرأة يتسع لإيواء هؤلاء البؤساء ويحنو عليهم ويخفف من آلامهم ؟

إنه لمن المؤلم حقا أن يرى الإنسان فى الطرقات والشوارع أفواجا من الصغار المشردين رغم ما اتخذته الحكومة من تدابير لإيوائهم يتسولون أو يحتالون أو ينشلون معرضين أنفسهم لأخطار السيارات ومركبات الترام التى كثيرا ما تصدمهم صدمات تقتل بعضهم أو تخلف للبعض الآخر عاهات مستديمة فيتخذونها بعد ذلك وسيلة للتسول واسترحام القلوب ، وفى الليـل كم من هؤلاء البؤساء والبائسات يفترشون البطحاء ويلتحفون السماء فى الحر والبرد والمطر ، فأى قلب لا يرثى ولا يلين لهؤلاء المساكين الذين ألقت بهم الحياة جزافا بين أنياب البؤس والشقاء وأصبحوا عالة على المجتمع وحطة لكرامة الأمة ؟

وهناك مع الأسف غير هؤلاء المهملين آدميون مثلنا قابعون فى بيوتهم غير متسولين ولا مشردين يهملهم أهلهم وأولو الأمر منهم ، فهم يقاسون أنواع العذاب وآلام الوحدة دون أن يحس أحد بآلامهم أو يخفف من أحزانهم ، وأكثرهم يتوقون فى قرارة أنفسهم إلى قبس من نور العلم يضىء لهم سبل الحياة ويخرجهم من حالة الجمود التى يعيشون فيها ولكن لا معين لهم ولا

مشجع لأن ذويهم لا يهتمون بأمرهم بل يعتبرونهم عالة عليهم فيتركونهم فى البيوت كمية مهملة والحكومة لم تفكر بعد فى أنهم — هم أيضا — أبناء الوطن ولهم مثل ما لإخوانهم الأصحاء من حقوق عليها . أولئك هم الصم والبكم والعمى من أبناء الطبقة المتوسطة ومن هم دونها ، هؤلاء يرون إخوانهم الأصحاء يذهبون إلى المدارس أو يسعون فى الحياة العملية بينما هم موضوعون فى أماكنهم كما توضع الأشياء، وهذا بلا شك يترك أثره السيئ فى نفوسهم وفى صحتهم وأخلاقهم .

أعرف كثيرين يتألمون من حالة الركود التى يعيشون فيها و يتشوقون الى العلم فلا يجدون اليه سبيلا . و يشعر بعضهم بقدرة على العمل ولا يجد مشجعا عليه . وقد تقدمت الىّ أخيرا فتاة ضريرة على جانب كبير من الذكاء كانت تصغى الى أخيها الطالب وهو يستذكر دروسه فلما جاز امتحان البكالوريا كانت هى أيضا فى مرتبته من التعليم وكلما سعت بعد ذلك الى الاستزادة من العلم بمختلف الوسائل وقف أهلها حجر عثرة فى سبيلها ونقموا عليها لأنها تطلب أكثر مما تستحقه الضريرة فى عرفهم ، وكأنما هى التى أرادت لنفسها هذا العمى . وعرفت قبلها ضريرة أخرى بالاسكندرية كانت أكثر حظا من هذه إذ عنى أهلها بتعليمها وتحفيظها القرآن وسهلوا لها حضور الدروس الدينية فنبغت فيها وتبحرت فى الفقه وأصول الدين وصارت أستاذة يحضر دروسها كثير من طلاب العلم من الرجال . ولم تكتف بذلك بل دفعتها غريزتها الجنسية الى تعلم فن الحياكة والتفصيل وأشغال الإبرة (التريكو) فنبغت فيها نبوغا عجيبا. وكانت اذا أعجبها ثوب حاكت لنفسها مثله بعدما تتبين صنعه من طريق اللمس . ولم تصل بها درجة الاتقان الى ذلك فحسب بل جاوزتها الى حد الابتكار . فقد كانت تبتكر حروفا واصطلاحات تتذكر بها ما تخشى أن تنساه ولتكون مرجعا لها عند اللزوم . وكانت الى حين معرفتى بها تجهل طريقة (براى) لتعليم العمى وكم تأسفت لأنها أضاعت تلك المدة من حياتها دون أن تستفيد منها . ومما يجدر بالذكر أن هذه الفتاة الضريرة كانت تقوم بأود عائلتها مع أن لها أخوة مبصرين . وكم من نوابغ مثلها أهمل شأنهم ولو عنى بهم وفتحت أمامهم أبواب التعليم كما هو جار فى البلاد الراقية لتجلى نبوغهم وأستفادوا وأفادوا وأمكنهم أن يحيوا حياة سعيدة أو لا يكونون على الأقل عالة على أهلهم وذويهم .

إنه لمن المحزن حقا أن يهمل أولو الشأن أمر هذه الفئة التعسة من أبناء الوطن . وألا توجد فى مصر مدارس خاصة لتعليمهم — وعدد هؤلاء يربى على مائة ألف نفس — أليس من المخجل ألا يوجد فى مصر غير مدرستين لتعليم العميان و يقتصر فيهما تعليمهم على حرف يدوية لا تعود عليهم بفائدة تذكر ؟ بينما أمثالهم فى فرنسا وبلجيكا وغيرهما من الممالك الأوروبية يعلمون — علاوة على الصناعات — فن الموسيقى وطريقة اصلاح بعض آلاتها

كالبيانو، ويعلمون كذلك فن التدليك، هذا بخلاف الكتابة والقراءة وباقى العلوم التى تؤهلهم للتقدم الى الامتحانات بالجامعات لنيل الشهادات المختلفة، وكذلك يعنون بتعليم الصم والبكم القراءة والكتابة والكلام. وقد رأيت من هؤلاء كثيرين يزاولون الحرف. رأيت منهم النجار والصناع والحلاقين وغيرهم بينما لا توجد فى بلادنا للصم والبكم سوى مدرسة صغيرة بالاسكندرية أسستها سيدة يونانية تسمى مدام (تسوتسو). لقد هال هذه السيدة الفاضلة أمر هؤلاء المنكوبين، وكانت قد درست طريقة تعليم الصم فدفعتها انسانيتها الى فتح هذه المدرسة الصغيرة فى رمل الاسكندرية. وأسمتها (دار الأمل) لإيواء عدد قليل من الصم بحسب ما تسمح لها ماليتها الضئيلة معتمدة على مساعدة بعض الخيرين من مواطنيها ومن المصريين وعلى ما تتقاضاه من أجر من أبناء الموسرين. وقد طلبت هذه المربية الفاضلة من أولى الشأن مساعدتها برعاية هذه البواة الصالحة ووضعها تحت إشراف الحكومة ومدها بالمساعدة الكافية ليتسنى لها قبول أكبر عدد ممكن من الصم ولتخصيص قسم فى المدرسة لتخريج فوج من المعلمين والمعلمات يتولون تعليم الصم فى المدارس التى قد تنشئها الحكومة فيما بعد. فياحبذا لو حققت حكومتنا الرشيدة هذه الأمنية وقام بعض المصلحين فى بلادنا وبالأخص سيداتنا المتعلمات بمساعدة هذا العمل الانسانى المفيد حتى يكون لهؤلاء البائسين نصيب فى الحياة.

فلقد بلغ من اهتمام حكومات البلاد المتمدينة بشأن أمثالهم أن أكثروا من مثل هذه المدارس فى بلادهم حتى صار يخيل للإنسان أنه لم يبق لهذه العاهات أثر فيها وأصبح الصم والعمى يتكلمون ويعملون. وبلغنى من سيدة نرويجية أن فى بلادها كثيرا ممن نكبتهم الطبيعة بالعمى والكساح علاوة على بكمهم من الصغر فكانوا كتلا من الجماد تنبض ولا تتحرك ولا تمى، فدفعت الإنسانية المربين إلى استنباط طريقة لنجدتهم وفعلا وصلوا إلى تعليمهم بطريقة اللمس وبذلك أشعروهم بأنهم أحياء وأدخلوا على نفوسهم شيئا من السعادة والسرور. وإنه ليخيل إلىّ أن إسداء المعونة إلى أمثال هؤلاء التعساء وادخال السرور إلى نفوسهم لايقل شأنا عما تدخله السينمات والملاهى على نفوس سيداتنا من الغبطة والسرور بل نزيد.

إن الفكرة السائدة بأن المرأة التى تعمل فى الحياة الاجتماعية لا تستطيع أن تؤدى واجباتها المنزلية على الوجه الكامل هى فكرة خاطئة، لأن أعمال البيت لا تستنفد وقت المرأة كله. وأستطيع أن أؤكد أن المرأة العاملة هى أكثر نشاطا وخبرة وإلماما بادارة منزلها من تلك القابعة وعقر دارها، وأنها بذلك يمكنها أن تدير بيتها ادارة حسنة وتربى أولادها تربية صالحة وأن تنشر ألوية السعادة والرخاء على بيتها بتدعيم الأسرة وتوثيق عرى التضامن وروابط المحبة بين أفرادها وفى المحيط الذى تحيا فيه. كما تستطيع أن تجعل بيتها كامل النظام جميل التنسيق

متوافرة فيه أسباب الراحة والهدوء والطمأنينة، وأن تجعل منه المدرسة الأولى لأولادها اذا كانت أما والنادى المحبوب لبيتها وذويها والعش الهنيء لزوجها والمثل الأعلى فى النظام والإدارة والاقتصاد لأترابها. و إنها لتبنى هذا النظام على احترام الواجب وعلى الثقة المتبادلة بين أفراد الأسرة لأنها تعرف قيمة الوقت ولا تبذر فيه . لذلك أعود فأحث كل سيدة متعلمة على أن تساهم ما استطاعت فى كل ناحية من نواحى الاصلاح القومى، المثرية منهن بمالها، والمتعلمة بعلمها، والأديبة بقلمها ولسانها، والعاملة بنشاطها . وليكن رائدها بنوع خاص القضاء على الأمية والنهوض بأخلاق النشء وتحسين حالة الفلاح الصحية والمادية وتشجيع الصناعات المحلية والمنتجات الوطنية بتفضيلها على غيرها وارشاد الصناع الى تحسينها والإكثار من شراء أسهمها ومحاربة الرذيلة ومناصرة الفضيلة والمحافظة على اللغة والقومية وشعائر الدين الحنيف .

وانى لأعتقد أن المرأة لو قامت بإصلاح بيتها وساهمت فى الاصلاحات الاجتماعية العامة لأدت لمصر ما تنتظره من كل سيدة متعلمة وأثبتت وجودها فى المجتمع وأقنعت الرجل بجدارتها وأهليتها لحقوقها السياسية . ومتى نالت هذه الحقوق تسنى لمصر أن تحلق بجناحيها فى سماء المجد والفخار ولكن لا لتلقى القنابل على البلاد الآمنة بل لتنشر ألوية الرحمة والسلام وتدعم أواصر المحبة والإخاء .

هدى شعراوى

٥

كرامة العلم والعلماء

حجّ هارون الرشيد ثم شخص بعد الحج إلى المدينة ، وأراد أن يسمع الحديث عن مالك ابن انس فأرسل يستقدمه فقال مالك للرسول : " قل لأمير المؤمنين إن طالب العلم يسعى إليه أما العلم فلا يسعى إلى أحد . " وأذعن الخليفة وزار مالكا فى داره ولكنه أمر أن يخلى المجلس من الناس ، فأبى مالك إلا أن يظل الناس كما كانوا وقال: "إذا منع العلم عن العامة فلا خير فيه للخاصة " وأذعن الرشيد لرغبته مرة أخرى وسمح للناس بسماع الحديث .

عهد لم يطل

بين الكأس والوتر

للأستاذ فؤاد بلبل

وهذا شاعرنا يحدثك بلسان الشارب الطروب ، عما تشيعه الخمر فى الأجسام من مرح ، وما تضفى على المجلس من إيناس وسرور ، بعد أن يصف لك الكأس والشراب والندمان أبرع الوصف وأحسنه ، ثم يعود فيحدثك بلسان المجرب الملول الذى تكشفت له مضار الخمر وجناياتها على العقل والبدن والكرامة ، فى أسلوب قوى زاجر ، وبين هذا وذاك يجلو لك من معانى الحياة أروع الصور ، فالقصيدة أدب وخلق ودين واجتماع :

أبرمت عهدا جديدا طيب الأثر بين القوافى وبين الكأس والوتر
أهبت بالشعر فانقادت شوارده فى محفل بعذارى الوحى مزدهر
أصوغه من شعورى غير مدخر من سانحات القوافى أى مدخر
حررت ربقته من كل شائبة فما فتنت بمعنى غير مبتكر
ولا دعوت الى التجديد معتصما منه بكل غريب السبك والصور
ولا هذيت بأبيات أرددها من كل مضطرب صعب القياد زرى
ولا اعتديت على الأنغام " أشنقها " ولا "صلبت الدجى فى دوحة القدر"
ولا شربت "شعاع الشمس فى قدح من اللهيب ، ونحو الشمس لم أطر"
ولا "ركعت بمحراب الغرام على عطر من الوله النسكى مستعر"
إن يحر بالأدب الغربى طابعه فالشرق بالطابع الغربى غير حرى
شوارد الضاد شتى لاعداد لها ليست فرائدها ملكا لمحتكر
فاختر لشعرك منها ما يناسبه واحرص على جودة التركيب أو فذر
دع القلائص والأحداج مكتفيا بما يلائم روح العصر واقتصر
فالشعر إن لم يساير روح نهضته كالغصن جرد من نور ومن ثمر
إن يصب غيرى فإنى ما صبوت الى مهد النجائب والوخادة السمر
ولا تقدمت عصرى فى تقدمه ولا تأخرت عن عصرى فلم أسر
ولم أقل إن جفتنى من أهيم بها : ياقلب ذب ألما ، يا أدمع انهمرى

بات المغنى طريد الهم مكتئبا   وبت فى الحان خلو البال والفكر
وهى فلم يستطع صبرا ولا جلدا   وما وهى جلدى أو عيل مصطبرى
ولا وقفت على الأطلال أندبها   ولم أعج بخيام الحى من مضر
ولا أثار شجونى رسم دارسة   مالى وللبيد ، والأطلال ، والحفر
وللكؤوس التى مافى قرارتها   إلا شعاع الضحى أو مدمع الزهر
مالى وللقدح الرمزى لا وقعت   عينى عليه ، ولم يعلق به بصرى
اترع لى الكأس صرفا واسقنى عللا   على شفا جدول بالزهر مؤتزر
وهاتها علنا صهباء صافية   طال الإسار بها فى سجنها الأسرى (١)
زجاجة لو درى الخمار قيمتها   أمسى عليها شديد الحرص والحذر
قديمة العهد ما فضت بكارتها   طاف الحباب بها كالأنجم الزهر
تدعو الشفاه الى تقبيل مبسمها   بسائغ من دم العنقود معتصر
كم دار فى خلدى ما زادنى شغفا   بها ، وفى خلد الخمار لم يدر
تخالها فى وعاء الثلج نائمة   وسنى على مضجع من مائه وثر
حتى إذا نضحت من برده عرقا   حسبتها لبست وشيا من الدرر
لها على السكب فى الأقداح قهقهة   كأنها ضحكات المازئ الهذر
أتشعل الجسم نارا وهى باردة ؟   فيا لمقرورة أورى من الشرر !
من لى بعذر فأنساها وقد عذبت   طعما فما تركت عذرا لمعتذر
تديرها غادة هيفاء فاتنة   تغنيك طلعتها عن مطلع القمر
ما أنس لا أنس يوما زرت حانتها   فى جنح ليل عليل النجم معتكر
يقودنى نورها والشوق يدفعنى   دفعا لأقضى من لذاتها وطرى
دخلت فاستقبلتنى من مفاتنها   بفائح من عبير الخمر منتشر
ورائح من دخان التبغ تحسبه   سحبا من الغيم قد أشفقت على المطر
والقوم ما بين مذهول ومنسجم   وماجن قد سلا الدنيا ومفتكر
دقوا الكؤوس وراحوا يضحكون لها   ما بين مختبل يهذى ومفتخر
تناثروا شيما فى العيش واجتمعوا   حول الزجاجة عقدا غير منتثر

---

(١) الأسر بالتحريك لغة فى الزجاج

جلست منزويا فى ركن حانتها	وبادرتنى بلحظ الفاحص النكر (١)
وبادلتنى سلاما ليس يفهمه	إلا اللبيب وإلا كل مختبر
وجالستنى وحشت غير حافلة	بغير حملى على الإسراف فى السهر
واستدرجتنى الى ما لست أذكره	وافتر ضاحكها عن لؤلؤ نضر
لها حديث يثير الوجد ماجنه	تفريك رقته بالشرب والسمر
ومبسم حينما مالت به تركت	من صبغه أثرا يغنى عن الخبر
كأنه بدم العشاق مختضب	عذب المقبل أما رشفه فمرى
غنيت عن كل نقل (٢) بابتسامته	وما تضوّع من فواحه العطر
وأعين القوم لا تنفك ترشقنا	بأسهم لم تطش من لحظها الشزر
حسناء ما خاطبت عينيك مقلتها	إلا أخذت بما تحويه من حور
إن تنضب الكأس لم تنضب مراشفها	أو غارت الشمس لم تأفل ولم تغر
ترنو اليك بعين الريم باسمة	وتستبيك بلحظ الجؤذر الحذر
شفافة الثوب لم تستر به جسدا	إلا لتظهر منه كل مستتر
تدل فى خفر وهى التى جمعت	كل المفاتن غير الدل والخفر
تلامس العود كفاها فتنطقه	كأنما العود لم يقطع من الشجر
ويرسل الآه من أوتاره نغما	فكيف لو عبثت بالشارب السكر
تكاد ألحانها تبكى ولو رغبت	لأضحكتك بألحان لها أخر
وللصبا (٣) رقة هيهات يعرفها	إلا حليف الصبا (٤) من تلكم الزمر
وللبيات (٥) رنين كاد ساحره	يذيب حتى صميم الصلب والحجر
كأنه ترجمان المعجبين بها	يروى لها عن هواهم أعذب السير
ما أروع العود لو هاجت بلابله	فى حجر غانية وضاحة الغرر !
فاستلهم الكأس أو فاستوح مقلتها	تجد من الشعر لينا غير منتظر
ما زلت فى حيرة منها وفى عجب	حتى انتشيت فلم أعجب ولم أحر
ورحت فى شبه إغماء كأن يدا	شدّت على عنقى فى عنف مهتصر

(١) الفطن . (٢) ما يتنقل به على مائدة الشراب من البندق والفستق ونحوه .
(٣) نغم من أنغام الموسيقى . (٤) الوجد . (٥) آلة موسيقى .

هل مادت الأرض فاهتزت بأهلها ... أم أنها لم تدر أم خانني نظري ؟
وقمت أخطو كما يخطو الكسيح وقد ... خارت قواى ولولا السكر لم تخر
وعفت كأسى فقالت لى وما صدقت : ... اشرب ولا تخش لوم العاذل الأشر
وقل : هى الخمر كم طابت لشاربها ... واصرع بها دولة الأحزان والكدر
لو أنها ضرر ما قال خالقها : ... فيها منافع لا تخفى على البشر
ولم يمنّ التقاة المؤمنين بها ... ولا جرت من جنان الخلد فى نهر
ولم تعتق بدير وهى مسكرة ... ولا تجرّعها الرهبان فى السحر
ولا أباح لنا عيسى تناولها ... وقال هذا دمى ما فيه من ضرر
فقلت حسبك هذا الكفر فاتئدى ... فإنما الخمر إثم غير مغتفر
ما سر مشربها حتى استحال أسى ... كفى به خطرا ما فيه من خطر
كم من غنى صحيح الجسم عاقرها ... فغادرته عليلا جدّ مفتقر
وكم فتى أيّد كالليث مقتدر ... عافته وهو هزيل غير مقتدر
كم زوجة سلبتها زوجها فغدت ... على الطوى والأسى والسقم والضجر
كم طوّحت بفتى مثلى وكم طرحت ... كؤوسها فى حنايا السجن من نفر
أثيمة الوحى كم من عادل لعبت ... به ، بفار ولولا السكر لم يحر
هل فى الزجاجة غير السم تحسبه ... ماء تحلب من مستنقع قذر
لها لدى السكب فى الأقداح حشرجة ... كأنها زفرة من صدر منتحر
قديمة العهد ما فضت بكارتها ... كهانس كسدت من شدة الكبر
تخالها حية فى الثلج كامنة ... فى مسبح عكر من مائه العكر
ما كنت أعلم أن السم خامرها ... حتى سقطت صريعا شبه محتضر
لا بارك الله بعد اليوم فى قدح ... ولا لمّا لهواة الغى والدعر
ولا ملام على ما جئت من نكر[1] ... أغراك بالسكب ما أغراك بالنكر
تالله لولا فساد الناس قاطبة ... لما اندفعت بهذا المسلك الوعر
وعدت عنها ونفسى جدّ دامية ... مما رأيت وقلبى جد معتبر
كفى بها عظة ما بعدها عظة ... وحسبها أنها من أبلغ العبر
لقد تيقنت أن الخمر مهلكة ... ورحت أبكى على ما فات من عُمُرى
وقلت حين طرحت الكأس ناحية ... أبرمت عهدا جديدا طيب الأثر

فؤاد بليبل

(١) لغة فى المنكر .

الخدمات الاجتماعية في امريكا

للعلامة المربي الكبير الدكتور تشارلس واطسن
مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة

حين تشرفت بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا في الربيع الماضي — وكان رئيسا للحكومة — ذكرت له أن الرأى العام الأميركى قابل نبأ إنشاء وزارة للشئون الاجتماعية في مصر بإعجاب واغتباط شديدين ، وأني رأيت مظاهر هذا الاعجاب والاغتباط واضحة عند قيامي بالقاء سلسلة محاضرات في مدن مختلفة متباعدة في الولايات المتحدة . فلقد تحدثت الى القوم هناك عن أحوال مصر الحديثة وتبينت أن أهم ما لفت أنظارهم وأثار تعليقاتهم انما هو اهتمام الحكومة المصرية بإسعاد شعبها اهتماما جعلها تنشئ وزارة تتوفر على درس مشاكل هذا الشعب الاجتماعية والعمل على علاجها .

ولا غرابة في أن تقدر الأمة الأميركية اتجاه مصر الجديد نحو العناية بشؤونها الاجتماعية ؛ لأن أميركا تقدمت الأمم الأخرى في عنايتها بالعلوم الاجتماعية . وإني أستشهد بدائرة المعارف البريطانية في تأييد هذا الرأى إذ تقول : " بينما علم الاجتماع لا يلقى اهتماما يذكر في الجامعات البريطانية — اذا استثنينا جامعة لندن — فإنا نجد أكثر الجامعات الأمريكية ينشئ أقساما خاصة بعلم الاجتماع . " وأذكر على سبيل المثال جامعة هارفرد التي تدرس ما لا يقل عن خمسين مادة مختلفة في هذا العلم فضلا عن المواد الأخرى التي تتصل به أو تمت اليه كالاقتصاد والتاريخ وغيرهما .

ولقد دعتني " مجلة الشؤون الاجتماعية " الى أن أكتب لها كلمة عن الخدمات الاجتماعية في اميركا كما خبرتها عن كثب في زيارتي الأخيرة لبلادي . وإجابة لهذه الدعوة سأكتفي بالإشارة الى ثلاث حقائق هامة :

الأولى ، أن الشؤون الاجتماعية تشغل مكانا ظاهرا في الحياة الأمريكية ، وتحظى بنصيب وافر من العناية والتدبير والتفكير . ولقد أشرت الى مبلغ اهتمام الجامعات بالعلوم الاجتماعية ، وأحب أن أضيف الى ذلك أن الاهتمام لا يقتصر على الدراسات النظرية ، وانما هناك جهود جبارة تبذل في سبيل نقل هذه النظريات الى ميدان التطبيق العملي ، حيث تعالج المشاكل الاجتماعية التي يواجهها الشعب الأمريكي اليوم . ففي أمريكا الآن عدد لا يحصى من الجماعات

الخيرية التى تعمل لرفاهية الشعب و إسعاده : حتى إن الانسان ليدهشه عدد الصفحات التى تشغلها أسماء هذه الجماعات فى دليل التليفون فى كل مدينة من المدن الكبرى. ومع أن أهداف بعض هذه الجماعات محدودة اذ يقتصر عملها على معالجة مشكلات معينة كالصحة العقلية مثلا ويضيق ميادين بعض منها فلا تتسع الا لطائفة دينية معينة أو أفراد جنس خاص دون الآخر ، فإنا نجد فى كل هيئة اجتماعية عددا وافرا من الجمعيات التى تعمل للخدمة الاجتماعية عامة دون تمييز أو تفريق ، ومن هذا النوع الأخير الجمعيات الخيرية ، وجمعيات الملاعب الشعبية ، وجمعيات التمريض ، ولجان تنظيم الحياة المنزلية ، ولجان تحسين المدن ، وأندية الروتري ، وجمعيات الآباء ، وجماعات الكشافة ، ومعسكرات البنات . ولكل جماعة من هذه أغراض تسعى الى تحقيقها و يدل اسمها ، وهى كلها جماعات خيرية متطوعة تعتمد فى نفقاتها على الهبات التى تصل اليها . ومع أن نفقاتها باهظة جدا فإن هذه الهبات كانت الى عهد قريب تكفى لسد جميع حاجاتها .

أما الحقيقة الثانية التى لمستها فى ميدان الخدمة الاجتماعية بأمريكا فهى نقل الاهتمام بالأعمال العلاجية إلى الأعمال الوقائية . فالجهود التى تبذل اليوم لمقاومة الأمراض الاجتماعية ومنعها من التفشى أكثر من الجهود التى توجه لعلاجها بعد أن تصيب جسم الأمة وتنخر فى كيانها . فالعناية بمنع أسباب العمى والتعطل والتشرد والخروج على القوانين أشد من العناية بعلاجه ، لأن الحالة الثانية تستدعى بذل جهود ونفقات لعلاج أمراض مستمرة أو عائدة. ويبدو هذا الاتجاه الجديد فى الدوائر الطبية حيث يوجه أشد اهتمام الى الطب الوقائى ، كالعناية بصحة الأم الحامل وتعميم الكشف الطبى السنوى على كافة الأفراد . وليس من شك فى أن كشف الوسائل الوقائية للمجتمع كله يستلزم دراسة أعمق مما تستلزمه الوسائل العلاجية . ولنأخذ مثلا مشكلة التسول : فلو أردنا أن نعالجها علاجا وقائيا وجب علينا أن نسأل أنفسنا عن السبب الذى يدعو المرء الى التسول . فإذا كان السبب راجعا إلى أن الشخص قد اتخذ التسول حرفة يرتزق منها وجب استنباط الوسائل الحاسمة لقطع دابر هذه الحرفة وتحذير الجمهور من خطرها . وإذا كان السبب راجعا إلى أنه لم يستطع ايجاد عمل يرتزق منه وجب بحث علة تعطله . هل يشكو مرضا أم هو لم يدرب على عمل يقوم به ؟ هل له عائلة كبيرة ينفق عليها أو يعتمد عليه أقرباء كثيرون ؟ وما علة فقر الأقرباء ، أبهم ضعف جسمى أو عقلى يعنى بأمرهم فى منشآت عامة تقام لهذا الغرض . أم أن العلة أكثر عمقا من كل ما ذكرنا إذ هى ناشئة عن سوء النظام الاقتصادى أو الصناعى السائد فى المجتمع ؛ وجملة القول ، كيف يمكن انقاذ هذا الرجل من التسول وكيف يمكن القضاء على التسول عامة .

لذلك نجد أميركا تعج بمختلف البحوث الاجتماعية حتى أصبحنا نرى فيها جوا مهيئا للبحوث الاجتماعية على اختلاف أنواعها سواء أكانت بحوث طلاب الجامعات لاستيفاء رسالاتهم العلمية أو بحوثا منظمة تستغرق جملة سنوات تقوم بها هيئات مختلفة مثل مؤسسة روكفيلر أو مؤسسة البر العامة أو مؤسسة رومل سيج ، ونحو عشر مؤسسات أخرى تملك ملايين الدولارات .

وهناك حقيقة ثالثة يجب تدوينها هنا لنلم بكل ماله أثر فى الخدمة الاجتماعية فى أمريكا فى السنوات الأخيرة ، وهى دخول الحكومة الأمريكية فى هذا الميدان .

ويجب أن نلاحظ أنه فى تاريخ أمريكا كله كان هناك نوع من الحيطة والحذر من التدخل الحكومى المركزى فى الحقوق والحريات الديمقراطية. فلقد كان فى عالم السياسة لاتهاون فى حقوق الولاية إزاء حقوق الحكومة المركزية . أما فى الحياة الاقتصادية فقد كان المبدأ الاستفرادى هو المبدأ الأمثل. وهذا الشعور ضد مبدأ المركزية فى الحكم كان عميقا الى حد أن حكومة الولايات المتحدة لا تزال خالية من وزير للمعارف العمومية . ولا يزل التعليم من شأن الولايات وحدها . وإذا كان للحكومة أى شأن فى التعليم فإنها تكله إلى وزير الداخلية أو إلى لجنة خاصة .

ولهذا السبب بقيت الخدمة الاجتماعية إلى وقت قريب من اختصاص الأفراد والجماعات الذين يتكونها وينظمونها . ولكن حدث عقب الأزمة المالية سنة ١٩٢٩ وما تلاها من كساد عام أن شعرت جميع الهيئات المحلية المتطوعة المتفرقة بثقل العبء الذى ألقى عليها وبأنها عاجزة عن تحمله . وكانت النتيجة أن تقدمت الحكومة (الحكومة المركزية) وحكومات الولايات لتساهم فى هذا الميدان . ولا يزال الامريكيون مختلفين فى تقدير حكمة هذا العمل ، يتساءلون هل يجب أن تبقى الخدمات الجديدة من الواجبات الدائمة للحكومة المركزية بعد أن ثبت أن هناك نقيصتين تلازمان الخدمة الاجتماعية التى تقوم بها الحكومة المركزية : أولاهما إتاحة الفرصة للتدخل السياسى ، لأن كل حكومة تستطيع أن تحابى أصدقاءها ومؤيديها بالمال . والثانية سوء الادارة البيروقراطية التى لا تكاد تعرف قيمة الاقتصاد أو الكفاءة أو العطف الانسانى إذ هى بطبيعتها بعيدة عن الإحساس الشخصى .

ولكن الحكومة الأمريكية — سواء أكان عملها حسنا أم سيئا — قد تدخلت بل انغمست فى النشاط الاجتماعى وهى تنفق مبالغ بأرقام فلكية . وقد أنشئت وزارة الوقاية الاجتماعية سنة ١٩٣٥ وبها هذه المصالح :

(١) مصلحة التأمين من الشيخوخة .	(٦) مصلحة مساعدة الأطفال المعوزين.
(٢) « التعويض من التعطل .	(٧) « المبرات للأمومة .
(٣) « المعونة العمومية .	(٨) « الصحة العامة .
(٤) « الاعانة للمسنين .	(٩) « مبرات الأطفال .
(٥) « مساعدة العميان .	(١٠) « الارشاد المهنى .

وزيادة على ذلك هناك أقسام أخرى منفصلة للمساعدة فى تنسيق المنازل ومنح القروض للبناء والقروض الزراعية وعلاقات العمل ومعسكرات التدريب والأعمال العامه التى ابتكرت لاستخدام الشبان . وحين نقول إن هذا القسم الأخير — الأعمال العامة — قد أنفق عليه ٥٠٠ مليون جنيه مصرى فى سنة واحدة يمكن القارئ أن يتصور مدى اهتمام الولايات المتحدة باضطلاعها فى النشاط الاجتماعى . ويمكن أن نقول أكثر مما قلنا عن هذا النشاط . ولكن حسبنا هذا .

وفى الختام ألفت النظر إلى نقطة ذات صبغة عامة . فإن العالم كان فى القرن الماضى يحصر اهتمامه فى العلوم الطبيعية كالطبيعة والكيمياء والبيولوجيا وعلم النبات ، هذه العلوم التى توصف أحيانا بأنها العلوم المضبوطة أو المحققة أو الآلية . لأن قوانينها دقيقة معينة . ولكن العالم يلتفت الآن الى العلوم الاجتماعية . هذه العلوم التى تعالج الانسان من ناحية سلوكه وعاداته الاجتماعية . وأشق من هذا السلوك أو هذه العادات مشكلاته التى لا يسهل حلها . فان القوى التى تقترر الاتجاه والشكل هنا ليست كامنة فى الدائرة المادية أو الآلية وانما هى كامنة فى الدائرة الأخلاقية والروحية . ولذلك لا تقتصر الخدمة الاجتماعية أو العلوم الاجتماعية على بناء منازل حسنة أو إيجاد أدوية ناجعة لمعالجة المرضى ، وإنما هى تتجه أيضا إلى إيجاد مستويات عالية للأخلاق تثمر الاستقامة والذمة والغيرة على خير الآخرين ، ومراعاة النظام والولاء للمجتمع وروح الخدمة العامة ومقدار ما يمكن تنشئته وتنميته من هذه الصفات فى الحياة الاجتماعية المثلى .

دكتور
تشارلس واطسن

تغذية الفلاح

وعلاقتها بالديدان الطفيلية التى تصيبه

للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

أستاذ علم الطفيليات بكلية الطب ومدير قسم الأمراض المتوطنة بوزارة الصحة

استرعت حالة الأطفال فى معاهد التعليم المختلفة انتباه الرأى العام المصرى بما نشر عن حالتهم الصحية وسوء تغذيتهم وشدة هزالهم ، حتى قام بعض الهيئات بتنظيم حفلات يراد منها جمع التبرعات وانفاقها فى تغذية هؤلاء الأطفال . ولكن هذه الحركة التى كانت تبشر ببعض الخير لم تلبث أن سكنت وتلاشت ولحقت بغيرها من الحركات الناضة التى بتنا نتذكرها ولا نرى لها أثرا .

على أن مشكلة سوء التغذية ليست مقصورة على الأطفال فى بعض معاهد التعليم ، ولا على أطفال الفلاحين فى القرى ، ولا على أطفال العمال فى المدن . وانما هى تمتد فتشمل الكبار فى كثير من أنحاء مصر وتتجلى آثارها فى سحنهم وفى بنياتهم حتى ليجوز لنا بحق أن نضع هذه المشكلة فى قائمة مشكلاتنا القومية الكبرى .

ومسألة التغذية مسألة معقدة فى ذاتها ، وهى تزداد تعقدا كلما ذكرنا أنها تخضع لحالة الفرد الاقتصادية ، أى لمقدار كسب الفرد وكفاية هذا الكسب أو عدم كفايته لسد مطالب الحياة المختلفة وبخاصة فى الأسر الكبيرة العدد ، كما تخضع لحسن أو لسوء تصرف الفرد فى كسبه ، إذ كثيرا ما يحدث أن ينفق معظم دخله فى حفظ مظهره الخارجى على حساب ما يلزم لغذائه وغذاء أسرته ، وكما تخضع أيضا لحسن أو لسوء اختيار الفرد للمواد الغذائية التى يشتريها وهو لا يميز النافع منها للجسم من غير النافع ، وكما تخضع بعد ذلك لوفرة أو لنقص المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها فى تقدير القيم الغذائية لمختلف الأطعمة الشعبية . وهذه الاعتبارات كلها وإن تكن ذات أهمية كبرى فى بحث حالة الشعب الغذائية ، إلا أننى لن أعرض لها خشية الإطالة وخشية الدخول فى تفاصيل لا تعنى غير المتخصصين والفنيين ، ولذلك سأقصر كلامى على مسألة الديدان الطفيلية المنتشرة عدواها فى مصر انتشارا و بيلا وعلى أثرها السيئ فى تغذية الشعب المصرى .

* * *

علاقة عدوى الطفيليات بالتغذية علاقة عرفت من زمن بعيد. فلقد ذكر ابن سينا فى كتابه "القانون فى الطب" منذ تسعة قرون، أن المصابين بالدودة الوحيدة يشكون دائما من

جوع كلبي يجعلهم يقبلون على الطعام بشهية نهمة و يستوعبون منه مقادير كبيرة . ولكن العلم الحديث أثبت أن هذه الحالة ليست مقصورة على المصابين بالدودة الوحيدة ، فطالما رأينا الأمهات المصريات يقلن للطبيب إن طفلهن يأكل كثيرا ولكن لا يظهر أثر هذا الأكل فى نمو جسمه ، ثم يتبين عند الفحص أن الطفل يؤوى الكثير من ثعابين البطن (الأسكارس) فى أمعائه .

وقد تنبه قدماء المصريين لعلاقة أخرى بين لطفيليات وتغذية الفرد فقد جاء فى ورقة البردى الطبية الشهيرة Ebers Papyrus أن العدوى بالديدان تسبب بطئا فى نمو الجسم وتأخيرا فى الوصول إلى سن البلوغ .

وما شوهد على الانسان يشاهد أيضا على مختلف أنواع الحيوان فى مصر بل إن الحيوانات أسوأ حالا منه ، فالمواشى المصرية والأغنام والدواب تأكل كثيرا ولا يظهر أثر ذلك عليها ، فهى على حال سيئة من الضعف والهزال . ولا غرابة فى ذلك فكثير منها يأوى فى أمعائه آلافا من الديدان التى تمتص غذاءه ولا تترك للحيوان إلا القليل مما يأكله يمتص من الامعاء و يستخدمه الحيوان فعلا .

ولنأخذ مثلا ديدان الأسكاراس (ثعابين البطن) فهى ديدان يبلغ طول الواحد منها ربع متر و يوجد منها عادة فى امعاء المصاب بضع عشرات ، وقد تبلغ فى حالات قليلة عددا كبيرا ، فهناك طفل من قليوب خرج منه بعد العلاج ٢٥٣ دودة من الاسكارس محفوظة فى متحف كلية الطب ، فلنتصور طفلا يؤوى ٥٠ دودة وهذا ليس بالعدد الكبير تأكل طعامه العادى الذى لا يكاد يهضم حتى تلتهمه هذه الديدان الواقفة للغذاء بالمرصاد . وإذا علمنا أن كل أنثى من هذه الديدان تضع فى اليوم الواحد ٢٠٠,٠٠٠ بويضة وهى تزود كل بويضة بمقدار من المخ لغذاء جنينها داخل البويضة حتى يبلغ أشده . وإذا علمنا أن المخ هو من أدسم مواد الغذاء وأغناها لأمكننا أن نتصور المقدار الكبير من الغذاء الذى يمتصه الاسكارس من أمعاء الطفل المصاب بها وأنها لا تترك له إلا القليل لينتفع به ولعلمنا السبب فى أن الطفل يأكل كثيرا ولماذا تشكو الامهات من أن هذا الأكل الكثير لا يظهر له أثر فى نمو الطفل .

وهذا هو الحال فى الدودة الوحيدة التى تبلغ السبعة أمتار طولا وتبلغ عقدها الألف كل منها تشبه حيوانات مستقلة من الوجهة التناسلية تخزن العدد الكبير من البويضات وتحتاج لكميات كبيرة من الغذاء تزود بها أجنتها وعلى ذلك فليس هناك غرابة فى أن المصاب بها يشعر بجوع مستمر كجوع الكلاب كما ذكر ابن سينا .

وهذا هو الحال أيضا فى عدوى ديدان الانكلستوما التى تضع أنثاها ٢٠,٠٠٠ بويضة كل يوم وتمتاز الانكلستوما عن الديدان الأخرى بإفرازها سما يحدث فقر الدم و يذهب بقوى الفرد البدنية و يضعف حدة ذكائه .

أما البهارسيا المدوية فتؤثر على التغذية بإتلافها جدران الأمعاء الغليظة فتعيق امتصاص الغذاء وتفتح مختلف الميكروبات طريقا للدخول إلى الجسم .

وهـــذه الطفيليات المختلفة لاتنتشر بنسبة واحدة فى أنحاء القطر المصرى فهى أكثر انتشارا فى الوجه البحرى منها فى مصر الوسطى ، وهى نادرة الوجود فى مصر العليا أى مديريات جرجا وقنا وأسوان ، وذلك يرجع الى انتشار الرى بالراحة وكثرة ترع الرى وارتفاع مستوى المـاء فى باطن الأرض ورطوبة التربة .

فبفحص سكان قرية صفط العنب فى مركز كوم حماده تبين أن ٩٦٪ منهم مصابون بعدوى الطفيليات بينما تبين بفحص سكان قرية السباعية بمديرية أسوان سنة ١٩٣٣ أيام ريها ريا حوضيا أن بها صفر٪ مصاب بعدوى الطفيليات ، ولكن بعـد إدخال الرى الصيفى اليها بواسطة الطلمبات صارت عدوى البلهارسيا بها ٤٤٪

وانتشار عدوى الطفيليات له أثر محسوس فى حالة التغذية ولكن كثيرا من الباحثين قد أغفلوها عند دراستهم هذا الموضوع ، فمتوسط كسب الفلاح فى أراضى الدلتا يفوق كثيرا مايكسبه زميله فى مديريات جرجا وقنا وأسوان ، وكمية الغذاء التى يتناولها الفرد فى الوجه البحرى أكثر وأسخى ومتنوعة إذا قورنت بما يأكله الأفراد من نفس الطبقة فى المديريات الجنوبية وهم الذين تنتج أراضيهم محصولا واحدا فى السنة عقب فيضان النيل ثم تستمر جرداء معرضة للشمس المحرقة باقى العام الى أن تغمرها مياه الفيضان فى العـام التالى .

إن أصحاب الأملاك فى هذه المديريات الجنوبية متذمرون من هذه الحالة ويطالبون الحكومة دائما بتحويل أرضهم من رى حياض إلى رى مستديم ليزيد دخلهم ، ولكننا إذا قارنا صحة سكان هـذه المناطق الجنوبية بصحة سكان الدلتا لوجدناهم أحسن المصريين صحة وأقواهم عضلا وأطولهم أعمارا فعليهم نعتمد فى الأعمال الشاقة كتعبيد الطرق وإنشاء المبانى الضخمة ومـد الطرق الحديدية وشق الترع والمصارف حتى فى أنحاء الدلتا نفسها وشحن وتفريغ السفن فى الموانئ ، فهو هو الصعيدى الذى يحتكر هذه الأعمال وما ذلك الا أن المقاولين قد وجدوا بالخبرة أنه أكثر انتاجا وأشد قوة من سكان الدلتا ، ولو شاهدنا هؤلاء الصعايدة مجتمعين فيما يسمى التراحيل لوجدناهم يعيشون على طعام تافه يحملونه فى أكياس من الخيش يكون معظمه من الخبز الجاف المصنوع من الأذرة والشعير وقليل جدا من الأدام مما يجدونه فى المزارع فى الأماكن التى يشتغلون بها .

ومرض البلاجرا وهو أهم مظهر لنقص التغذية فى مصر لا أثر له فى مـديريات الوجه القبلى الجنوبية ، ومعظم حالاته فى ريف الوجه البحرى حيث وجد فى بعض القرى أن نسبا عالية من السكان مصابون به ، وهـذا المرض يسبب طفحا جلديا فى الأجزاء الظاهرة من

الجسم التى لاتغطيها الملابس كالوجه والرقبة والصدر خارج حدود الجلباب ، وكذلك اليدين عند نهاية الأكمام والقدمين وهذا الطفح يسميه الفلاح القشف . هذا المرض هو الذى يعتمد عليه الباحثون فى تقرير نقص التغذية وتحديد مناطقها فى مصر . وقد وجد أن الطفيليات موجودة بكثرة فى الأفراد المصابين بهذا المرض حتى أن بعض الباحثين قد قرر أن البلاجرا فى مصر نتيجة لعدوى الديدان واعتبر الطفيليات كسبب مباشر للمرض. فأثناء الحرب الماضية تفشى مرض البلاجرا بين أسرى الاتراك فى المعادى ولا توجد البلاجرا فى بلادهم الأصلية وانتهى الباحثون إلى أن السبب فى تفشى المرض هو عدوى الاسكارس التى انتشرت بين الأسرى . وقد وصل بعض الباحثين المصريين إلى أن البلاجرا فى مديرية البحيرة سببها العدوى بالبلهارسيا المعوية ، ولكن المتفق عليه الآن هو أن الطفيليات تسلب الناس غذاءهم أو تعطل امتصاص الغذاء من الأمعاء فتسبب البلاجرا ، فليست العبرة بكمية الغذاء التى يتناولها الشخص بل بكمية الغذاء التى تمتص نهائيا من أمعائه و يستعملها جسمه ، ولاشك أن أهالى المديريات الجنوبية يستفيدون الفائدة التامة من كل ما يأكلون . وعلى تفاهة غذائهم فهو كاف لاحتفاظهم بحيويتهم كاملة بينما سكان الوجه البحرى تسلب الطفيليات معظم غذائهم على كثرته فتظهر عليهم علامات وأمراض نقص التغذية .

وللتغلب على هذه الحالة لنا أن نختار بين طريقين فإما أن نزيد فى غذاء الأفراد وتلاميذ المدارس حتى يمكننا أن نسد حاجة الطفيليات ويبقى ما يكفى لجسم الشخص أو أن نطرد الطفيليات ونعمل على عدم الإصابة مستقبلا فيكفيهم غذاؤهم الحالى .

وقد اتجه الرأى إلى العلاج الأول لأنه لم يتنبه الكثيرون إلى السبب الحقيق فى نقص التغذية وقامت تلك الحركة الكبيرة وجمع المال لإعطاء أطفال المدارس غذاء إضافيا ولم تلبث تلك الحركة أن جمدت ويكاد لا يكون لها أثر الآن . بل إننا نسمع أن الظروف الاقتصادية قد قضت بتخفيض كمية الغذاء التى يتناولها الطلبة . ولا شك أن هذا العلاج ليس بالأفضل فلو عالجنا هؤلاء الأطفال من هذه الديدان وهذا سهل ميسور لأصبنا كما يقال عصفورين بحجر واحد فشفيناهم من الأمراض التى تنشأ عن عدوى الطفيليات وهى مهمة خصوصا فى بيئات التعليم ، كالتأخر فى نمو الجسم و بلادة التفكير والذاكرة وكثرة النسيان والانيميا وهذه كلها ذات أثر لا يستهان به فى الهبوط بمستوى التعليم ويكون نتيجة التخلص من الطفيليات أن يصبح الغذاء الحالى كافيا فى أكثر الحالات .

وفحص الفرد لعدوى الطفيليات وعلاجه منها أمر سهل ميسور فمستشفيات البلهارسيا والانكلستوما المنتشرة فى طول البلاد وعرضها تعمل ذلك بدون أجر، وفحص البول والبراز مكرسكوبيا فى أى معمل للتحليل كفيل بمعرفة ما هنالك من الديدان الطفيلية . ويجدر بوزارة المعارف أن تعمم نظام فحص التلاميذ جميعا للوقوف على ما بهم من عدوى الطفيليات

وعلاجهم منهـا . وسترى إن فعلت أن ما سينتجه ذلك من رفع مستوى التعليم يعوضها أضعاف ما أنفقته فى سبيل الفحص والعلاج . فقد حدث أن بعض الأطباء زار مدرسة فى مكان ناء فى كينيا وفحص جميع التلاميذ للطفيليات وعالج المصابين منهم، وكان يشرف على المدرسة جماعة من الإرساليات الدينية فلاحظوا أن أكثر التلاميذ الكسالى والتلاميذ المشاغبين والذين يتكرر سقوطهم فى الامتحان مصابون بالانكلستوما وقـد تحسنت حالتهم بعد العلاج بشكل ظاهر فاتبعوا خطة علاج جميع الراسبين بعد كل امتحان بدون فحصهم طبيا لتعذر ذلك فى مكانهم الثانى وكانت النتائج طيبة جدا فى إصلاح حال التلاميذ .

فيجدر بكل والد أن يعمل على فحص أبنـائه دوريا لعدوى الطفيليات وعلاجهم منها خصوصا إن شـاهد على أحدهم سرعة نسيان ما يحفظه من الدروس أو عدم القـدرة على المذاكرة طويلا أو إذا شاهد المعلم عدم قدرته على الإصغاء والانتباه طول وقت الدرس فقد يكون الفحص وعلاج الطفل فى ذلك الوقت له أثره البالغ فى تحسين مستقبل حياة الطفل بل وتحويله من فشل محقق إلى نجاح تام .

دكتور

محمد خليل عبد الخالق

من حكم الإمام على

إن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحاسن الأمور التى تفاضل فيهـا المجداء والنجداء من بيوتات العرب و يعاسيب القبائل ، بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة والأخطار الجليلة والآثار المحمودة. تعصبوا لخلال الحمد: من الحفظ للجوار : والوفاء بالذمام والطاعة للبر ، والمعصية للكبر ، والأخذ بالفضل ، والكف عن البغى ، والانصاف للخلق ، والكظم للغيظ ، واجتناب الفساد فى الأرض .

بعض عيوبنا الاجتماعية

لحضرة صاحب العزة محمد البابلي بك

مدير مدرسة البوليس والادارة

قد يكون الكلام عن عيوبنا وعن نواحي النقص في عاداتنا وتقاليدنا وأخلاقنا من قبيل الحديث المعاد والقول المبتذل، غير أني لا أرى حرجا من التكرار طالما أننا ما زلنا حيث كنا من تلك العيوب، نراها تتجدد على مشهد منا كل يوم بل كل لحظة، ونلمس ما علق بسببها من أثر ضار بسمعتنا، ونشعر بعقم الجهود التي يبذلها قادة الرأى ودعاة الإصلاح للتخلص منها والقضاء عليها .

ولست أزعم أني محيط بتلك العيوب جميعا ولكني سأحاول أن أتناول بعضها بالقدر الذى يسمح به المقام . مبتدئا بأشدها أذى وأكثرها ذيوعا وانتشارا . ذلك هو ما يسمى بالأثرة أو الأنانية وهو أس العيوب ومصدرها . والانانية فى الأصل غريزة حيوانية فطرت عليها كافة المخلوقات المحرومة من نعمة العقل، والمنحطة الحس والادراك ، فهي أقوى ما تكون فى الوحوش والبهائم والمواشي ، وفى الهوام والحشرات ، اللهم الا فى أنواع قليلة كالنمل والنحل اختصها الخالق سبحانه وتعالى بميزة فضلها بها على غيرها، فعلمها كيف تتعاون وتتضافر فى سبيل الخدمة العامة، وأصبحت بفضل هذه الهبة الآلهية مضرب المثل فى التصميم ودقة النظام ، ولعله جل شأنه قد اختارها مثلا للناس ليأخذوا منها القدوة الصالحة و يتعاونوا على البر والتقوى .

والأنانية غريزة بشرية ايضا ، فالانسان بفطرته أنانى، تراه اذا ما لقى خيرا هرول اليه ليغترف منه لنفسه ما يستطيع اعتراف، ولو كان فى ذلك زيادة على حاجته، واغتيال لرزق ابناء جنسه ، وحرمان لأهله وعشيرته . واذا ما أوجس شرا أوأحس خطرا ولى مدبرا ، غير مفكر إلا فى انجاة بنفسه ، ولا مكترث لمن يدوسهم فى طريقه أو عابئ بمن يتعلقون بأذياله من مواطنيه الضعفاء مستنجدين مستغيثين . قال الله تعالى : (خلق الإنسن هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً) . هكذا خلق الانسان غير أن الله جلت قدرته قد وهب له عقلا يستعين به على تهذيب تلك الغريزة الضارة ومقاومة فعلها فى نفسه ، ولذلك ترى الانانية تفتر وتضعف فى الانسان كلما نما عقله ، تشب وتقوى فيه كلما انحطت مداركه وتراها أقوى فى الطفل منها فى الرجل، وتراها أقوى فى الجاهل منها فيمن هذبت نفسه التربية وصقلت

مداركه الثقافة . أرأيت الى صاعد الجبل كلما ارتقى درجة منه اتسع مدى بصره واتسعت دائرة اشرافه فتكشف حوله من الكائنات ومن الخلق ما لم يكن يراه منذ كان فى الدرجات السفلى ؟ كذلك الإنسان فى أطوار حياته كلما ارتقى عقله وسمت مداركه أحس أنه لم يخلق لنفسه وأن لا كيان له إلا بإخوانه وأعوانه وأمته . فالانانية كما ترى تسير فى محاذاة درجة الجهل وانحطاط المدارك ، تزداد بارد يادها وتهبط بهبوطها . غيرأنى أقول والأسف ملء جوانحى إن الانانية ما زالت بيننا منبثة سمومها ممتدة جذورها حتى لم تنج من شرها طبقاتنا المثقفة وأقول والألم يحز فى نفسى إن آثارها الضارة ومظاهرها الخبيثة مازالت قائمة كالصخرة الصماء فى سبيل نهضتنا وتقدمنا .

الأنانية هى عدو التعاون الألد ، والتعاون كما تعلمون هو المؤونة التى تشد بنيان الأمة شدا والتى لولاها لانهار ذلك البناء انهيارا . هى عدو التعاون لأنها تحجب عينى الأنانى بغشاء كثيف من صورة شخصه وذاته فلا تبدو له صورة الغير من خلاله إلا شبحا باهتا ضئيلا . الأنانية تطارد روح التعاون لتقضى عليها أينما وجدتها ، تقتل روح التعاون فيما بين الشعب والحكومة فترى الرجل الذى تشربت نفسه بالأنانية يلقى كل عبء فى ميدان الاصلاح على عاتق الحكومة ، ويتروى كلما طولب بالمساهمة فى مشروع مهما عاد ذلك المشروع على الانسانية بالنفع ومهما جلب للبلاد من خير فلا يكترث له إلا بالقدر الذى يعود عليه هو بالفائدة العاجلة فإن لم يجده كذلك أعرض عنه ونفض يده منه ، أما إذا قضت عليه الظروف أن يساهم فيه فلايفعل إلا كارها مرغما لافرق بينه و بين الأغنام تهرع الى العشب لنأكل ثم تنام ولا تجود بضرعها وصوفها الا على غفلة أو قهر منها . حدث فى إحدى بلاد الوجه البحرى أن شب حريق هائل ، التهم ما يقرب من ثلث مساكن البلدة فتألفت فى الحال لجنة من رجال البر لإسعاف المنكوبين ، غير أن هذه اللجنة قضت يومين كاملين فى جدل ومناقشة وخلاف على أى الأعضاء يكون رئيسا وأيهم يكون نائبا للرئيس وأيهم يتولى أمانة الصندوق .

والأنانية تقتل روح التعاون فيما بين أفراد الأمة فى كل ناحية من نواحى حياتهم الاجتماعية . تقتلها فى البيت فترى الزوج الأنانى ينكل عن النهوض بأهم عبء من أعبائه وهو تربية أولاده فيلقيه على زوجه محتجا بانشغاله بعمله خارج البيت بينما الزوجة من جانبها تلقيه على زوجها معتذرة بعملها داخل البيت ، وترى أفراد الأسرة يسعى كل منهم وراء أطماعه وشهواته على حساب تضامن الأسرة وسمعتها فتنحل بذلك رابطة الاسرة ، والأسرة هى الخلية التى يتكون من مجموعها جسم الأمة والتى لا حياة له بغيرها .

والأنانية تقتل روح التعاون فى ميدان المهنة والحرفة فترى صاحب العمل يبذل جهده للإكثار من أرباحه ومكاسبه ولو كان فى ذلك إرهاق أو ظلم لعماله بينما العامل من ناحيته لا يهمه تحسين إنتاج عمله بقدر ما يهمه نيل أجره فتصبح النتيجة خسارا على الاثنين .

والأنانية تقتل روح التعاون حتى فى ميدان الرياضة والتسلية فترى اللاعب الأنانى يحصر همه فى أن يثير استحسان النظارة له و إعجابهم بشخصه ولو أدّى ذلك إلى خسارة فريقه .

والأنانية تقتل روح التعاون حتى بين طوائف الموظفين الحكوميين وهم الذين ما خلقت وظائفهم إلا ليتعاونوا لخدمة المجتمع ، وتضعف فى الموظف روح الشعور بواجبه وتحمله على تغليب مصلحته الشخصية على المصلحة العامة أو الخلط بين الشؤون الفردية والشؤون المصلحية ، فإذا ما أوجده عمله الرسمى فى طريق شخص بينه و بينه خصومة أو نزاع طغت فيه الكراهة الشخصية على روح الواجب فعمد إلى استغلال سلطته لتعطيل مصلحة ذلك الخصم مفرطا فى واجب الأمانة والنزاهة والمساواة بين الناس ، و إذا ما وجه نظره إلى خطأ ارتكبه أو تقصير بدا منه ممن ليس له عليه سلطان الرياسة عز عليه أن يقر بخطئه وأوحت اليه أنانيته الممقوتة أن صون كرامته لا يكون إلا بالتشبث بذلك الخطأ ومحاولة الدفاع عنه ولو من طريق الحجة الزائفة والجدل الكاذب .

ومن مظاهر الأنانية بين طائفة الموظفين ما أسميه "بالدفاع عن الاختصاص" فاذا ما اقتضى عمل من الأعمال تبادل الرأى والمعونة بين مصلحتين أو أكثر فإن كلا من رؤساء تلك المصالح ، بدلا من أن يمدّ يده لزميله مرحبا بمعونته مبتهجا بمساعداته ، ينصب نفسه للذود عما يسميه اعتداء على كرامته أو تدخلا فى اختصاصه كأنما المصلحة التى يرأسها حصن وكلت إليه حمايته من عدو مغير . ولا يلبث العمل أن يتعثر فى العقبة تلو العقبة إلى أن يموت ويدفن شهيدا لهذا النوع الغريب من الدفاع .

وهناك ما اسميه " النزاع على عدم الاختصاص " وأمره أغرب وأعجب . فإذا ما طرأ حادث قد يجر إلى مسئوليات مشتركة فإن كلا من أولئك الرؤساء أنفسهم تلقاه دائب السعى فى التنصل من تلك المسئوليات و إلقاء حملها على زميله .

حدث فى قضية جنائية أن قتل شخص وعثر على جثته ملقاة على حدّ فاصل بين مركزين مختلفين فقام بينهما على الفور نزاع هائل على تحديد موضع الجثة من ذلك الحدّ و بادر كل منهما إلى إحضار الخرائط والقياسين والمساحين توصلا لإثبات أنه غير مختص وغير مسئول عن تلك الجناية ، ثم تطور الأمر إلى نزاع آخر على ما اذا كانت الجثة قد نقلت من مكانها عمدا بقصد تغيير جهة الاختصاص واتسع نطاق البحث والتحقيق فى ذلك النزاع إلى درجة تضاءلت معها قضية القتل ذاتها حتى كاد ينسى القتيل وقاتله .

ومن مظاهر الأنانية ما نشاهده أحيانا من أن الموظف الأنانى الذى قد يكون أراق ماء وجهه فى سبيل الحصول على وظيفته لا يكاد يستقر فى كرسيه حتى يتجه بكل همة الى البحث عن حقوقه المقبلة وعما سوف يحظى به من ترقية أو علاوة فينقب باحثا فى القوانين واللوائح

المالية مستعجلا العلاوات مغاليا فى الطلبات متعللا بالاستثناءات، مناديا بما يسميه العدالة والمساواة ضاربا المثل بمن نالهم حظ الاختيار فسبقوه وهو يكاد فى ذلك كله ينسى أو يتناسى عمله الرسمى وينسى أنه يتقاضى عن هذا العمل أجرا طالما حفيت أقدامه للفوز به وينسى أن القيام بذلك العمل فرض واجب وأمانة مقدسة يجب أن يؤديها وأن يقدم أداءها على كل مطالبة بحق وأن من التفريط فى تلك الأمانة أن يعلق قيامه بهذا الواجب على الحصول على الحق إن كان ثمة حق ، والويل كل الويل لأمة عرفت حقوقها وتناست واجباتها .

ومن مظاهر الأنانيـة الميل للدعاية الشخصية والإعلان عن النفس فترى الرجل الأنانى لا يقبل على اداء واجبه الا اذا أحس أنه موضع الأنظار ومهبط الأنوار، فإن قام به وصدفه الحظ والتوفيق فى أدائه دون بذل مجهود خارق أو تعرض لخطر داهم، راح يطرق الأبواب مستدرا الاستحسان مستجديا عبارات الثناء والإطراء فإن لم يفز ببغيته فترت همته وثبطت عزيمتـه . ولعل أبرز مثل لذلك ما ذكرته إحدى الصحف من أن أحد متطوعى مصلحة الوقاية ذهب اليها معاتبا لأنها لم تنشر عنه كلمة تشيد فيها بما بذل من تضحية فى سبيل الوطن

والأنانيـة تجر الى الغرور لأنها تقوى فى الشخص الأنانى روح الإعجاب بنفسه وتضله أو تعميه عن معرفة عيوبه فلا يراها ولا يحاول أن يلم بها أو أن يصلحها فيصم آذانه عن النقد الذى يصيق به صدره بينما هو يفتحه واسعا لسماع ما يلقى اليـه من عبارات الملق والمداهنة والرياء . وكثيرا ما ذهبت مصلحة المجتمع ضحية بريئة لمثل تلك العيوب .

محمد البابلى

الحيـاء

قال النبى صلى الله عليه وسلم : " لكل دين خُلق ، وخلق الإسلام الحياء " .

وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب : "من كساه الحياء ثوبه ، لم يرَ الناس عيبه" .

وقال أديب : " لا يزال الوجه كريما ما بقى حياؤه ، كما لا يزال الغصن رطيبا ما بقى ماؤه " .

الحرب وصناعاتنا الوطنية

قلة الواردات والتعويض عنها

عندما تريد أمة ما تشجيع الانتاج فى بعض محصولاتها أو مصنوعاتها تعمد إلى مايسمى الحماية الجمركية . ومعنى الحماية الجمركية إقامة سور جمركى يمنع دخول البضائع الأجنبية إلا بعد أن تحتمل مكسا جمركيا عاليا يجعلها غالية الثمن فيقل ورودها وتكسد تجارتها ، أو هى تمنع بتاتا من الدخول . والقصد من ذلك إتاحة الفرصة لزراعة أو صناعة ناشئة أوضعيفة حتى تثبت وتغل على أصحابها ربحا يشجعهم على المضى فيها والتوسع فى استثمارها . وقد تتحمل الأمة فى سبيل ذلك غلاء . ولكن هذا الغلاء هو التضحية التى تضحى بها من أجل الزيادة فى الإنتاج والثراء .

وقد كنا الى حوالى سنة ١٩٢٩ مرتبطين بتعهدات تمنع الزيادة فى المكوس الجمركية ، فلم تكن صناعاتنا بل ولا زراعاتنا تجد أية حماية ، وكان لهذا السبب يشق علينا أن ننشئ صناعة جديدة يجب أن تزاحم من السنة الأولى من عمرها صناعات راقية راسخة فى أوربا وأمريكا تدخل منتجاتها بلادنا بمكس جمركى لا يزيد على ٨ فى المائة من ثمنها .

ولكن بعد سنة ١٩٢٩ استطعنا أن نشرع فى سياسة جمركية جديدة نظرنا فيها الى الزيادة فى ايرادات الدولة من جهة والى حماية الإنتاج الأهلى من جهة أخرى . فما لا تصنعه بلادنا يدخل الى أسواقنا بأقل المكوس التى تفرض بأعلى مانستطيعه على البضائع أو المحصولات الأخرى التى تزاحم منتجاتنا . ومن هنا زيادة المكوس الجمركية على القمح مثلا وعلى الأقمشة . فإننا بالأولى نحمى محصولا زراعيا خطيرا سواء فى قيمته للغذاء أو فى قيمته للدورة الزراعية . ونحمى بالثانية صناعة جديدة ناشئة .

ولكن عندما تنشب حرب عالمية كهذه الحرب التى تعانيها أوربا تشل الحركة الملاحية فى أنحاء العالم فيصعب النقل . كما أن مصانع الدول الكبرى تشتغل بالإنتاج الحربى بدلا من الإنتاج لحاجات السلم . وعندئذ تقل الواردات الأجنبية وتكتفى كل أمة مضطرة الى مواردها الأصلية تستغلها بقدر المستطاع . فاذا لم تكن بها صناعات قديمة راسخة فإنها تعانى الأمرين فى كفاية نفسها من حاجات ضرورية يندر وجودها أو حتى ينعدم .

وفى الحرب الماضية عانينا المشاق العظيمة لقلة الواردات الأجنبية التى أدت قلتها بل ندرتها الى ارتفاع أسعارها حتى بلغت حدا عاليا من الغلاء الفاحش . فكنا نشترى الحذاء بجنيهين أو ثلاثة جنيهات مع أنه لم يكن قبل الحرب يزيد ثمنه على أربعين قرشا . وكنا

تشترى البذلة بسبعة أو عشرة جنيهات مع أن ثمنها كان يتراوح قبل الحرب بين ٣و٤ جنيهات. وشلت حركة البناء حتى وقفت لأن كثيرا من مواد البناء كانت ترد من أوربا مثل الخشب والحديد وأدوات الارتفاق . ولذلك ازدحمت المدن الكبرى بالسكان وارتفعت أجور المنازل حتى تضاعفت فى بعض الأحيان لوفرة الإقبال وتزاحم عليها وانقطاع البناء .

أما فى هذه الحرب فان الحال لم تبلغ السوء الذى بلغته فى الحرب الماضية، وذلك بفضل بعض المنشآت الصناعية مثل مصانع شركة مصر بالمحلة الكبرى للغزل والنسيج، ومصانع الغزل فى الاسكندرية ، ومصانع الآنية بالاسكندرية ، ومصانع الجوارب والملابس التحتانية . ومصانع الكؤول فى حلوان . ومصانع العقاقير لبنك مصر، ومصانع الزجاج بالقاهرة. ومصانع الفخار المموه . وكذلك مصانع الورق الخشن . وهذا الى إحياء الصناعات المقرونة للنسيج . فإن هذه الصناعات كانت قد ماتت أو كادت تموت قبل سنة ١٩٢٩ لأن المنسوجات الأجنبية أغرقت أسواقنا . ولا يمكن النول البلدى أن يبارى الآلات العصرية الكبيرة فى انخفاض الثمن وإن يباريها فى المتانة والدقة. ولكن بعد زيادة الرسوم الجمركية على الأقمشة الأجنبية استطاع النول المصرى أن يسترد حياته كما استطاع بنك مصر أن يجد الرواج لمصنوعاته التى أعدّ لها آلات عصرية من القياس الكبير والوزن الثقيل والإنتاج الوفير .

ولا يستطيع انسان أن يصف الحرب بأنها فرصة ذهبية لنا يجب أن ننتهزها . فان الحرب مأساة لا تقتصر على المتحاربين بل تعم العالم كله . وهى كارثة فى ذاتها ، وقد تجر وراءها كوارث. ولكن فى جميع الحروب هذه السمة العامة، وهى شل المواصلات وضعف الانتاج الصناعى وقلة الواردات والصادرات . وقد بدأنا نحس هذه الحال ورأينا أقمشة الصوف التى تستعمل فى بذلة الرجال ترتفع أثمانها ، كما رأينا هذا الارتفاع فى جميع الأدوات والأجهزة الكهربائية والأثاث المعدنى والخشب والمعادن عامة . وقد وقفت بالفعل حركة البناء . بل أصبح ترميم المنازل كثير التكاليف لندرة الأدوات الصغيرة مثل الأقفال أو الحنفيات أو أحواض الاغتسال . وحركة البناء هى أعظم الحركات استيعابا لمختلف الأعمال ، فوقوفها يؤدى الى ركود فى كثير من الصناعات . بل قد رأينا ندرة أخرى تمس بيوتنا هى ارتفاع الثمن لأطباق المائدة من قرش الى خمسة قروش. ولم ترتفع أثمان الأحذية، لأن هناك حماية جمركية معتدلة استطعنا بها أن نقى هذه الصناعة من البوار . وهى مع انها لا تزال صناعة يدوية فإنها احتفظت بمكانتها وثبتت .

ونعود الى ما قلنا ، وهو انه على الرغم من أن الحرب ليست فرصة ذهبية لأحد ولا يصح أن تكون كذلك فإنها فى الواقع كذلك عندما نذكر الصناعات الوطنية . لأن الواردات الأجنبية قد قلت بل ندرت ، وأحيانا انعدمت فكأن مصنوعاتنا تحظى بحماية جمركية مانعة مدة

هذه الحرب ولذلك يمكننا أن ندفعها الى الأمام ونثبتها اذا كانت ضعيفة مزعزعة أو نبعثها ونجددها اذا لم تكن قائمة .

فنحن نعانى مثلا أزمة فى ورق الطباعة . وهى أزمة عاتية جعلت ثمن الرزمة يرتفع أحيانا من ١٤ قرشا الى مائة قرش أى ما يقرب من سبعة أضعاف الثمن السابق للحرب وقد شلت حركة الطباعة لهذا السبب وأصبح الفقراء بل المتوسطون من التلاميذ يقوون الأمرين فى الحصول على ثمن كراسة يتعلمون فيها . وقد قيل لنا منذ سنة ١٩٣٣ إن فى النية انشاء مصنع عصرى للورق . ولكن ما زلنا بعد سبع سنوات ولما يتحقق هذا المشروع . وهذا مع العلم بأن ورق التعبئة للحم والبقول يصنع فى مصر من قش الرز وغيره . وكان يمكن بقليل من التبصر أن نساعد مثل هذا المصنع الذى يصنع ورق التعبئة ونجعله يرقى و يتوسع الى أن يصنع ورق الطباعة . وليس من الضرورى أن ننتظر مكتوف الأيدى حتى ننشئ المصانع الضخمة بآلات عصرية اذا لم يكن هذا الانشاء فى طاقتنا العلمية أو المالية . ولا يزال الورق الفاخر يصنع فى ايطاليا بالأيدى دون الآلات الكبرى . فلماذا لم نتعلم هذه الصناعة قبل الحرب بل لماذا لم تعمد حكومتنا الى ذلك المصنع الذى يصنع ورق التعبئة الجاف فتبعث بعض عماله الى أوروبا لدرس صناعة الورق الفاخر ؟

ولكن لأسف لا يجدى . ومع ذلك هناك صناعات كثيرة يمكننا أن ننتهز الفرصة الحاضرة لإحيائها والتوسع فيها ما دامت الواردات الأجنبية لا تصل الى مصر ولا تخشى مزاحمتها لمنتجاتنا . وقد تمشت بيننا الأنوال اليدوية عقب الحرب . ولكن النول ينسج فقط والنساجون يحتاجون الى الغزل الأجنبي . ولذلك لا ينتظر للنساجين المصريين نجاح كبير ما لم يجدوا الغزل الوطنى . وهو الآن غير متوافر . ولسنا فى حاجة بعد هذا الذى ذكرنا الى تنبيه الجمهور الى ضرورة الإقبال على المصنوعات المصرية . فان الحكومة قد آثرتها على غيرها من المصنوعات الأجنبية ونبهت جميع مصالحها الى ضرورة رعايتها ، كما أنها حمتها بمكوس جمركية عالية . فيجب على الجمهور أن يماشى الحكومة فى هـذه الرغبة ويقبل على شراء المصنوعات الوطنية و يؤثرها على غيرها . وهو بهذه الوطنية العمليـة يوجد شعورا بالقومية الاقتصادية و يفتح أبوابا للرزق لأبناء مصر وينقلنا من حضارة زراعية بدائية الى حضارة صناعية راقية .

ومما يجدر ذكره هنا أن القانون الخاص بانشاء الشركات المساهمة يشترط شروطا قاسية مثل أن يكون ثمن السهم ٤ جنيهات وألا يقل المدفوع عن ٤٠٠٠ جنيه ثمن ألف سهم قبل منح الامتياز . ونظن أنه يمكن تشجيع الجمهور على اقتناء الاسهم اذا خفضت هذه الشروط الى مستوى الاقتصاد العام . فان جمهورنا لا يزال يجهل قيمة التضامن ويحتاج لذلك الى التشجيع .

غرس الأخلاق بالمرانة

ومقام البيت فى ذلك

بقلم الأستاذ سلامة موسى

بيت من بيوت القاهرة يحتوى عائلة كثيرة الأولاد قد استأجرت خادمة صبية من الريف بأجر رخيص . وقد انتقلت هذه الصبية وهى فى الثانية عشرة من بيئة الحقل ونقل السماد والتفل فى الشمس الى بيئة الحضارة فى القاهرة حيث المنزل الذى فرش بالسجاد وأضىء بالمصابيح الكهربائية، وحيث المائدة التى يجب أن تمسح وتنظف بعد كل وجبة ، وحيث الاستحمام وغسل الملابس لا ينقطعان. فالانتقال عندها من الريف الى القاهرة ليس انتقالا جغرافيا فحسب ، وإنما يجب أن يكون انقلابا نفسيا أقل ما يحتاج اليه أن تتغير هذه الصبية فى إدراكها لمعانى النظافة والمواعيد ورنة الصوت، وأن تغير هندامها الجسمى ثم هندامها الذهنى.

ولكن الصبية ليست كفؤا لهذا الانقلاب. أوهو يسير فيها ببطء، وهى لذلك تصطدم مع الأولاد اصطدامات متوالية. تخرج من المنزل لشراء حاجة فتسير فى الشارع على الأسلوب الذى تعلمته فى الريف متوانية متلفتة متطلعة ثم تعود متأخرة فيعاملها الأولاد بالسباب والضرب . وقد تطلب منها ربة البيت تنظيف الأطباق أو غسل الجوارب فتؤدى هذين العملين وفقا لمستوى النظافة الذى بلغته فى الريف حين كانت تغسل "ثوبها" على حافة الترعة بلا صابون وبلا حاجة الى غلى الماء . فتجد من سيدتها أيضا السباب والضرب .

والمتأمل لهذا البيت لايسعه إلا الشعور بأن هذه الصبية هى الآن وسيلة لتمرين أعضاء هذه العائلة على أسلوب من المعاملة يقوم على السباب والبطش والكراهية والاحتقار . فإن ألفاظ " يابنت الكلب" " والله لأموتك" تجرى على ألسنة الأولاد فى البيت عند مخاطبتها وأحيانا تمتد أيديهم بالضرب وأرجلهم بالركل لجسمها الصغير . فالخادمة معذبة ومعذورة . لأنها نشأت على أقيسة ريفية فى النظافة والإنجاز لا تستطيع تغييرها بأقيسة المدينة . فهى لذلك تضرب لكى تغير هذه الأقيسة . ولكن الأولاد أيضا قد وجدوا فيها مرانة جديدة للأخلاق . هذه الأخلاق التى نتعلمها فى البيت والشارع أكثر جدا مما نتعلمها فى المدرسة. ونحن نحرص على ألا يختلط أولادنا بالصبيان الفاسدين من البيوت المجاورة . ولكننا ننسى أن فى وسط بيتنا صبية خادمة يتدربون بها على الشتم والضرب وسائر ألوان العنف . وأنهم سينشأون على اتخاذ العنف وسيلة للمعاملة . فقد تعلموا مع هذه الصبية حين كانوا يغضبون

منها أن يعبروا عن هذا الغضب بالشتم والضرب . فيجب لذلك أن نعرف انهم لن ينسوا هذا الأسلوب حين يسبون و يغضبون من زملائهم أو رؤسائهم . لأننا وقت الغضب نعود الى أسلوب الطفولة ونعمل به . فإذا كنا قد تعلمنا التمالك والأناة فإننا نتمالك ونتأنى . واذا كنا قد تعلمنا السباب والضرب فإننا نسب ونضرب . لأن الغضب لا يترك لنا مجالا للتفكير .

فقد نعيش السنين ونحن نعتقد أننا نمتاز بالأخلاق الهادئة واننا نكره الاعتداء والعنف . بل ربما كان هذا اعتقاد من يعاملوننا . ثم تصادفنا حادثة فى الطريق أو المكتب فنفجر بالسباب أو نعتدى بالضرب . حتى اذا انتهت فورة الغضب نعود على انفسنا باللوم متعجبين من هذا الانفجار . والحقيقة ان هذا الأسلوب قد تعلمناه فى الطفولة حين كنا نعامل الخدم ونضربهم .

ولذلك لا يسعنا إلا أن نعد مثل هذه الصبية الخادمة فى هذا البيت من أسوأ الوسائل لتربية الأولاد . إذ هى بمثابة " أرنب التجربة " فى معمل العالم . ومن هذه التجربة يخرج الأولاد وقد تعلموا الوقاحة والصياح والعنف . ولكن ميزة هذه الصبية أنها رخيصة . ولذلك تحرص ربة البيت على استخدامها وتؤثرها على خادمة مسنة يحترمها الأولاد و يعاملونها بالحسنى ويخاطبونها بقولهم " ياخالة " لأنهم وهم يعاملونها باللفظ المهذب والإيماءة الرقيقة والرفق فى الطلب والاناة عند التأخير سيتخذون هذا الأسلوب أخلاقا دائمة تعيش معهم وتلازمهم سائر حياتهم حين يشبون و يختلطون بالمجتمع . أو بكلمة أخرى نقول إن احترام الخادم ضرورى لاحترام المجتمع واننا لهذا السبب يجب ألا نعرض صبياننا لخادمة صغيرة يرهقونها بالواجبات التى لم تستعد لها من بيئتها الريفية وترهقهم بالمخالفات فيلجأون إلى العنف ثم يرسخ هذا العنف فيهم عادة وأخلاقا .

ونحن نتعلم الأخلاق بثلاث طرق هى : اللقين أو الوعظ . وهذه أقل الطرق أثرا إذ هى لاتختلف كثيرا من تعلمنا للسباحة بقراءة كتاب يصف لنا السباحة على الظهر وعلى البطن ونحو ذلك . ثم نتعلم الأخلاق أيضا بالقدوة أى أننا مثلا نرى أبوينا يسلكان سلوكا خاصا فنقتدى بهما . وكثير من أخلاقنا العامة نأخذ به بالقدوة من الآباء والاخوة والغرباء ممن نعاملهم ومن زملاء المدرسة والمكتب أو المصنع أو المتجر . ولكن الطريقة الناجعة لغرس الأخلاق هى المرانة . ولكى نوضح التفاوت بين هذه الطرق نضرب مثلا : فنقول إننا لكى نعلم أولادنا الشجاعة :

١ — يمكننا أن ننصح لهم ونلقنهم ونعظهم عن قيمة الشجاعة ولكنهم بعد كل هذا لن يكونوا شجعانا إلا فى الأقل النادر بل الشاذ .

٢ — ويمكننا أن نكون أمامهم شجعانا نمارس بعض المهام والأعمال فى شهامة ونجدة وهم عندئذ يتأثرون بنا و يعود سلوكنا أمامهم إيحاء لنفوسهم .

(٣) ولكن أعظم أثرا من هذين الطريقتين أن نمرنهم على الشجاعة بالألعاب الرياضية والفروسية والمباريات وحمل السلاح . إذ أننا هنا قد غرسنا أخلاق الشجاعة غرسا بالتمرين والتدريب .

وكذلك الشأن فى البر أو الاستقامة أو الكياسة :

(١) فقد نقول للصبى يجب أن نحسن على الفقير ، ويجب أن تساعد الضعيف وتسعف الجريح . وهو يسمع ولكنه سينسى .

(٢) وقد يرانا الصبى ونحن نحسن على الفقير فيتأثر بأخلاقنا ويقتدى بنا أو لا يقتدى .

(٣) ولكن الطريقة الناجعة لكى نغرس فيه البر أن نعطيه القرش ونطلب منه أن يؤديه بيده للفقير ، أو أن نجعله يؤدى خدمة لأحد المحتاجين ويحس منها أنه قد ساعده بجهده وتعبه أو نجعله عضوا فى جمعية خيرية يهتم بشئونها ويؤدى مهامها .

ومن هنا ضرر الخادمة الريفية الصغيرة التى يتدرب الأولاد فى البيت على شتمها وضربها . فاننا نغرس فيهم الأخلاق عن سبيلها هنا بالمرانة والممارسة ، فى حين لو كانت هذه الخادمة كبيرة مسنة محترمة لاحترموها ومارسوا احترام المجتمع والأفراد عن سبيلها ثم ينشأون مهذبين ، وليس تهذيبهم عندئذ عائدا إلى التلقين والنصيحة . ولا إلى القدوة ، وإنما هو يعود إلى المرانة والممارسة .

* * *

ولننظر نظرة أخرى فى غرس الأخلاق ، فقد سبق أن ذكرت هذه المجلة وكررت القول فى أن البيت يجب ؟ ألا يكون مطعما أو فندقا ، وكان الهدف لهذا القول هو الزوج .

ولكن هل خطر ببالنا أن الأولاد أحيانا ينظرون إلى البيت هذه النظرة ؟ ويقفون منه هذا الموقف ؟ ونحن المسئولون عن موقفهم هذا ؟

لقد أوضحنا فى المثلين السابقين أن عاطفتى الشجاعة والبر إنما تغرسان فى الطفل أو الصبى أفضل الغرس وأثبته بالمرانة والممارسة . ولكن هل خطر لنا أن حب الأولاد لأبويهم محتاج أيضا إلى مرانة وممارسة ؟

إن الطفل ونحن نشترى له الحلوى أو اللعبة يحبنا وينتظر منا الزيادة . ولكنه بعد سنوات حين يدخل المدرسة لا يجد منا الحلوى أو اللعبة التى كانت تثير فيه من قبل عاطفة الحب لنا . ثم هو ينشغل بدروسه وينتظر من والديه " واجبات " وكذلك من الخدم . وقد ينتهى بألا يؤدى أى عمل للبيت بل ينتظر من الجميع خدمته . ونحن ننسى أن هذا الموقف الذى يقفه الصبى من البيت سوف يقفه أيضا من المجتمع . أى أنه ينتظر من غيره أن يخدموه ولا يكلف نفسه خدمتهم ، ولذلك تنشأ فى نفسه أنانية سيئة ربما تكون سببا لخيبته فى المستقبل .

وعاطفة الحب تنشأ عندما نخدم الناس أو يخدموننا . لأننا نحس حين نخدم أحدا أننا نتفضل عليه ونجهد ونتعب من أجله . وهذا بمثابة الجهد الذى ننفقه على صنع أداة يبعث فينا الحب لها . فإذا خدم الأولاد فى البيت أحسوا من هذه الخدمة حبا للبيت وتعلقوا به وشعروا بكرامتهم إزاءه . وهو عندئذ لا يكون فندقا أو مطعما . فالحب يحتاج إلى مرانة . ومرانته هى العمل والخدمة . فمن مصلحة الأولاد أن يشتركوا فى بعض الواجبات — مهما تكن صغيرة تافهة — فى البيت حتى تنبعث فيهم عاطفة الحب مقرونة فى نفوسهم على الدوام بالخدمة والإنجاز .

ومن المشاهد أن التعلق بالأبوين المسنين كبير فى الأبناء أى أكبر من التعلق بالابوين حين يكونان دون الخمسين مثلا ولا نكاد نعرف سببا لذلك الا أن عجز الشيخوخة قد بعث الابناء على العناية بآبائهم وخدمتهم . فكان من أثر هذه العناية وهذه الخدمة أن نمت عاطفة الحب عندهم .

وخلاصة القول إننا لكى نغرس الأخلاق الحسنة فى صبياننا يجب علينا :

(١) أن نكفهم عن ممارسة السباب أو الضرب للخادم أو لا نستخدم سوى خادمة أو خادم محترم لا يجرؤ الأطفال على سبه أو ضربه .

(٢) أن نعودهم الخدمة فى البيت حتى تزول عنهم الأنانية والشعور بأنهم يجب أن يكونوا مخدومين لا خادمين .

(٣) أن نعودهم سائر الأخلاق بالمرانة أو الممارسة . فالاستقامة فى المعاملة والشجاعة والبر والحب يجب كلها أن تستند إلى ألوان من النشاط الجسمى .

(٤) أن نذكر على الدوام أن الأسلوب الذى تعلمه الطفل فى البيت هو الأسلوب الذى سيعامل به المجتمع عند ما يكبر .

سلامه موسى

قيمة المشورة الفنية

فى حياتنا العامة

يسير العالم نحو التخصص . لأن التوسع فى المعارف يجعلها عبئا كبيرا ما لم يتحمله أفراد كثيرون يتوزعون تفاصيلها . وهذا واضح فى الخبرة مثلا ، فإن خبير الخط لا يمكنه أن يكون خبير الحساب ، وكذلك الحال فى الفنون والعلوم فان مهندس الرى لا ينتفع به فى هندسة المبانى . وقد كان الطبيب إلى وقت قريب عاما يعالج جميع الأمراض. ولكن الاختصاص قد أخذ مكان التعميم . ونحن نعرف الآن أطباء القلب والعين والأمعاء . بل نعرف أطباء يختصون بمرض معين لا ينظرون فى سواه مثل الجذام أو السرطان أو السل .

وهذا الاختصاص يتمشى مع الرقى العام . فقد كان المتجر قبل نحو مائة سنة دكانا صغيرا يقوم فيه فرد أو فردان بجميع حاجاته وحاجات الزبائن . فكان البائع هو المحاسب وهو الذى ينظم البضائع للعرض وهو الذى يجلبها من بائع الجملة . أما الآن فان كل عمل من هذه الأعمال قد اختص به فرد أو أفراد بحيث لا يجيز أحد منهم لنفسه أن يأخذ عمل غيره . فإن عرض البضائع فى الفترينات قد صار عملا خاصا بل اختصاصيا . بل إن واجهة المتجر قد صار لها مهندسون يدرسون طراز الزينة والألوان . كما صار الاعلان من الأعمال الاختصاصية التى لا يجرؤ صاحب المتجر نفسه على أن يتولاها ، لأنها تحتاج الى خبرة كبيرة عن نفسية القارئ واتجاه الميول الاجتماعية والمعنى بل المعزى من الكلمة أو العبارة . والتاجر الذى يهمل هذه الاختصاصات المختلفة يتخلف عن قرنائه وقد تنتهى حاله بالبوار . لأن المزاحمة العظيمة التى تصل الى حد المباراة تجعل للدقة قيمة كبيرة قد يقرر بها الظفر أو الهزيمة فى معترك التجارة .

ولكن اذا كان هذا شأن التاجر فى عنايته بالخبير المختص واستخدامه له فإن هذا يجب أن يكون شأننا أيضا فى أحوالنا المختلفة . فان فى المحاكم مئات بل آلاف القضايا التى نشأت من تعاقدات كتبها أفراد غير مختصين وظنوا أنها حسمت لهم نزاعا أو قررت لهم وفاقا فاذا بها — لقلة خبرتهم بكتابة العقود — قد افتتحت لهم عهدا من النزاع يطول أشهرا وسنوات . وذلك لأن كلمة صغيرة قد غمض معناها أو عبارة قد حشرت ونقضت ما سبقها أو معزى يدق ويخفى على المتعاقدين قد انطوى عليه أسلوب العقد — كل هذا وغيره يجعل القاضى يشك فى نية أحد الفريقين ويحكم بغير ما قصد اليه الفريق الآخر . ولو أن هؤلاء عمدوا

الى محام يكتب لهم العقد لقاء بضعة جنيهات لاقتصدوا بعد ذلك فى الوقت والعناء والمال، ولما جرؤ أحد منهم على طرق أبواب المحاكم لكى يحصل على تأويل يتفق وأغراضه ويؤدى به خصمه .

وقيمة الخبرة والفن لا تقتصر على فائدة المحامى . فان الثرى الذى يشرع فى بناء منزله ويستغنى عن خبرة المهندس انما يعرض ماله للخسار والبوار . فإنه يسىء فى اختيار المواد كما يسىء فى تنظيم الغرف . فلا ينتهى من البناء حتى يحتاج الى التغيير أو التبديل هنا وهناك ، ويتحمل من جراء ذلك تكاليف مالية ثقيلة ما كان أغناه عنها لو أنه استشار مهندسا واتبع نصيحته وقبل خبرته . ذلك أن المهندس يدرس البيئة وهو يعرف الحى الذى سيقام عليه المنزل : هل هو تجارى يمكن أن يحتاج الى دكاكين فى المستقبل حتى يهيئ لها مكانها ، أو هل هو من الأحياء التى يسكنها المتوسطون أو الفقراء أو الاغنياء فينظم المساكن " الشقق " وفق الحال التى يطلبها السكان القادمون . ثم يقارن بين أثمان المواد ويختار أرخصها وأمتنها . ومهما أدينا لهذا المهندس من مكافأة فإننا سنكسب عشرات أمثالها من فضل خبرته وثمرة نصيحته . وكم من منزل فى القاهرة ندخله قصد السكنى فنرى الرحابة والمتانة ووفرة الغرف مع قلة التنظيم فنحس كأننا لسنا فى منزل متمدن بل فى دوار ريفى . وذلك لأن رب البيت قبل نحو عشرين أو ثلاثين سنة قد استقل بذهنه ووضع الترسيم دون أن يستشير مهندسا فنيا .

وكذلك الشأن فى الأمراض ، فان الطب فن وعلم معا . وهو قد تفرع وأصبحت تفاصيله اختصاصات مستقلة . وهذه الاختصاصات ليست للحذلقة أو التنطع ، وانما هى للتوسع العظيم الذى طرأ على المعارف الطبية بحيث لا يمكن لطبيب أن يعالج كل مريض . فطبيب القلب غير طبيب الأعصاب ، وطبيب الأعصاب غير طبيب الجلد . بل إن طبيب النفس غير طبيب الجسم . ومن التنطع بل من البلاهة العظيمة مع كل هذه الاختصاصات أن يعمد أحدنا الى " وصفة بلدية " لمعالجة أحد الامراض . وفى أحيائنا الوطنية ما زلنا نرى تذكرة داود الأنطاكى تباع ويقبل على قراءتها العامة ويعملون بها ينشدون منها الشفاء كأنها خلاصة الفن والعلم فى الطب . وهذا ضرر عظيم بل ضرر فادح ، لا لأن هؤلاء المرضى يتخذون من الدواء ما لا قيمة له فقط ، بل لأنهم يشغلون أنفسهم بهذا الدواء ويطمئنون إليه اطمئنانا كاذبا يمنعهم من طلب المشورة الفنية من الطبيب العصرى المختص . وكثيرا ما يقصد أحدنا الى زملائه أو رفقائه فيسمع الوصفات البلدية لهذا المرض أو ذاك مع أن الطبيب نفسه لا يجرؤ على الجزم بصحة الدواء الذى وصل اليه . ولكن هذا الذى لا يجرؤ عليه الطبيب نجد عشرات من غير الأطباء — غير المختصين — يتحدثون عنه بلهجة الجزم . . . ولو وقف الضرر عند حد اللغو لهان . ولكن المريض الذى يتلهف على الدواء يترك الداء وهو يستفحل فيه بعيدا عن مشورة الأطباء لاعتماده على مثل هذه الوصفات العقيمة .

إننا نعيش فى زمن التخصص ، فيجب أن ننتفع بالمختصين . أى يجب أن نعتمد على المحامى والطبيب والمهندس والخبير . وما نؤديه لهم من أجر على خبرتهم وفنهم لا يبلغ عشر ما سوف ننتفع به منهم . وهناك من المتمدنين فى المدن الأوربية من يعتمد على الخبراء حتى فى غرس البستان الملحق بالبيت . بل حتى فى تأثيث المنزل والطريقة التى توضع بها قطع الأثاث . ولم نبلغ بعد هذا التأنق ، ولكن حسبنا الضروريات قبل الكماليات . فإننا نغنى أنفسنا وأولادنا وشركاءنا عن عناء كبير أو شقاق عظيم عند ما نترك للمحامى حق كتابة العقد فى الشركة أو الوصية أو البيع أو غير ذلك مما تحمل تفاصيله تأويلات يعمى عنها المتعاقدون ولكن القاضى يراها واضحة بارزة أمامه . وكذلك الشأن فى الطبيب والمهندس .

ويحسن الناس الى أنفسهم كثيرا كما يحسنون الى غيرهم أكثر لو أنهم تواضعوا فلم يتحدث التاجر عن علاج الأبدان . ولم يتحدث المهندس على أثمان الجواهر . فإن لكل منا عمله الذى يختص به ، فليكن حديثه عنه وليستمع الى غيره من المختصين فيما لا يعرفه . وكم من مرة يتناول الحديث عن السرطان أو البول السكرى أفراد وتمتد بينهم المناقشة فى حين قد يكون بينهم طبيب وهو مع ذلك صامت يتعجب من جرأتهم على ما يجهلون . وهذا الحديث يعد سمرا أو لغوا قليل الضرر إذا كان المتحدثون أصحاء . ولكن الضرر يفدح إذا كان بينهم مريض يستمع الى لغوهم . بل كم من مرة يفكر أحد المتيسرين فى بناء منزل يعيش فيه أو يؤجره ويستغله ويؤمل أن يتركه ثروة لأولاده فيعمد الى ترسيمة بنفسه أو يستمع لآراء زوجته كأنها قد انقلبت مهندسة تعين مكان المطبخ وغرفة المائدة ونحو ذلك . فلا يكون من هذا الاستقلال والاستغناء عن المهندس الفنى غير البوار والخسار . وفى القاهرة وسائر مدن القطر مبان ضخمة لا يستطيع الانسان أن يقدر قيمتها الا بمقدار ما فيها من أحجار وطوب لأن مكانها وطريقة بنائها وتنظيم غرفها ، كل هذه الأشياء بعيدة عن الذوق والخدمة .

مسئولية المرأة

في أعمال الخدمة الاجتماعية

بقلم السيدة زاهية مرزوق

كثيرا ماطالبت المرأة المصرية بحقوقها المدنية والاجتماعية والسياسية، وكثيرا ما كافحت وناضلت لانتزاع هذه الحقوق من الرجل ، ولكنها نسيت أن تعد نفسها الاعداد الصحيح الذى يمكنها من نيل هذه الحقوق بدون نضال أو كفاح . حقيقة أننا كمصريات لنا حقوق يجب أن ننالها ولكن فى الوقت نفسه علينا واجبات يجب أن نؤديها، وفى رأيي أنه لا يمكننا رفع صوتنا للمطالبة بهذه الحقوق قبل أن نقوم بتأدية هذه الواجبات . وواجب المرأة بسيط فى ظاهره خطير فى باطنه . بسيط لأنه يشغل حيزا صغيرا من الحياة ، وخطير لأن عليه يتوقف كيان الأمة ومستقبلها . على المرأة أولا أن تمد الأمة بأبناء صالحين قادرين على الجهاد فى الحياة ، والتغلب على الشدائد والكفاح فى سبيل إسعاد الأمة وانهاضها ، وهذه مسئولية استهترنا بها مع الأسف بعضنا وأهملها البعض الآخر ، فكانت النتيجة أن أخرجنا شبابا عاطلا يعيش عالة على الأمة والمجتمع .

على الأم أن تعرف كيف تدير مملكتها الصغيرة بكل حكمة وسداد ، عليها أن تضع لها القوانين العادلة وتغرس العادات الصالحة فى أفراد تلك الأمة الصغيرة التى يتكون من مثيلاتها مجموع الأمة الكبرى .

ولا تظنن إحداكن — سيداتى وآنساتى — أن الخدمة الاجتماعية معناها ترك المرأة لمنزلها وأولادها وخروجها إلى الميدان الاجتماعى والعمل فى الجمعيات الخيرية المختلفة ، لا ، وإنما الخدمة الاجتماعية الحقيقية هى ما تقوم به المرأة فى محيطها الضيق . وإنى أعتقد أن قيام المرأة بواجبها الأول على وجه الكمال ، لهو فى حد ذاته أهم خدمة اجتماعية يمكنها أن تؤديها لمجموع الأمة . فان قمت يا سيدتى بهذا الواجب فى بيتك بين الخدم وبين أولادك وزوجك وأقاربك وجيرانك ومعارفك، لأمكنك أن تحلى مشاكل كثيرة لو تراكمت لأصبحت مجموعة من المشاكل الاجتماعية المعقدة .

وكثير من الناس من يتوهم أن الخدمة الاجتماعية تنحصر فى إعطاء المال للسائل أو الطعام للجائع ، والحقيقة أن الخدمة الاجتماعية عمل فنى دقيق يتطلب الجهد أكثر مما يتطلب المال والعلم، أكثر مما يتطلب العطف والحنان . فكل سائل يجب ألا يعطى ما يسأل بدون بحث يحدد نوع المساعدة التى يحتاج إليها ومقدار أثرها فى تقويم حياته . والا فما فائدة القرش الذى يزول أثره بمجرد صرفه، ويترك صاحبه فى احتياج إلى غيره؟ وقد يدهش البعض

إذا علم أن الإحسان فى بعض الأحيان قد يكون ذا أثر سيئ فى المحسن اليه، وذلك كما حدث فى حكاية الرجل الغنى الذى اعتاد الإحسان إلى أحد المتسولين فترة طويلة من الزمن ، مما جعل هذا المتسول يركن فى عيشته الى هذا الرزق المستديم ، وهما طرأ على المحسن ما حال دون استمرار الإحسان . توجه اليه المتسول فى غضب شديد وتهديد قائلا له : انك عودتنى الاحسان المتواصل فعودتنى الكسل والاتكال على الغير ، فلولا ماغمرتنى به من عطف فى بادئ الأمر لاضطررت لإيجاد عمل أقتات منه ، وقد أفسدت على حياتى وأعجزتنى عن كل شىء إلا السؤال ، فواجب عليك ان تحمل نتيجة عملك وتتكفل بالصرف على الى أن اموت . واضطر الرجل تحت ضغط المتسول وتهديداته ان يتكفل به ما بقى فى حياته .

وإذا قام كل منا بعمله الخيرى على انفراد بدون النظر لمجهود الآخرين وبدون مراعاة لناحية البر التى يميل اليها أو التى تمليها عليه الظروف فى دائرته ، لما أمكن تنظيم تلك الأعمال ولا إظهار أثرها فى المجتمع . فتوحيدا للجهود وتنظيما لأعمال البر ووضعها على أساس فنى صحيح ، أنشئت الجمعيات الخيرية وقامت بمساعدتها الاجتماعية فى النواحى المختلفة بحيث اختصت كل جمعية بالناحية التى يميل اليها مؤسسوها .

والخدمات التى يمكن أن يساهم كل منا فى تأديتها للمجتمع كثيرة ومتشعبة . ويجب قبل البدء فى المساهمة فيها بطريق مباشر أو غير مباشر فهم أغراضها والقواعد التى تقوم عليها . فهناك الخدمة الاجتماعية للعائلات الفقيرة ، وبحث حالة كل أسرة على حدة ومعرفة نوع احتياجها ومقداره ، وهل تكفى المساعدة المادية المؤقتة أم يجب البحث عن عمل لرب الأسرة أو للأفراد القادرين منها ، كما يجب أن تمنح الأطفال عناية خاصة فتبحث حالتهم التعليمية وهل حرموا من التعليم نتيجة لفقر الأسرة فتبحث فى علاج هذه الأمور ، كما يوجه كل شخص فى الأسرة إلى الوجهة التى تلائمه .

وهناك الخدمة الاجتماعية الطبية فى المستشفيات وخارجها . وهذا النوع من الخدمة الاجتماعية لا يقصد منه التمريض فقط بل العمل على ربط العلاج الطبى بالمشاكل الاجتماعية وحلها ليسهل على المريض إتمام علاجه وتتم حالته حتى لا يعاوده المرض . وهى تشمل الترفيه عن الأطفال المرضى والشيوخ المسنين بجميع أنواع التسلية لتخفيف آلام المرض والشيخوخة عليهم . وهذه الخدمات الطبية تختلف طبعا باختلاف نوع المرض وسن المرضى فالخدمة الاجتماعية مع مرضى السل تختلف عن الخدمة الاجتماعية مع مرضى الرمد وعن الخدمة الاجتماعية مع مرضى الأمراض السرية وهكذا .

وهناك الخدمة الاجتماعية للأطفال ، ففى الملاجئ مثلا ، يمكن المساعدة فى تسلية الأطفال اللاجئين وتمضية أوقات فراغهم ، وكذلك تمكن مساعدة الملجأ فى إيجاد طريق للتخرجين منه وتتبع حالاتهم بعد التخرج ، وفى مراكز رعاية الطفل ودور الحضانة يمكن القيام بخدمات للأطفال لا تحصى .

وهناك الخدمة الاجتماعية العمالية وخصوصا فى المصانع التى تعمل فيها النساء، فيمكن العمل على ضمان عدم ارهاق العاملات بكثرة ساعات العمل مع قلة الأجور، ويمكن مساعدة العاملات المتعبات بتوفير طعام صالح ورخيص لهن . كذلك يمكن العمل على ايجاد دار لإيواء أطفال العاملات أثناء تغيبهن فى عملهن بدلا من تركهم فى الشوارع يصابون بالأمراض ويختلطون بالأشرار ، ويمكن أيضا المساعدة فى عمل رحلات رخيصة لتمضية أوقات العاملات فى الإجازات وغيرها .

وهناك الخدمة الاجتماعية بين الفتيات فى الأحياء الفقيرة بإنشاء محلات لهن يتعلمن فيها رقى الاخلاق وتهذيب الذوق وخير الطرق لتمضية أوقات الفراغ ، ويمكن كذلك الاتصال بمنازلهن لبحث البيئة التى يعشن فيها ومساعدتهن بالارشاد الى وسائل ترقيتها . ويمكن أيضا إيجاد مكان لإيواء الفتيات المشتغلات البعيدات عن أهلهن حتى يكون ذلك ضمانا لصيانة أخلاقهن وإبعادا لهن عن الفساد .

وهناك الخدمة الاجتماعية وقت الحروب، ولا يقصد بذلك العمل فى المستشفيات ومراكز الإسعاف فقط ، بل الجزء الأكبر منها يختص بالخدمة الاجتماعية بين الجنود فى الميدان ، وذلك الترفيه عنهم بإرسال بعض الكماليات اليهم كالكتب والمجلات والسجاير وغير ذلك مما يخفف عنهم بعض ما يقاسونه من التعب والوحشة . وهناك ناحية مهمة جدا وهى مواساة عائلات الجنود المصابين أو المتوفين وتخفيف وقع مصابهم عليهم بتقديم المساعدة التى يحتاجون اليها . أما المتاعب الاقتصادية التى تنشأ عن الحروب كارتفاع أسعار المعيشة والتعطل عن العمل وغير ذلك فيمكن العمل على تخفيف نتائجها .

وهناك الخدمة الاجتماعية فى الجمعيات الخيرية المختلفة، فالعمل فى هذه الجمعيات يتطلب مجهودا وخبرة فنية بنواحى الخدمات الاجتماعية التى بنيت عليها أغراض الجمعية ، فضلا عن الأعمال الادارية وتنظيم الاجتماعات وإقامة الحفلات لجمع المال والاشراف على المصروفات وغير ذلك.

يتضح لكن مما تقدم أن الخدمات الاجتماعية ليست من السهولة بحيث يتصورها كثير من الناس ، وإنما هى فن دقيق محتاج الى دراسة والى تدريب عملى طويل . ولذلك أنشأت مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة دراسة نهارية للسيدات والآنسات المتطوعات اللاتى يرغبن فى أداء هذا الواجب نحو أمتهن . وسوف يكون المجال متسعا لتبادل الآراء والأفكار والنظريات العلمية عن الميادين المختلفة للخدمة الاجتماعية كما سيطبق العلم على العمل بزيارة المنشئات والجمعيات الخيرية المشتغلة بالخدمة الاجتماعية .

والأمل شديد فى أن يزداد أقبال سيدات مصر وفتياتها على هذا الميدان البكر فى هذه البلاد حتى تصبح لديهن المقدرة العملية والفنية عن طريق دراستهن على تحقيق الغرض المنشود على الوجه الأكمل.

والله يوفقنا جميعا إلى ما فيه الخير والسلام .

زاهية مرزوق

جولات ومشاهدات

فى مدينة الأزهر

بقلم الأستاذ م . محمد عبد الكريم

الدرّاسة والحسين . . . :

وأهوى حوذى السوارس على بغليه بالسوط ، وسارت العربة تترنح بما حملت من ذوات البراقع السود وخليط من لابسى الطواقى واللاسات والمعممين والمطربشين تجتاز بنا شارعى المغربلين والغورية فى طريقها الى حى الحسين .

وجعل صديق يشرح معالم ما حولنا من الأبنية الأثرية :

هذه بوابة المتولى أو باب زويله الذى شنق عليه طومان باى نائب السلطان الغورى حين غدر به السلطان سليم بعد أن أمنه على حياته ووقف منه على مايهم لإدارة شؤون البلاد ، وذلك مسجد السلطان الغورى الذى قضى وهو يدافع عن مصر ومات تحت أقدام الخيل فى مرج دابق .

وسكت صاحبى بغتة . قلت ما أسكتك ؟ . قال وهو يهز رأسه : يالها من أيام ... أتذكر حين كنا نجوب هذا الحى كل يوم فى طريقنا الى مدرستنا الابتدائية خليل أغا... تأمل : هذا محل الراعى ... وذاك محل السرجانى الصائغ ، وأمامك العصبان بائع المقصبات ... كل منها لازال بمكانه كما كان منذ عشرين عاما ولكن أين عبد الكريم حسن الحلوانى وأين الحمصانى بجبته الزاهية وعمامته المتبرجة ؟ وأين الحاج كاظم الذى كان يدير مقصف مدرستنا ؟ . بل أين المدرسة ذاتها ؟ . لقد هدمت فيما هدم لتوسيع الأزهر ... قلت : هى الدنيا لا تلبث على حال ، جيل يغدو وجيل يروح ، وديار تبنى وأخرى تزول . . . وسبحان من له الدوام .

ووقفت أمام بناء الأزهر الشامخ أتأمل جديده وقديمه . ومال علىّ صاحبى يسألنى هل سأعرض للأزهر فى مقال؟ قلت نعم . قال : هذا باب يخشى الكثيرون طرقه . قلت : اطمئن يا أخى فنحن نكتب ما نشاهد ، فإن أشرنا إلى نقص فلا غاية لنا الا تلافيه ، وان من نعم الله على البلاد أن ولى على الأزهر خير من ينهض بأمره ويعنى بتحقيق كل مافيه إصلاحه .

وصعدت الى ادارة الأزهر قاصدا التشرف بمقابلة فضيلة الشيخ الأكبر فلم يسعدنى الحظ بلقائه اذ كان فى عمل خارج الدار . فاكتفيت بمقابلة الأستاذ خالد بك حسنين كبير المفتشين الذى قدم الى رسالته فى " التجديد فى الأزهر " وهى رسالة قيمة أثارت لى سبيل البحث الى حد بعيد .

فى أروقة الأزهر :

كان درس اليوم قد انتهى ، وأبى بعض الطلبة الشوام فى نخوة عربية الا أن أصحبهم الى الرواق ، ويقع رواق الشوام فى الناحية القبلية للجامع ، ويقابله شارع الأزهر الذى استبدل باسمه اسم شارع الشيخ محمد عبده ، وشارع البيطار الذى يحمل اليوم اسم المقريزى وهذا التبديل حسنة نذكرها لمصلحة التنظيم ونرجو أن تدير فى كافة الأحياء على هذا النهج الصالح .

ويضم رواق الشوام خمسة وستين طالبا فى ثلاث عشرة حجرة ، جلست الى بعضهم بين أسرتهم المتواضعة وأمتعتهم البسيطة ، ومضوا يصفون لى حياتهم ومدى المساعدة التى ينالونها من الأزهر . فعلمت أن الطالب منهم يتقاضى ثلاثين قرشا كل شهر يضاف اليها مايرسله له ذووه ، كل حسب حالته . وقد شكوا الى إغفال نظافة الرواق وتساقط الماء أحيانا على أمتعتهم . والحق أنى لمست صحة هذه الشكوى . فالحجرات والطرقات تدل حالتها على أن فرشاة الطلاء لم تمسها منذ أمد بعيد ، ودورة المياه لا تكاد ترى ما فيها لفرط ظلمتها . وقد سألت الطلبة هل يأتيكم زائرون غرباء ؟ قالوا : كثير ، وقد زارنا أخيرا أستاذ بجامعة أكسفورد فما أن بلغ سرداب الدورة حتى وقف عن السير وعاد أدراجه .

وانتقلت الى رواق الاتراك والمغاربة فوجدتهما لايختلفان فى شىء عن رواق الشوام .

وطلبة الأزهر الغرباء يعتمدون على أنفسهم فى كل شىء إذ يتولون إعداد طعامهم وتنظيف حجراتهم بأيديهم ، وهم فى صلاتهم بعضهم ببعض مثل حى فى التعاون والتراحم .

فى المبانى الجديدة :

طيب الله برحمته ثرى مليكنا الراحل فؤاد الأول وحفظ للبلاد شبله المعظم . هذه مبانى الأزهر الجديدة أثر من آثاره ، وهى نواة مدينة الأزهر : عمارات ثلاث شيدت على طراز عربى جميل ، تضم جوانبها معهد القاهرة بقسميه الابتدائى والثانوى ، وتستخدم الطبقة الأرضية منها مساكن لفريق كبير من الطلاب الغرباء .

قصدت إلى الغرباء فى مساكنهم وبدأت بأبناء اليمن وعدن . دخلت عليهم وكانوا يتناولون الشاى فأبوا إلا أن أشاركهم فى شرابهم وسألت كبيرهم : هل أنتم واجدون راحتكم فى هذه الديار ؟ فقال : نشكر إخواننا المصريين على كل حال . وأدركت من عبارة الرجل

أن بنفسه ما يخفيه . قلت ما يقلقك ياصاح ؟ قال . نحتاج إلى عناية، ينقصنا فراش لخدمة حجرتنا ، والإنارة فى هذه الغرفة كما تراها مصباح كهربائى واحد اشتراه أحد الطلبة من ماله الخاص بعد أن طالبنا كثيرا بالمصابيح، ونحن فى المساء تتزاحم حول النور وكثيرا ماتؤدى هذه الحال إلى الخلاف . هذه شكوى اليمنيين أثبتها و يقينى أن إجابة الطلبة الى مطلبهم أمر هين على إدارة الأزهر التى لانشك فى عطفها على الغرباء خاصة .

وانتقلت إلى مساكن الصينيين فقابلنى أحدهم فأنبأته بغايتى، فهز رأسه دون أن ينطق بشىء، ومضى إلى خزانة كتبه وجاءنى بكتابين، أحدهما عن الحرب اليابانية الصينية والآخر رسالة من بعثة الإخاء الصينية الى العالم الإسلامى . ثم عاد الى كتاب أمامه فأخذ يقلب فى صفحاته حتى وصل الى صورة وضعها أمامى وقال بكلمات بطيئة متقطعة وهو مشير الى الصورة بأصبعه "الإسلام يعتز بهذا" وكانت الصورة صورة مليكنا الفاروق أعزه الله الذى يتولى الانفاق من جيب جلالته الخاص على بعثات البلاد النائية ومنها البعثة الصينية التى تحمل اسمه الكريم تيمنا وتقديرا .

وطرقت بابا مجاورا لحجرة صاحبنا الصينى فإذا بى بين فريق من الطلبة التركستانيين .

شباب يتقد ذكاء ورغبة فى العلم . حدثنى أحدهم فى طلاقة عن التركستان بالأمس ومآلت اليه اليوم تحت نظام الحكم الشيوعى . قلت إذا كانت بلادكم فى هذه الأيام لاتدين بدين فأين تطبقون أصول الدين الذى تتعلمونه ؟ قال : فى المهجر، فى الهند وفى غير الهند حتى يقضى الله فتزول الشيوعية من بلادنا .

وأبناء التركستان موفدون الى مصر تحت رعاية الجمعية التركستانية للمهاجرين بالهند، وقد تكفلت بنفقات انتقالهم الى هذه الديار، وهم يعيشون مما يجريه عليهم الأزهر من الأرزاق : جنيه واحد لكل طالب ، ولا ندرى كيف يكفى هذا الجنيه لسد مختلف الحاجات .

عصبة الأمم الاسلامية :

يضم الأزهر وملحقاته بالقاهرة من الطلبة الغرباء ما يزيد على الستمائة طالب ينتمون إلى ست وثلاثين دولة . وأكثر الغرباء عددا المغاربة من أبناء طرابلس وتونس ومراكش والجزائر ، ويليهم الشوام فالسودانيون فالأتراك فالجاويون . وبين الطلبة عدد غير قليل من الأحباش واليمنيين والصينيين والنيجيريين والأكراد والتركستانيين والعراقيين والحجازيين . وهناك طلبة من الهند والأفغان ودارفور ومن جنوب افريقيا ومن اليابان .

وقفت فى طرقات مساكن الغرباء وكأنما وقفت بعرفات... شباب وشيوخ اختلفت أشكالهم وتباينت لهجاتهم ، تركوا بلادهم النائية وقصدوا إلى بحر الأزهر الزاخر يرتشفون من منهله ويغترفون من فيضه .

هذا الجيش من الطلاب سوف يعود أفراده كل إلى وطنه حاملا ذكرياته عنا ناقلا ما شاهده فى ربوعنا . وهؤلاء جميعهم ألسنة دعاية ستكون لنا أو علينا فما أولانا بإكرامهم وما أحرانا بمساعدتهم والترفيه عنهم .

أقول هذه الكلمة لا لإدارة الأزهر وحدها ؛ فقد يقال إنها تؤدى ما عليها فى حدود ماليتها ، وإن كنا نظن أن إزالة أسباب شكوى الغرباء فيما يتعلق بالخدمة والانارة لن يرهق الميزانية فى شىء ، وإنما أتوجه بكلمتى أيضا الى أبناء الأمة وخاصة شبابها . أسأل الشباب أن يزوروا الطلبة الغرباء فى مساكنهم ، وأن يتعرفوا اليهم ويعملوا ما استطاعوا لمعونتهم . وإن أمنيتى هذه لتكبر كلما ذكرت أن بين الغرباء اليوم من انقطع مورده بسبب حالة الحرب القائمة فأصبح فى عسر شديد . وقد شاهدت بعينى رأسى آثار البؤس والفاقة بادية على الكثيرين . وقد تحدثت الصحف طويلا عن حالهم وقام بعض ذوى النخوة من علماء الأزهر بتأليف لجنة لجمع التبرعات لهم ، ولكن ما جمع لازال يسيرا جدا فواجبنا جميعا أن نمد الى هؤلاء يد المعونة ، فليس أحق بالعطف من طالب علم يعوزه القوت وهو غريب .

التجديد فى الأزهر :

إن زائر الأزهر اليوم ليأخذه العجب لما وصل اليه الأزهر من تقدم واصلاح سواء فى قوانينه وأنظمته أو فى بنائه وأمكنته .

تقدم الأزهر بفضل رعاية الأسرة العلوية الكريمة وعناية رءوسها من ولاة وملوك — ففى سنة ١٨٧٢ صدر أول قانون ينظم نيل الشهادة العالمية ، وأتبع هذا القانون بآخرين أحدهما عام ١٨٩٧ والثانى عام ١٩١١ ، وقد تناول الأخير الدراسة وجعلها مراحل ذات نظم خاصة وعلوم معينة وزاد فى مواد الدراسة وحدد اختصاص الشيخ الأكبر ، وأنشأ هيئة تشرف على الأزهر وهى مجلسه الأعلى .

فلما ولى المغفور له الملك فؤاد الأول — وكان أفقه الناس برسالة الأزهر وما لهذه الجامعة من بالغ الأثر فى المحيط الاسلامى — أمر رحمه الله بمراجعة أنظمة ذلك المعهد الكبير وقوانينه وكان ما أراد ، فوضع للإصلاح قانونان صدر أحدهما عام ١٩٣٠ وصدر الآخر عام ١٩٣٦ ، وقد قسم التعليم بموجبهما إلى مراحل ابتدائية وثانوية وعالية ، وأدخلت العلوم الحديثة فى شكل أوسع ، ونظمت كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ، وأعدت أقسام لإجازات القضاء الشرعى والدعوة والإرشاد والتدريس وأخرى للتخصص .

وقد كان من مآثره رحمه الله أن أمر بإصدار مجلة تنطق باسم الأزهر ، وهاهى اليوم تحمل اسم " مجلة الأزهر " وقد بلغت بفضل رعاية فضيلة الشيخ الأكبر وعناية رئيس تحريرها الفاضل الأستاذ محمد فريد وجدى شأوا كبيرا فى مصر وفى العالم الاسلامى كله .

وقد اقترن التجديد فى الأنظمة بتجديد آخر فى الأبنية ، فعمل جلالة الملك الراحل على إنشاء مدينة الأزهر ، وترسم مليكنا الفاروق حفظه الله خطوات والده الموفقة ، فرعى بعنايته مشروعات التجديد ، ونزعت ملكية الأرض المحيطة بالجامع لإنشاء قاعة للاحتفالات ومكتبة ومستشفى للطلاب . ولم تقف جهود الفاروق عند توجيه الحكومة إلى هذا النهج الصالح بل شاء أن يبذل من جيبه الخاص فى سبيل الاصلاح ما يذكر له دواما بالشكر والاعجاب إذ فرش الجامع بسجاد فاخر ، وأمد البعوث الوافدة من أقطار نائية بمساله وأسبغ عليها الكثير من فيض رعايته .

آراء لخير الأزهر :

على أننا مع تقديرنا لما بذل فى الأزهر من عناية وبخاصة فى العهد الأخير ، نرى أن هناك نواحى كثيرة لا زالت تفتقر إلى علاج ، نوردها مخلصين ومقسطين ، فالأزهر باعتباره جامعة عالمية ما مكانتها السامية ينقصه :

أولا — الروح الجامعية . وخلق هذه الروح منوط بإدارة الأزهر اذ عليها أن تمهد سبيل الاتصال بين الطلبة والمدرسين بإعداد محاضرات يلقيها أساتذة الأزهر و بعض ذوى الرأى من مصريين وغير مصريين فى كل ما يهم الطالب الجامعى من أسباب الثقافة العامة ، وأن تنظم الحفلات لتوزيع الإجازات العلمية على الطلاب ولاستقبال ذوى الشخصيات الكبيرة من المسلمين الأجانب والمستشرقين الذين يفدون إلى هذه البلاد . والى أن تبنى قاعة الاحتفالات يمكن اتخاذ مقر جمعية اسلامية كالشبان المسلمين مثلا مركزا لنشاط الأزهر الثقافى . كذلك ينقص الأزهر بكامعة اتحاد يشرف على ناد يختلف اليه الطلبة و يكون واسطة للتعارف بينهم وبخاصة لأن منهم أغرابا يحتاجون إلى توثيق الصلات بإخوانهم المصريين . وليسظم هذا الاتحاد رحلاتهم الى داخل البلاد والى الخارج وبخاصة إلى الاقطار الشرقية .

ثانيا — أن يعنى بتنمية الروح الرياضية فى المعاهد والكليات فتعد أدوات الرياضة ويدرب الطلبة وتنظم الفرق فى مختلف فنون الرياضة ، ليكون لطلبة الأزهر نصيب فى المباريات الدورية وخاصة أنهم أثبتوا فى حركة التدريب العسكرى نشاطا يذكر وكفاءة تشكر .

ثالثا — لكى تمشى الجامعة الأزهرية فى نشاطها الثقافى والرياضى مع مقتضيات العصر وتقتبس من كل جديد ما يفيد ، نرى أن توكل نواحى النشاط المدرسى فيها إلى الأساتذة الذين أوفدوا فى بعثات إلى أوربا ، فهؤلاء أصلح لرعاية التجديد والأخذ بأسباب الاصلاح ، وأن يكون هناك اتصال دائم بالاخصائيين برجال المعارف وجامعة فؤاد الأول .

رابعا — أن تضاعف العناية بخدمة الجامع والأروقة سواء بزيادة الخدم أو بالتشديد عليهم حتى لا تقع عين الزوار ، وهم كثيرون وجلهم من الأجانب ، إلا على كل مرتب

ونظيف، وأن يعنى بإنارة الأروقة ومساكن الطلبة، وأن تطلى جدرانها فى أوقات متقاربة وأن يكلف الخدم تنظيفها لا أن يترك الأمر للطلبة ، فنظافة المكان أمام الزائر الأجنبى تزيد عزتنا وترفع من كرامتنا .

وأما الأزهر كمركز للدعوة الاسلامية فى العالم فيحتاج للنهوض برسالته الى أسباب :

الأول — زيادة الاهتمام بإيفاد البعوث من علماء الأزهر الى البلاد النائية لنشر الدعوة الاسلامية وخاصة فى آسيا وأواسط وجنوب أفريقيا . ففى هـذه الاصقاع يلقى الاسلام إقبالا كبيرا ويكفى للتدليل على ذلك أن نشير الى ما ذكره الأستاذ شميتز (Schmitz) فى كتابه " الاسلام فى الغد " من أن الاقبال الذى يلقاه الاسلام فى هذا العصر فى أفريقيا وفى آسيا منقطع النظير حتى أنه لم يدع مجالا لدين سواه هناك .

ونحن لا نعرف أن للأزهر مندوبين فى أفريقيا إلا مبعوثه فى مسجد جوبا بجنوب السودان، على أن هذا المبعوث الواحد قد تمكن من الحصول على نتائج باهرة فى الدعوة التى يقوم بها.

الثانى — أن يستعين الأزهر أيضا فى الدعوة بجهود الغرباء من طلبته عند عودتهم إلى بلادهم وخاصة أبناء نيجيريا والسودان والهند والتركستان والصين وبولندا ، وأن تكون إدارة الأزهر على اتصال دائم بالطلبة بعد رجوعهم إلى أوطانهم ليطلعوها على مبلغ جهودهم .

الثالث — أن يكون تدريس اللغات الأجنبية إجباريا فى جميع كليات الأزهر لا اختياريا كما قضى بذلك قانون عام ١٩٣٦ الذى لا يلزم بها إلا طلبة كلية أصول الدين ، فاللغات مفتاح كل ثقافة .

الرابع — أن تصدر أعداد خاصة من مجلة الأزهر ولو مرة كل عام باللغة الانجليزية أو الفرنسية وترسل إلى الجامعات الأوروبية والأمريكية لتعرف الشبيبة المستنيرة هناك شيئا صحيحا عن الأزهر وعن الاسلام ، ولا نرى ما يدعو لوجود المذمة الانجليزية التى تطبع فى كل عدد إذا أصدر العدد الخاص .

قوام الإصلاح :

إن تعليم ما يقرب من الأربعة عشر ألف طالب والنهوض برسالة ثقافية ودينية من جامعة لها مكانها الأسمى فى جميع الأقطار وإمامة الحركة الفكرية الإسلامية فى العالم كل ذلك يتطلب المال . لذلك نرى لزاما علينا إذ نعرض لإصلاح الأزهر أن نتوجه إلى أولى الشأن فى البلاد راجين العمل على زيادة موارد الأزهر وإمداده بالمال ليقوى على النهوض برسالته وليسير فى طريق التجديد بما يرفع شأن مصر ويعلى قدرها بين أمم الأرض .

م . محمد عبد الكريم

الخرافات الشائعة

انتشارها وضرورة مكافحتها

الخرافة عبث يمارسه أصحابه وهم يعلمون أو لا يعلمون أنهم يعبثون و يلهون. وفى كل منا مهما تقدمت بنا السن شيء من الطفولة أو نحن نصبو الى أيام الطفولة فنتخلق بأخلاقها. ومن هنا أيضا قيمة الخرافة العابثة : كالملح نرشه فوق رءوس المجتمعين وقت زفاف العروس. أو كالتعويذة تتعوذ بها الفرقة فى الجيش وتتخذ لها حيوانا يمثلها ، أو التعويذة التى تعلق على السيارة ، وغير ذلك مما لا يضر ولا يؤدى إلا إلى سخرية الذين لا يؤمنون بتلك التعاويذ. و بعض الخرافات يتخذ لونا أدكن لا هو بالأسود ولا هو بالأبيض كتلك الخرافة الأوربية بشأن رقم ١٣ . فإن كثيرين يضحكون منها و يتفكهون بها و يحرصون مع ذلك على ألا يقعوا فيها. فاذا أقامت ربة البيت وليمة فانها تحرص على ألا يكون عدد الكراسى ١٣ وكذلك تفعل الفنادق حتى لا يتطير أحد بأنه منحوس لأنه قد قضى ليلته فى غرفة قد وسمت برقم ١٣ والفنادق عادة تتجاوز هذا الرقم فتنتقل من ١٢ الى ١٤ . ولكن معظم الأوربيين يضحكون من هذه الخرافة و يجدون فيها موضوعا للتفكه . ومثلها خرافة إشعال الثقاب فإن الانجليز يصرون على إشعال ثلاثة من عيدان الثقاب انتشاؤمهم من إشعال اثنين . ومثل هذه الخرافة خرافات أخرى هى موضوع الضحك واللهو عند البعض ، وموضوع الجد والخطورة عند آخرين. وهذا هو الشأن فى قراءة الكف أو فى الطوالع الفلكية. فان كثيرين منا يتسلون بمثل هذه الخرافات فى حين أن آخرين يؤمنون بصحتها ويسألون و يستقصون . وقد يقعد أحدنا على ساحل البحر و يعبث بالرمل و يعين الحظوظ لمن حوله « بضرب الرمل » ويثير القهقهة هنا والسخط هناك لأنه يختار الحظوظ كما يشاء له مزاجه وتدعوه خصوماته أو صداقاته الوقتية. ونحن هنا بالطبع إزاء خرافة غير ضارة . ولكن فى القاهرة والاسكندرية من يحترفون ضرب الرمل وقراءة الكف والتنجيم بل من يقرأون المستقبل حتى فى فنجان القهوة و يقصد إليهم رجال وسيدات فى الشباب أو فى الشيخوخة يسألون فى لهفة وتطلع عن المصير المحتوم ويفسرون الكلمة الغامضة بما يتفق ورغبتهم . وهم يؤدون الأجر العالى لمثل هذا الهذيان . ولكن الأجر على غلائه هو أقل الخسران . والخسران الأكبر هو الاعتماد على ما يقوله هؤلاء المتكسبون بهذا التهريج . لأن المصدق لقراءة الكف أو الفنجان أو النجوم أو الرمل يلغى عقله و يلجأ الى مشورة سخيفة يحسب أنها قد كتبت له فى حظه . وعندئذ يسوء تصرفه و يقع فى الوبال .

وخرافاتنا الضارة كثيرة فى مصر . وهى جميعها تتسم بسمة معينة هى ترك الرأى والاعتماد على العقيدة . والإنسان حين يقع فى مشكلة يشق عليه التفكير واستنباط الرأى السديد وهو لذلك يلجأ إلى العقائد المتوارثة التى تسير فى أثر الثقافة الشعبية كأنها الذيول الممزقة المتناثرة . وليست هناك خرافة موروثة إلا وكانت فى عصر سابق جزءا متماسكا فى ثقافة ماضية بادت بالتطور و بقيت الخرافة منفصلة لاتجد مايؤيدها من المنطق الاجتماعى وروح العصر .

ومن هذه الخرافات الإيمان بالعين . وطبقاتنا الفقيرة بل بعض الطبقات المتوسطة تخشى العين وتعلل المرض والوفاة والخيبة بالعين وهى تتعوذ منها بأساليب مختلفة . وهذه الخرافة هى أعم الخرافات فى الأمم . فقد ذكرت المؤلفة الأمريكية بيرل بوك كيف أن الفلاح الصينى يحمل ابنه الطفل على صدره و يغش الآلهة حتى لاتصيبه بالعين فيقول "وما هو هذا الطفل. هو بنت حقيرة" .

وعندنا من الأمهات تلك الأم التى تترك طفلها فى قذارة اللباس والوجه لأنها تخشى إذا غسلته ونظفته أن يبدو وسيما فتصيبه العين . ثم بعد ذلك إذا حم هذا الطفل أو توعك أو مرض بأى علة عمدت الأم إلى رقيته بنفسها أو بإحدى الخبيرات. وهناك يشعل الموقد و يوضع الشب على النار وتقرأ التعاويذ . و يتحد الشب شكلا يحمل الحضور على توهمه شخصا معينا هو صاحب العين المؤذية . ثم يلقى الشب عند مفترق الطرق . وهناك أساليب أخرى فى اقتفاء أثر العائن والاهتداء إلى شخصيته بقطع خرقة صغيرة من ملابسه مما قد يؤدى الى شجار بين العائلات .

والأم التى تعنى هذه العناية بالعين تحمل ابنها تحت ملابسه أوفوقها حملا من الأحجبة "التمائم" أو العوذ . وهى لإيمانها الثابت بهذه الخرافات تهمل المرض ولا تعمد الى الطبيب المختص لأنها تؤثر عليه الراقيات فتفدح المصيبة ثم لاتكون منها عظة واعتبار . لأن الايمان بالعين يزداد ثباتا .

وفى مديرية أسوان وفى بعض السودان تعمد الأم الى تخطيط وجه ابنها بالحز أو الكى . وهى تتبرك بهذا العمل الذى يختلف من الوسم الى الوشم . ونحن نستبشع هذا العمل ونراه تشويها يجب أن تكف عنه الأمهات. ولكن لا يزال فى بلادنا أمهات يعمدن الى أطفالهن بالكى لأنهم يبولون فى الفراش . والأم الجاهلة تؤذى طفلها وهى تعتقد أنها تعالجه من هذه العادة التى تعد جزءا من طبيعة الطفولة. وحين يشب الطفل وهو لا يزال يبول فى فراشه بعد أن يكون قد تجاوز السنوات الأربع أو الخمس من عمره فان المسألة تحتاج الى تشخيص الطبيب — طبيب النفس أو طبيب الجسم — وليس الى تشويه الطفل بكيه أو لسعه بالنار . وهناك أمراض معينة تتصل بالمجارى البولية وتجعل الطفل عاجزا وقت نومه عن حبس بوله كما

أن هناك حالات نفسية تجعل الطفل يدافع عن مركزه بين إخوته بالتبول . وهذه حالات دقيقة تحتاج الى المشورة السيكلوجية الفنية .

وأعظم الميادين التى تتفشى فيها الخرافات ميدان التطبيب . وليس هذا عجيبا إذا عرفنا أن الطب يعنى فى لغتنا السحر كما يعنى معالجة الأجسام. وذلك لأن الطبيب كان فى الأصل ساحرا . والوصفات العامية للأمراض هى الحشلة الباقية من الطب القديم حين كان أغلبه أو كله سحرا . فالايمان بالعين والتعوذ منها بالتعاويذ والرق انما هما بعض ممارسات الطب القديم التى انحدرت الينا فى أثر الثقافة الشعبية بعد أن انفصلت من المجموعة الفكرية الجديدة. وأفظع آثار هذه الخرافات نراه فى أمراض العيون حيث يؤدى الاعتماد على وصفات بلدية الى العمى أو ما يقاربه اذا لم يدرك الطبيب المختص المريض بعلاج وإسعاف . وكثيرا ما تلق صبيا قد علق خرزة فوق عينيه أو وضع عجينة قذرة لإبراء الورم من عين مزمهرة تحتاج الى الاسعاف العاجل . ولكن أهله يهملونه حتى تفوته فرصة العلاج فيكون العمى نصيب هذا المسكين . وكم من أعمى فى مصر أصابته كارثة العمى من هذه الخرافات السوداء .

وفى بعض البيئات فى القاهرة يشترى العوام تذكرة داود الانطاكى ويدرسون ما فيها من " عقائد " طبية ويمارسونها فى أنفسهم أو فى غيرهم من المرضى فيعممون بذلك الأذى. وتذكرة الانطاكى هذه مجموعة من الثقافات القديمة الفرعونية والاغريقية والبابلية والعربية . ويجب ألا نعزو لهذا الكتاب اية قيمة سوى القيمة التاريخية . والقصد هو أعم العلاجات عند الانطاكى اذ هو ينصح به فى الزكام والطاعون سواء . والمريض الذى يسترشد بهذا الكتاب إنما يسترشد بخرافات لا حد لخطرها وضررها . وقراءة مثل هذا الكتاب بين العامة يعد ضررا كبيرا . ونحن ننقل منه بعض ما يقوله عن الجدرى، هذا الوباء المعروف الذى يعاقب الآباء الان على إهمالهم تطعيم أبنائهم ضده قبل أن يتموا من أعمارهم ثلاثة أشهر . فان هذا المرض من الأوبئة الفتاكة وهو يحتاج الى حجر صحى لمنع العدوى . ولكن ابن البيطار يقول فيه :

" إن الجدرى من فضلات دم الحيض. ولا شك أن اللبن عن الغذاء بالفعل من الدم. فيجب أن يكون عنه أيضا " و يقول فى العلاج إنه يجب " إعمال الحيلة فى الرعاف أو شرط الأذن ، الجبهة . وأخذ ما يبرد الدم عن الغليان كالكزبرة والعدس والعناب ... ... وقد تدعو الحاجة الى أكل الحلو غير العسل والتمر اذا كان الزمان باردا ليتبه الدم و يدفع فاسده ..." الخ

فكل هذا هراء فى نظر الطب العصرى ولكن العامة يقرأونه و يؤذون أنفسهم به . وكم من مريض بالتدرن (السل) أو البول السكرى أو الروماتزم أو السرطان قد نقص عمره

وزاد بلاؤه بالاعتماد على وصفات داود الانطاكى وغيره من المؤلفين الذين تطبع مؤلفاتهم وتقرأ لا للثقافة التاريخية فحسب بل للاستنارة والاستشارة !

ولا بد أن بعض ما نجد من ممارسات العامة يعود الى قراءة هذه الكتب . مثل تحريم الاغتسال على الأقرع. ووضع العقاقير العقيمة أو المضرة فى العين. وعند العطارين فى القاهرة مئات من المواد التى لا يكاد يعرف أسماؤها الرجل المستنير المتعلم ولكن ربات البيوت يعرفنها و يعتقدن فيها المعجزات . وظننا أن كتب الانطاكى وأمثاله هى علة الاعتقاد بهذه المواد .

والتمسح بأضرحة الأولياء من الخرافات التى لم تجد الى الآن دعاية العقلاء فى الكف عنها . وهذا التمسح يعمد اليه المرضى فى أحيان كثيرة، وقد يكون المرض وباء وافدا فتنتقل العدوى باجتماع المتمسحين حين كان يجب عزلهم ومنع الاختلاط بينهم و بين غيرهم. وأحيانا يعمد المريض الذى يشكو قرحة أو ورما أو غير ذلك فيحك العضو المئوف بعمود فى الضريح حتى يسيل الدم أو الصديد. ثم يأتى غيره فيفعل فى المكان مثل فعله . ولا تكاد توجد فى العالم طريقة أنجع وابدع من هذا العمل فى نقل العدوى و إفشاء المرض .

وكل هذا يعد من الخرافات المؤذية التى يجب أن نرشد الجمهور ونصح له بالإقلاع عنها . ووسيلة ذلك أن يعمد الوعاظ فى المساجد الى إيضاح الحقائق للجمهور ، وأن يحثوا أفراده على ألا يؤمنوا بقراءة الكف أو التنجيم أو التعرف الى الحظ من القهوة أو ورق الكوتشينة أو ضرب الرمل . وأن الطب القديم الذى يتصل بالسحر لم تعد له قيمة، وأنه يجب على كل مريض أن يبادر الى طبيب عصرى بأسرع ما يمكنه حتى لا تفوته فرصة العلاج . وكم من كوارث نزلت بالأسر لاعتمادها على وصفات بلدية أو مستخرجة من كتب قديمة وأهملت الطب العصرى الذى كان يجب أن تعتمد عليه فى إبراء أمراضها . وهناك أمراض تبدأ صغيرة تافهة لا تلفت النظر أو تدعو الى الاهتمام . كالسرطان مثلا يبدأ ورما قد لا يزيد على حجم الفولة . فاذا لم يكن المريض عصرى الذهن يؤمن بالطب العصرى و يبادر الى الطبيب فان تأخره لاعتماده على مشورة غير الفنيين من أصحاب الرقى أو الوصفات القديمة يؤدى بمرضه الى التفاقم . وحين يتفاقم السرطان يزول الرجاء فى الشفاء . فلتكن لنا عبرة ولنحارب الخرافات .

التوجيه الثقافي في الجامعة

للأستاذ صلاح الدين الشريف المحامي

ليس من شك في أن موضوع الثقافة في كل دولة ناهضة أو آخذة بأسباب النهوض، لا يزال يحتل بحق مرتبة الصدارة في سياستها العامة، وما فتئ يحظى بأكبر جانب من عنايتها، فهو لا جرم معدود من أعضل المشاكل الاجتماعية التي تواجه ساسة الأمم وتثير الجم من نشاط رجال التربية فيها، لأن هؤلاء وأولئك يعدونه محورا يدور حوله كثير من مشاكل الاجتماع ومنبعا يصدر عنه شتيت من التيارات الفكرية في ألوانها المتباينة، وهذه لا تني تبني وتوجه وتكيف أخطر وأجل مناحي الحياة .

إذا عرفت هذا، وإنك لعارفه، ما عجبت البتة إذا رأيت في كل جامعة تقام وفي كل معهد علمي يؤسس ويلحق بالجامعة أداة فعالة لصقل الثقافة ووسيلة مؤاتية لاستنباط ألوان منها تكون أقرب رحما وأوثق صلة بماضي الشعب وحاضره وأمله في مستقبله، وما شككت في أن أول أغراض الروح الجامعي بالحياة هو رسم الاتجاهات الصائبة التي تنصرف إليها حيوية الأمة واحتفار الروافد الكافية لتنصب فيها تيارات نهضتها، حتى لا يكون أمرها فوضى ليس له من ضابط يحكمه ولا من هدف يرنو إليه . ثم لسلّمت أيضا بأن من بدائه هذه الأغراض جميعا الكشف الدائب عن نواحي الضعف في النظر الاجتماعي والاقتصادي في الأمة وتهيئة المحيط العلمي الرائق وإعداد بيئة البحث التجريبي المنتج، ليتخلق في صعيدهما نفر كريم من رواد النهوض ودعاة الاصلاح وقادة الرأي وخدام الانسانية ومعينيها على التأدي بها إلى ما تهدف نحوه من رفيع الأغراض، في دائرة الوطن القومي وعلى مد المحيط الانساني الأكبر. وهذه الأهداف جميعها هي الوشائج الوثيقة التي تربط ما بين الجامعات في أنحاء العالم كله، فتوجهها مترابطة متحدة صوب مثلها العليا في النهوض بالنوع الانساني بصقل غرائزه وشحذ عزائمه وتوجيه ملكاته وسوق قواه إلى النفع الانساني العام .

فاذا اتجهت سياسة الجامعات التعليمية إلى غير هذا المتجه، فلقد خرجت على رسالتها الأولى وهي أنها الحرم الأعلى الذي أقيم ليكون مرصدا يراقب الحياة التعليمية جميعها، ونسيت أنها الناقد البصير والهادي الأمين والمشرف الخبير الذي أودعته الأمة أعز وديعة لديها ألا وهي شبابها ومستقبل هذا الشباب .

فالثقافة الجامعية تدور إذن حول فهم الحياة التى يعاشها الطالب الجامعى والتى سيكافح صعابها ويقف ثابتا جلدا أمام أحداثها . وهذا الفهم فى ذاته هو سبيل إلى غرس ملكة التصرف الحسن وطريق إلى إيحاء السلوك الأقوم عند الاستجابة لمؤثرات ما يكتنف هذا الطالب الجامعى من ظروف وأحوال . و إن هذا العالم المائج المضطرب الذى تتراءى آماله وأفكاره وأعماله أمام عينيه لهو حقا اللغز المعمى والشاطئ المجهول ، ليس يقدم على تجليته وفهمه والاندماج فيه والتأثير فى مصايره إلا من كانت له من تربيته وثقافته عدة وافية تناصره كلما دبت به الرجل بين وعور الحياة وحفزته نوازع الطماح ونوازى الأمل إلى تمثيل دور كريم فى حياة المجموع يخرج بأدائه عن أن يكون مستهلكا غير منتج وعالة على الدولة والمموّل المجهود !

فلا بدع أن تكون كل جامعة مسئولة دوما عن تخريج شباب أجدر بالنجاح فى الحياة من أولئك الذين أعوزتهم عدد الكفاح الكاملة ، لتخلفهم عن إصابة حظ موفور من الثقافة العالية والتهذيب العلمى الراقى ، وليكون فى مكنة كل جامعة أن تسير فى طريق الانتاج التطبيقى فى الحياة العملية ، فتغذى أممها بطائفة من المبتكرات المادية والمعنوية فى مختلف مناحى الحياة تترقى بها إلى مستوى يليق بكل أمة تعرف للتعليم الجامعى قدره ومعناه .

فمجال النشاط الجامعى إذن يدور حول إبداع الشاب المثقف الذى كمّلته إلى جانب فنه المتخصص فيه ، ثقافة نضيجة قيمة تعينه بحق على أن يشارك مشاركة إيجابية فى إبداع الأفكار وصقل النظريات وتمحيص المعتقدات وتوجيه الرأى العام ، الذى يعد الطريق وعرة فى بنائه ، توجيها موفقا مستنيرا ، وبالجملة حفز روافد الحياة فى الحركات الأدبية والعلمية وحياطتها بأسباب التأييد والتشجيع والإنماء وتخصيصها مما يأخذ عليها سبيل التحرر والإنطلاق فى سبيل النضج والاكتمال والشمول والامتداد .

ولست بغال البتة إذا زعمت أن مهم التعليم الجامعى لا يعدو ، فى جوهره ، أن يفهم الطالب الجامعى معنى الكتاب وقيمة المجلة ، وهما بالطبع سبيل التثقيف والصقل ، وأعنى بالكتاب والمجلة الكتاب الدسم والمجلة العالية ، كيف يطالعهما ، والقراءة فن ليس يجيده كل من زحم نفسه فى غماره ، وكيف ينقدهما نقدا هو أقرب إلى استقامة الفكر وصواب الرأى وعدالة الحكم ونزاهة المأخذ ، وكيف يستمد منهما بعد هذا كله مادة وافية تنمى أفق التفكير فيه وتوسع محيط اطلاعه وثقافته ، ومن ثم وهذا هو الغرض الأصيل كما قررت ، تمهد له سبيل البحث العلمى وتعينه على الانتاج العقلى النافع ، ولعل هذين المطلبين هما أخص خصائص التعليم الجامعى الحديث .

ولو وقفت على مدى رواج المؤلفات ومختلف ألوان المطبوعات التى تخرجها دور الطباعة عند الغربيين بوفرة مذهلة على مدار العام ، ولو لاحظت فى كتبهم ومجلاتهم ، ولا سيما تلك

التى يصنّفها و يصدرها أساتيذ الجامعات ، ونضج البحث العلمى وقوة المعارضة الفنية ودقة النقـد المحكم المضبوط بقواعد وأصول تهدى ولا تضل وتقدر ولا تحقر ، لما داخلك من جراء هذا كله إثارة من دهش ولا عجب ، ولأيقنت من فورك أن مرد هذا الخصب وذاك النمـاء إنما هو لقاح الروح الجامعى الذى أشاع فى مجموعة أمم هنالك خفة متزايدة فى سبيل الاستقصاء والبحث ، بقدر ما آتى أعوانه وخدامه من ملكة يعمقها هـذا البحث ، وتجربة يرفع من قيمة نتائجها دأب المثابرة وعزمة الكشف ، وثقافة تفسح من رقعتها لهفة الاطلاع وحب التأمل ولذة الاستيعاب والفهم .

ثم إنك اذا سمعت فى بلاد الغرب بمكتشف علمى أو مستحدث صناعى أو مبتكر فنى أو مذهب أدبى أو قانون نقـدى أو جاءك من هنالك نبأ افتتاح معهد عال لدراسات خاصـة فى موضوع من المواضيع المشكلة التى فيها منافع للناس ، أو تأسيس مجمع أو ندى لعلماء فن معين أو فنون بعينها ، ليتداولوا بين جدران قاعاته وأبهاء مكتباته طرائف الرأى و يتقارضوا معادل النظر ، لوجدت أن الروح الجامعى كان سناده ومبناه ، فإنمـا الذى أبدع هذا كله وأنضجه جمهرة عالمة مثقفة من أساتيذ الجامعات ورجال هذه المعاهد العلمية الملحقة بتلك ، يعاونهم فى رسالتهم النبيلة الطلاب الجامعيون الذين ملئوا بتأثير أساتذتهم ، شغفا بالبحث العلمى ، وأشربوا لذة التقصى وأشبعوا متعة التجريب ولهفة الكشف والفحص .

وهل ثمة داع إلى الدهش والعجب إذا عرفت أن عناصر التوفيق والنجاح هى الغالبة هناك حتى إن مآسى الفشل ودواعى الخيبة تكاد لندرتها تحسب فى حكم الشواذ التى لا تجرى على قياس ولا تدور فى حسبان ، وأن حيوية الكفاح وطاقة الجهاد لا تعرف الفتور والخوف طيلة ضربها فى بيداء الحياة ؟ إن الشخصية القومية الطامحة المستقلة التى تعرف لذتها السامية فى خلق فرص الحياة وغلاب صعاب الأيام والتأثير الطيب فى عيش المجموع وتوجيه أدواره ومصايره ، إنمـا كان منبتها فى تلك التربة الجامعية الغنية بأسباب الحياة والنماء ، و إنمـا كان نعيمها فى مواصلة حياة الدرس ومتابعة طرائق البحث بعد التخرج فى معاهد التخليق والإنبات .

لنـا أن نتساءل وقد عرفنا أن التعليم الجامعى فى أوربا وأمريكا يكوّن شطرا هاما من عملية التربية التى تجعل من الطالب عاملا لا عاطلا ، مبتكرا لا مقلدا ، هل ترى الشاب المتخرج فى جامعتنا يتأثر بلقاح ثقافى جامعى كامل يهضم عن طريقه الروح الجامعى و يستوفى به خصائص الشخصية المستقلة المنتجة ؟

لعمرى لا أعدو جانب الحق ولا أجوز جادة الاعتـدال والقصد إذا قررت وقرر معى كثيرون من المشتغلين بأمور التربية عندنا ، أن طالب الجامعة يشبه طالب أية مدرسة

ثانوية أو ابتدائيـــة ، من حيث كيفية التحصيل وضيق دائرة النشاط العلمى ، وأن غاية ما يسعى إليه هو أن يكون صورة حاكية لعقلية أستاذه ، ولقد يقصر به السعى فيتعثر فى خطا التقليد وتكون له فى الحياة قصة كقصة ذلك الغراب المسكين الذى تاه بين قديمه والحديث !

إن جامعتنا بأساليبها الحالية لاتعين الاستعداد ولا تنمى المواهب والملكات ، ولكنها — والحق يقال — قـد أفلحت إلى أبعـد حد فى تدريب حوافظ الطلبـة وتقوية ذاكراتهم وابتعاث نزعة التقليد الأعمى فيهم ، وفى هذا كله قضاء أى قضاء على مقومات شخصياتهم التى لا يرضى لها المنصفون من المربين حياة جامدة تثقلها قيود المحاكاة الشائنة والتشبه الالى المقيت . ولعل أمر الإعداد والتثقيف فى هذا الدور الدراسى العـالى أجل وأخطر من أن يكون مجرد حشو لأدمغة الطلبة بالتافه والجليل حيثما اتفق وإخراج نسخ مكررة عندنا منها الكثير !

وكيف لعمرى نرجو لهذا الطالب الجامعى المريض شخصية مستقلة بذاتها ، إذا كانت عوامل بناء هـــذه الشخصية لا تتكون أو تتهيأ فى هذا الدور الدراسى الذى يخرج منه إلى الحياة وشيكا ؟ بل وكيف يسوغ لنا أن ننكر على هذا المتخرج فى جامعتنا أن يجبن عن النضال فى الحياة ويشفق من مكافحة خطوبها فتراه ينشد الوظيفة الحكومية مهما تفهت ، مفضلا حياتها المستقرة المتبلدة على حياة الكفاح والجلاد الصاخبة الداوية ؟

ولا عجب بعد هذا أن نستبين قصور الانتاج العلمى الجامعى فى نواحى حياتنا كافة ، ما دام جنود هذا الإنتاج — وهم خريجو الجامعة — ينشأون هذه النشأة البعيدة عن الروح الجامعى الصحيح ، بل لا عجب أن يعترف بذلك صراحة دكتورنا طه حسين بك فى كتابه " مستقبل الثقافة فى مصر " حتى ليقترح ، تنظيما لهـذا البحث العلمى ، ضم جميع الهيئات العلمية والثقافية المختلفة وهى المجمع اللغوى ، والجمعية الجغرافية ، وجمعية فؤاد الأول للتشريع والاقتصاد ، وجمعية فؤاد الأول للحشرات ، ومعهد فؤاد الأول للأحياء المائية وجمعية الأطباء وجمعية المهندسين ، والمجمع المصرى للثقافة العلمية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، كى يتكون من هذا كله " المجمع المصرى " على مثال المجمع الفرنسى ويمنح ميزانيات هـــذه الجمعيات المتناثرة ، ويكون بذلك بيئة علمية راقيـة منتجة تساعد الجـامعة وتثبت قوائمها فى مهمة البحث العلمى ، ما دامت أنها لم تؤد رسالتها بعد فى هذا السبيل .

ونعل كل هاتيك النتائج تدور حول سبب واحد هو العـلة لكل ما ينشأ عنه من آثار بعيدة تتناول بالتكييف والتشكيل عقلية الفرد وعقلية الجمـاعة ، هـذا السبب كما قررنا هو ضعف روح البحث العلمى وعدم تشجيع الانتاج الفكرى ، وقتل روح الابتكار والافتنان التى تعتمد على المواهب المنماة والملكات المثقفة وحرية الرأى والنقد . فما هى صور هذا الضعف

المعيب فى حياتنا العلمية ، وما هى الأسباب التى تحول بين الجامعة وتأدية رسالتها فى حياتنا القومية الخاصة فضلا عن الحياة الدولية العامة ، وبالجملة تقعد بها عن مشاركة جامعات العالم العاملة رسالتها فى الفتوحات العلمية الرائعة وابتكار المثل واصطناع الايحاءات التى تعلى من قدر الانسان وترفع له المستوى المعيشى الذى يحياه .

الطالب الجامعى يقضى حياته الجامعية فى شبه عزلة عن مكتبة جامعته العامة ومكتبة كليته الخاصة ، وهو لهذا قلما يحاول أن يتصل اتصالا عقليا منظما أو حتى شبه منظم ، بنخبة المؤلفين الأفذاذ الذين تحفل حوامل الكتب بمؤلفاتهم ورسائلهم ، فهو مغرور فى جهل مطبق إزاء هذا كله وليس يحاول أن يكلف ذهنه الغض أكثر من استظهار دروسه الموجزة فى صور محاضرات أستاذه ، وإنه ليحرص الحرص كله على استذكار هذه المحاضرات بجملها ونصوصها ، وبالجملة يحرص على أنه يصب فى ورقة الاختبار عقلية أستاذه بجملها وأساليبها وطرائق تفكيرها .

هذا فى التحريرى . أما فى الشفهى فإذا حدث أن كان لمسألة من المسائل العلمية أكثر من وجهة نظر واحدة ولأستاذه وجهة معينة ، وسئل أى الوجهات يؤيد اندفع اندفاعا مضحكا الى تأييد وجهة نظر أستاذه ولو كان مقتنعا فى ذات نفسه بوجهة نظر أخرى ! ! والطالب معذور ، فما دام نظام الامتحان لم يحل البداجوجيون مشكلته الى اليوم ليعوضونا خيرا منه فلا ندحة من أن يحرص المسكين على ترضية أستاذه الى أبعد حد ليفوز منه ، وهو المصحح وهو واضع الامتحان ، بأعلى نصيب من الدرجات يرفعه الى مرتبة الأوائل الأعلام وهذه تفتح له أبواب الحكومة ! !

ولعل حرص الاستاذ الجامعى على حمل طلبته على تفضيل أفكاره على أفكار غيره والتسليم بنقده وتجريحه لآراء سواه قد يبلغ به فى أحايين كثيرة حد الأنانية التى تدفع به الى الحرص على رواج مؤلفاته أو إظهار نفسه أمام طلبته فى صورة الذى جمع علم الأوائل والأواخر ، وكم حدثت بسبب هذه الأنانية المسيئة التى تجافى روح العلم ، من مآس ومهازل ذهب ضحية لها طلبة أبرياء ليس يعوزهم ذكاء ولا ينقصهم فهم ولا إدراك .

فليس لنا أن نلوم إذن هذا الطالب الذى لا يعرف طريق المكتبة ومن ثم لا يعرف طريق فهارسها للكشف عما تحويه من كنوز الكتب والأسفار تلك التى تعينه على حياة البحث والإنتاج طيلة مرحلة التثقيف الجامعى . وهكذا يتعلم الطالب الجامعى كيف يستذكر عن ظهر قلب وكيف يجيد عملية استظهار أيما إجادة ولكنه لا يتعلم مع الأسف كيف يقرأ ويعشق الاطلاع ويكون عميلا لإحدى المكتبات ، متابعا من تلقاء نفسه الحركات الفكرية الوطنية والأجنبية يعرض لها بالتقريظ والانتقاد فيساهم فيها بطريق ايجابى منتج . كما يندفع

بحافز غريزى غلاب الى اقتناء الكتب القيمة ليكون منها مكتبة منزلية تكون عماده فى البحث والمراجعة وتزجية أوقات الفراغ ، وبهذا يرفع مستواه العلمى والمادى ويكون عاملا من عوامل التجديد والبناء .

ولعل من بين النتائج السيئة الناجمة عن هذا الضعف الشائن ، عدم إقبال الطلبة المتخرجين على الالتحاق بأقسام الاختصاص العليا "الدكتوراه" وهى التى تعتمد على البحث الدءم والاطلاع الواسع المدى وشدة الصبر فى معاناة المسائل العلمية الدقيقة، لأن الخريجين فى أقسام الدرجات العلمية العادية لم يهيأوا ، كما رأيت ، لمثل هذا المستوى العلمى الرفيع .

ولكن ما السبيل الى دفع الطلبة الى أبهاء المكتبات وتعويدهم زيارتها بدافع ذاتى قوامه حب البحث وشغف المراجعة وعشق الاطلاع ؟ سبيل هذا هو سبيل الروح الجامعى نفسه وأعنى به بعث حركة البحث العلمى من مراقدها لأن فى بعث هذه الحركة تركيزا لمعلومات الشباب الجامعى وتكثيرا لها وفسحا لآمادها وصقلا للملكات الغضة التى ترجو الأمة من ورائها أن تقوم بواجبها المرموق فى إنهاض حياة المجموع فى غير ما تعثر ولا وناء .

إن المحاضرات التى يلقيها الأساتذة تنحو ، للأسف الشديد ، منحى الإملاء والفرض ويصبها الأستاذ فى آذان الطلبة صبا ، وهؤلاء يسارعون الى إفراغها فى كراساتهم إفراغا آليا دون أدنى محاولة يبذلونها لعملية الإصغاء أو الاتصال العقلى بينهم وبين ما يحاضرهم فيه أستاذهم فتتعطل عملية التمثيل العقلى طيلة ساعات الدراسة اليومية ، وتنصرف عناية الطلبة إلى مظهر هذه المحاضرات والعناية بتحبيرها وتبييضها والحرص على صب ألفاظ الأستاذ بحذافيرها دون ما تغيير أو تحوير فيها إلا ما ندر ! هذا فى حين أن المقصود من المحاضرة هو تفتيح أذهان الطلبة وتوجيه ملكاتهم الى كيفية معالجة البحث المشروح و إلى معرفة طرق التوسع فيه فى مظانه ومصادره، فيحسن الإصغاء أولا ثم يحاول ما استطاع تدوين ملخصات موجزة لأقوال أستاذه تهديه عند دراسته التفصيلية ، فهذه خطوة تمهد لما بعدها وليست كل شىء فى التحصيل والانتاج .

ولكن الطالب فى هذا الذى يفعله مجافيا به الروح العلمى الحق ، جد معذور ، فهو كما قلنا مطالب بهضم برنامج واسع فضفاض ، مطالب بفهم عقلية أساتذته ، و إن كان فى الواقع لا يفهمها بل يماشيها و ستظهر آثارها ، مطالب بأن يعرف أكثر مما جاء فى مؤلفاتهم، ولا عليه إذا لم يكلف النفس بمطالعة ما جاء به غيرهم لئلا يعطل عليه عملية فهم أستاذه ولا سيما أن هذا لا يطالبه بأكثر مما جاء فى كتابه أو محاضرته !

وليت هذا الأمر خففت آثاره السيئة أو تلوفيت بعض نتائجه الضارة عن طريق تكليف الطلبة بعمل أبحاث علمية جدية فى الفروع التى يدرسونها ، ولا حتى فى بعضها أو

فى واحدة منها ، حتى يعتادوا معالجة الدراسات الدسمة ويدربوا على تحصيل مواد البحث من بطون الكتب والمجلات العلمية ، فتستعيض عقولهم الشابة عن هذا الطريق ما فاتها دركه خلال الأول ، وتتجه الى تونى الابتكار وتستشعر الحاجة الى إشباع ميولها الى الانتاج والى تعود التفكير الدسم الرصين .

ثم إن الفروق العقلية بين الطلبة وتباين ميولهم الذهنية والعاطفية كانت أحق بأن تجد أداة تنظيمها وصقلها وتوجيهها التوجيه السليم ، فى تنويع مناهج البحث وتكييف نواحى النشاط تنويعا حكيما وتكييفا ملائما يمكن الطالب من أن يجد فيهما مايلائم ذكاءه ويتفق واستعداده الطبيعى . فتتألف فى كل كلية مثلا شعب دراسية خاصة برآسة و إرشاد الأساتذة ويختار كل طالب الشعبة التى تلائم استعداده وتتفق وميله ليتوفر على إتقان الدراسة أو الدراسات التى يفضلها على غيرها وذلك عن طريق الاطلاع والمواجعة وتأليف البحوث . فكما أن الميول تختلف فى اختيار اللعبة الرياضية البدنية التى يفضل الطالب مراسها ، فان الأمر كذلك فى مجال الرياضة الذهنية التى تعتمد على ميول المواهب ومنازع الملكات .

ولسنا نغلو ولا نراعى مدى وقت الطالب خلال العام حتى نكلفه أكثر من طاقته ولا أوسع من جهده بل نجترئ فنرى تكليف كل طالب بعمل بحث فى كل عام على شريطة أن يكون من البحوث التى تستحق أن يقضى فى معاناتها مثل هذه الفترة الدراسية التى تسلخ ثلاثة أرباع العام .

ولكى تكون حركة التشجيع جدية ومنظمة لا بأس إطلاقا من أن تمنح جوائز قيمة لأحسن البحوث المقدمة خلال عام على أن تناقش هذه البحوث فى قاعة المحاضرات الكبرى مناقشة علنية ، وتخصص لكل كلية فترة زمنية معينة تحتفل فيها بمناقشة مثل هذه الرسائل الفائزة ، وذلك كله بعد أن تقرر لجان خاصة فى الكليات صلاحية هذه البحوث لمثل هذا النقاش . ويمنح صاحب البحث الفائز جائزته المقررة وسط علامات التشجيع والتقدير التى يحيطه بها جمهور الحاضرين .

وطبعى أن إفساح مدى الوقت للاطلاع والدرس والبحث والتأليف يقتضى ضغط المناهج قليلا لتفسح مجالا لهذا النشاط الذهنى الجديد ، ولو عرفنا أن المناهج الحالية فى معظم الكليات حافلة بالجوانب النظرية ، مليئة بصنوف الحشو المرهق والتطويل الممل ، لما تمهلنا فى الاقتناع بوجوب تعديلها على أساس عملى جديد يخفف من تلك الأعباء الفادحة التى ترهق ذاكرات الطلبة قبل أن تتجه إلى تكوين الملكات وتفتيح الأذهان وتربية الفطر ، ولولا ضيق المقام لضربت الأمثال الواقعة لمناهج أكثر الكليات .

ولعل وجدان الطالب وعاطفته لا يكادان يجدان فى مرحلة التعليم الجامعى الوسائل التى تهذبهما وتغذيهما وتوجههما توجيها سيكولوجيا نافعا . فمظاهر العناية بالفنون الجميلة من

موسيقى وتصوير وتمثيل وغيرها تكاد تكون معدومة . والغريب ان جمهرة المربين فى الجامعة لا يجهلون أهمية هذه الناحية الفنية التى تعقد لها خصيصا المؤتمرات الدولية ، بعد أن عرف فضلها فى غرس ملكتى الاعجاب والذوق السليم فى الشبان وتهذيب غريزتهم الجنسية والتسامى بها فى هذا الدور العاطفى الجامح إلى الابداع والابتكار ، والى ترقية سلوكهم نحو الجنس الآخر الذى يشاركهم التحصيل جنبا الى جنب على مقاعد الدرس فى الجامعة .

وليس أعون على تحقيق هذه الآمال جميعا من تنظيم العلاقة بين الطالب وأستاذه ، فلا ينظر هذا إلى ذاك نظرة الترفع والتسامى ، ولا ذاك الى هذا نظرة الكراهة والقطيعة ، بل يجب أن يشعر الاثنان بروح الأخوة الصادقة التى تربطهما بجبل الولاء للعلم وتجمعهما على التعاون فى سبيل الوصول الى الصواب والاهتداء الى الأقوم ، فاتصال الطالب باستاذه يوحى اليه حكمة التجربة وحنكة السن وحسن التصرف ورجاحة السلوك وسعة الصدر فى تحصيل العلم . كما أن اختلاط الاستاذ بطالبه يوقفه على مواطن الضعف فى نفسيته وعقليته فيعمل ما استطاع على تقويمها وتعديلها فى سن التحصيل قبل أن ترسخ وتختفر فى مجموعه العصبى معالم العادات المستقبحة . وفى هذه الناحية الخصبة يفتن الغربيون فى اصطياد الفرص اللطيفة والمناسبات السعيدة للجمع بين الطلبة والأساتذة فى جو يسوده التبسط والمرح والانطلاق من عقال النظم الصارمة التى تفرضها الدراسة ، فثم حفلات السمر البريئة وأعياد التعارف الظريفة والرحلات المدرسية والصيفية التى يغنم منها الطلبة أجل الفوائد وأبقاها الى كثير من أمثال هذه الوسائل الهينة الكلفة البعيدة الأثر فى حياة مجموع الشباب .

وأما بعد فيجب أن تكون الجامعة مستقلة فى تدبير الوسائل التى ترفع من مستواها العلمى والخلقى تحت إشراف ادارة قوية حازمة ، دون تعرض لأى ضغط من جانب الحكومة أو البرلمان . وبهذا وحده يستوى الأمر بجامعتنا العزيزة فتتجه كلياتها صوب المثل الأعلى للحياة الجامعية الحقة ، فتعمل كلية الآداب ، مثلا ، على تنشئة البيئة الأدبية الحية التى يتخرج فيها أفراد يبعثون الأدب المصرى القومى على منوال الآداب القومية الغربية فضلا عن بعث نزعات جديدة فى الأدب الانسانى العالمى ، وتعمل كلية الحقوق على تخريج ناشئة فتية تعاون على تخريج تراث فقهى قيم يجمع بين الشريعة والقانون ويجعل من مصر مهدا عالميا للثقافة الفقهية كما هو الحال فى فرنسا وكذلك تعمل كلية العلوم على مشاركة جامعات الغرب فى الفتوحات العلمية والنظرية . وهكذا قل فى سائر الكليات .

فمتى تنبعث أشعة هذا الفجر الجديد المتألق الذى يثير فى نفوسنا الطماح الى حياة العلياء والمجد ؟

صلاح الدين الشريف
المحامى

أخلاقنا العامة

كما يكشف عنها سلوكنا

الساعة الخامسة من الصباح والفصل شتاء والبرد قارس ولا يزال الظلام يخيم على المدينة ولكن سكان المنازل فى أحد الشوارع يستيقظون لأن بوقا قد أخذ يزعق فى الظلام كالمجنون. وذلك لكى يوقظ أحد الراغبين فى السفر وينبهـه حتى يتهيأ للنزول حيث يركب الأتوموبيل ويدرك القطار الذى سيغادر المحطة قبيل الساعة السادسة بدقائق .

من أجل شخص واحد يريد إدراك القطار يجب أن يزعج جميع السكان ويوقظوا فى فراشهم ؛ ولعل منهم المريض أو المتأخر فى نومه الذى يحتاج إلى زيادة ساعة من النوم، وسائق الأتوموبيل لا يكلف نفسه مشقة الصعود إلى مسكن هـذا المسافر وإيقاظه بطرق البـاب أو دق الجرس ، بل يستهين بإزعاج الشارع كله وهو قاعد فى مقعده الدفء الوثير بضغط زر البوق فيخرج صوته المنكر للإزعاج والإيلام .

فأى أخلاق هذه ؟ رجل مأجور لكى ينبه مسافرا ويوقظه ويحمله إلى المحطة فلا يبالى إعنـات شارع بأكمله، كأن سكانه بعض الهوام أو الحشرات التى لا تستحق أية مراعاة أو احترام ! ولو أن مثل هـــذا السائق وجد تعنيفا وتبكيتا ممن استأجره أو ممن أزعجهم من عشرات السكان لكف عن هـذا التصرف وسلك سلوكا اجتماعيا يقوم على احترام المجتمع . ولكنه لا يجد هذا التبكيت أو التعنيف ، لأن الجمهور يهمل حقوقه ويسير على مبدأ " معلهش " ، وكل واحد من هؤلاء الذين أزعجهم البوق فى فراشه يؤمل فى قرب النهـاية لهذا الإزعاج وأنه سيستأنف نومه . ثم هـذا السواق أنانى يريد راحته ولا يبالى راحة غيره بل هو سيزداد أنانية بسكوت السكان على ضوضائه، ولعله يجمد إحساسه حتى لا يظن أنه يزعج أحدا بهذا السلوك ويمضى فيه خطة عامة كلما أراد تنبيه أحد الزبائن حتى لا ينتظر طويلا.

نعرف رجلا أمريكيا غادر القاهرة وعاد إلى أمريكا بحجة أن الضوضاء كثيرة مزعجة فى القاهرة ، وأن نيويورك التى يبلغ سكانها ستة أضعاف السكان فى القاهرة ليس فيها مثل هذه الضوضاء ، وقد يكون الرجل قد بالغ فى الوصف ، ولكن من منا يمكنه أن ينكر عظم الضوضاء فى القاهرة .

لقد احتاجت المحافظة أن تمنع بالأمر استعمال بوق الكلاكس فى ساعات معينة بالليل فى القاهرة . وهى لم تكن فى حاجة الى هذا الأمر لولا أنها وجدت أن البوق يستعمل فى غير وقته و بلاضرورة توجبه . فهنا تأييد لما ادعاه ذلك الامريكى بأن الضوضاء فى القاهرة أكثر مما ينبغى . وقد منعت بعض المحافظات نداء الباعة الجوالين فيما بين الساعة الثانية والرابعة بعد الظهر حتى يمكن الراغبين فى القيلولة أن يجدوها . ولكن حتى هذا الأمر لا ينفذ لأنه لا يجد التأييد من الجمهور . فإن البائع يتسلل الى الأزقة النائية و يصيح ويزعق ملء حنجرته فلا يجد من يعترض عليه . ولا يمكن المحافظات أن تعين شرطيا لكل زقاق كى ينفذ الأوامر والقوانين . بل يجب أن يجد الشرطة التأييد المثابر من الجمهور.

ومثل آخر من أخلاقنا التى تبدو فى تصرفنا وسلوكنا فى الشارع ، فإن مدينة كبيرة مثل القاهرة قد أصبح من الخطر الكبير على السابلة فيها أن يسيروا على غير المكان المعد لسيرهم ، وهذا المكان هو رصيف الشارع ؛ ولكن من ما لم يضطر إلى ترك الرصيف والسير على الأرض المخصصة للاتومبيل والترام وسائر العربات الخطرة لأن الرصيف قد شغله باعة الفواكه والخردوات والجرائد والحلويات .

و يستطيع القارئ أن يبادر إلى القول بأن الشرطة يهملون هؤلاء الباعة و يتركونهم على الرصيف ، وقد يكون هناك بعض الإهمال ، ولكن لا يمكن الشرطة أن يكونوا على أرصفة الشوارع فى كل وقت ويجب على الجمهور أن يعاونهم فى تطهيرها من الباعة والمتسكعين ، والمستضر فى النهاية بهذا الإهمال هو الجمهور ، فيجب لذلك أن يتنبه أفراده إلى واجب المعاونة للحكومة ولو على الأقل بتنبيه السلطة المختصة . وفى مثل هذه الأيام التى تطفأ فيها المصابيح يعود من الخطر العظيم أن يسير أحد على غير الرصيف لازدحام الباعة عليه ، لان العربات تظلل مصابيحها فتسوء الرؤية وتحدث الاصطدامات التى قد تكون مميتة . ونعرف أحد الشوارع قد استغل أرصفته الباعة وهو مع ذلك شارع مزدحم بالأتوميلات والترام لا تنقطع فيه المصادمات بين السابلة و بين الباعة . وهناك ألوان من التحكك التى يحدثها الزحام وتقع السيدات فريستها ...

فيجب على الجمهور أن يستعمل حقوقه و يطالب الباعة بترك الأرصفة . فإن لم يطيعوا تجب الشكوى السريعة إلى السلطة المختصة ، ولن نستطيع أن نحقق الهدوء والنظام ما لم نعاون الشرطة فى تنفيذ القوانين واللوائح . وهذه القوانين واللوائح مهما كثر عددها ومهما روعيت فيها الدقة والإحاطة لن تجدى شيئا عظيما ولن تمحو الفوضى المتمكنة فى شوارعنا ما لم يعرف الجمهور حقوقه و يطالب بتنفيذها . ونحن أفراد الجمهور — قبل الشرطة — مسئولون عن تنفيذها وعن صياح الباعة وعبث السواقين وازدحام الفاكهية والخردواتية على الأرصفة ، وقليل من الشدة أو الصرامة فى أخلاقنا كفيل بإصلاح هذه الحال .

وأقل خطرا من هذه المخالفات ولكن أفظع فى الذوق والكياسة تلك الصغائر التى نرتكبها فى مجتمعاتنا بلا مبالاة ، فقد فتحت الحكومة أبواب الأوبرا للجمهور ، وخفضت أثمان التذاكر إلى أدنى حد ، وليست الأوبرا قهوة عامة ولا هى حديقة مكشوفة ، وإنما هى دار للفن الجميل قد أنشئت بفاخر الأثاث ، فلا أقل من أن يرعى الجمهور هذه الظروف جميعها ويعاملها بما تستحق من رعاية وإكرام ، ولكن كم من مرة نرانا قاعدين متفرجين وإلى جانبنا رجل أو سيدة وهما لا يكفان عن أكل اللب ، وقشر اللب يتراكم تحت الأرجل ! وهل ننتظر من موظفى الأوبرا أن يتقدموا إلينا بالنصائح وأن يشرحوا لنا صعوبة الجمع بين تذوق الفن وتطعم اللب ؟ أليس لنا من التمييز السليم ما يبين لنا هذه الحقيقة البسيطة ؟

وهناك فى دار الأوبرا أيضا من يسقط التكاليف . فإذا أحس حرا فى اللوج عمد إلى التخفف ونزع بعض ملابسه كأنه فى بيته ، ونحن إنما نلبس ملابسنا للجمهور وليس لنا ، ولكل جمهور أسلوبه أو طرازه فى اللباس لا يمكن الفرد أن يشذ عنه إلا فى حدود معينة ، وللدور المسرحية فى جميع أنحاء العالم طراز من السلوك تقتضى المتفرجين اتباعه ، وقد يكون هذا الطراز بعيدا عنا فى طورنا الحاضر ، ولكن لا أقل من أن نكف عن أكل اللب ولا أقل من أن تكون بزتنا كاملة لا تنقصها الجاكتة مثلا .

وهناك بعد كل هذا إجرام يتجاوز ما ذكرنا من إهمال ، وسكوت الجمهور عليه هو بمثابة الاشتراك فيه ، نعنى ذلك التحكك الذى يقع من الشبان بالفتيات وقت الزحام فى الأتوبيس أو فى الترام ، ونعنى أولئك الأوغاد الذين يشرطون المقاعد ويتلفونها للعبث والشر لا أكثر ، فإن أفراد الجمهور هنا يجب أن يأخذوا القانون بأيديهم ، ويكفوا المستهتر عن انتهاك الأعراض والشر عن الأذى والإتلاف فان السيدة أو الآنسة التى يتحكك بها شاب تعجز فى العادة عن صده بالعنف الذى يليق به . لأنها نشأت فى بيئة لم تعلمها الألعاب الرياضية ولم تغرس فيها روح الاستقلال وهى تنتظر فى مثل هذه المصادمات معونة من الركاب . فيجب أن يكون فى كل منا من النجدة والشهامة ما يصون مثل هذه السيدة أو الآنسة .

وبغير هذا التعاون بين الحكومة والشعب لا يمكن أى رقى ولا يجدى أى قانون !

المثليات فى حياة الشباب

بقلم الأستاذ س . م

نحن نعيش فى أيام تاريخية . بل إن التاريخ ليهدر فوق رءوسنا كأنه الرعد. فقد انفجرت قوات التدمير فى البر والبحر والجو تحاول بالعنف والبطش أن تحوّل مصير الأمم وترفع هذه الأمة أو تحط تلك الأخرى . ولكن مع وفرة هذه القوى المادية تعتمد كل أمة على قوتها الروحية وما تستمده لتزكية قضيتها من مبادئها الأخلاقية وتقاليدها السامية وعدالة نظامها . وذلك لاعتقادها أن لا قيمة للقوى المادية فى الحرب إذا أكانت القوة الروحية قد وهنت أو انهارت .

ذلك أن الجندى الذى يقف فى الميدان يحتاج الى التعبئة الروحية بقدر بل بأكثر مما يحتاج الى التعبئة الحربية . فهو اذا لم يكن شجاعا واثقا بحقه فى القتال لم تنفعه الأسلحة التى يحمل مهما تعددت وتنوعت . وهنا يحضرنا مثال أورده الطبرى فى تاريخه حين وهنت قوى الفرس أمام العرب . فقد ذكر أن ما نعنيه الآن " بالقوة الروحية " قد تضعضع عند الفرس على الرغم من وفرة سلاحهم حتى كان العربى يأمر الفارسى بالحضور أمامه ثم يقتله . والفارسى صامت عاجز عن الدفاع أو الفرار .

والإنسان لراق روح أكثر مما هو جسم. وهو يقيس سعادته باقيسة روحية من الدين والأمل والحق والكفاءة والشرف والمكانة الاجتماعية والوطنية والاستقلال والإخاء والحرية . وكل هذه وأمثالها إنما هى أقيسة روحية لا أثر للماديات فيها . واذا اختلت هذه الأقيسة أو إذا أخذت الأقيسة المادية تطغى عليها كالترف والتكاثر بالمال واقتناء الفاخر من اللباس أو الأثاث أو العقار والانكباب على لذات الطعام وسائر الشهوات فان الانحطاط يأخذ مكان الرقى وتشرع الأمة فى تلك الانحدارات التى يحفل بها التاريخ .

وعلى ذلك نرى أن الأقيسة الروحية — سواء فى الحرب أم فى السلم — هى الدعامات التى يقوم عليها رقى الفرد وانتصاره . بل هو لن يعيش الحياة المنتجة الصالحة المصلحة، الحياة الطيبة، الا اذا كانت له أقيسة روحية يقيس بها نشاطه وعمله وأمله . ومن هنا قيمة المثليات فى حياة الشاب .

والمثليات (جمع مثلى مثل حسنى وأخرى) هى أمثل الحالات التى ينشدها الانسان فى العائلة المثلى أو الحكومة المثلى أو غير ذلك . ونحن نعبر بهذه اللفظة في العربية عما يعبر عنه الأوربيون بلفظة Ideal .

ولم تعش أمة قط بلا مثليات حتى حين انحدرت الى أحط الدركات فى تاريخها . لان الانسان فى كل وقت يحتاج إلى أن يفهم من وجوده مغزى روحيا . وكثير من الفاظنا إنما هى رموز يراد بها هذا المغزى الروحى. فإننا نرفع الأعلام يوم الأعياد. وهى رموز حسية تدل على معنى أو مغزى وطنى. ولكن كذلك أيضا الفاظ الشرف والطهارة والاستقامة والبر والحق والعدل انما هى رموز أخرى غير حسية تدل على حالات مثلى نحب أن يحققها الفرد فى أخلاقه وسلوكه وتحققها الأمة فى تصرفها مع أبنائها . والانسان الراقى يتطلع على الدوام الى ما يعلو على مستواه المادى . وهو لا يسعد الا إذا كان يحس انه يرقى وأن نظره مسدد الى النجوم وأنه خلال السنين أو حتى القرون القادمة — فى شخص أبنائه وأحفاده — سوف يكون اسمى وأبر وأعقل مما هو فى الوقت الحاضر .

ولكن الشاب وهو يتشوق الى المثليات فى عالم قد اختلفت بل تناقضت فيه المذاهب يتشوش ذهنه وتضطرب أقيسته. وهو عندئذ عرضة لأن يقع فى أخطاء ويتجه نحو أهداف فاسدة تشتت قواه . ولذلك يحتاج الى الارشاد أى الى البوصلة الصادقة التى توجه نشاطه نحو الأهداف لانسانية السديدة التى تخدم الخير والبر والسعادة .

والمثليات كثيرة. وهى أيضا متفاوتة فى قيمتها بعضها يعم الانسانية وبعضها يخص الوطن. فنحن حين ننشد السلام "عالمى أو الإخاء البشرى أو الديمقراطية انما نتطلع الى تحقيق مثليات عالمية ، يشترك فيها المصرى مع الصينى مع الأمريكى مع التركى . ولكنا حين ننشد الرفاهية للفلاح المصرى أو ترقية السكنى فى مدننا للفقراء أو زيادة التعليم إنما نتطلع الى مثليات وطنية وليس من الضرورى أن تكون مثلياتنا من الطراز الفخم الضخم الذى يقصد منه الى إصلاح العالم كله. اذ حسبنا أن نرتفع فوق أنفسنا ونخدم شأنا انسانيا يغذو روحنا ونحس به أننا أعضاء نافعون مشتركون فى الرقى الانسانى .

ونحن حين نخدم أحد الشئون الانسانية نخدم أنفسنا كما نخدم هذا الشأن الانسانى . بل لعل الانتفاع أكبر فى جانبنا . لأن الشاب الذى يرصد بعض وقته لدراسة الأطفال اليتامى ومساعدتهم يشغل ذهنه ووقته بالخطير من الدرس الذى يكسبه معارف جديدة وشخصية قويمة . والصبى اليتيم بالطبع ينتفع من هذا المجهود . ولكن ظنى أن الشاب قد انتفع أكثر. وكذلك الحال فى ذلك الشاب الذى ينضوى الى جمعية للبر بالفقراء أو لتعليم الصبيان المحرومين أو لإنقاذ الساقطات . فإن كل هؤلاء المساكين ينتفعون بهذه المجهودات . ولكن الشبان القائمين بهذه الخدمات ينتفعون أكثر ، لأن من يمارس البر يصير رجلا بارا . ومن يدعو الى الخير ويعمل به لن يكون رجلا شريرا. ولذلك إذا كانت الدنيا أو المجتمع ينتفعان بالمثليات فإن الدعاة الى هذه المثليات ينتفعون أيضا بما يكتسبون من نشاطهم فى الدعوة اليها من أخلاق عالية وشخصيات غالية .

فنحن نخدم المثليات ونرقى بها الدنيا أو المجتمع ولكن هذه المثليات تغذو أرواحنا وترفعنا وتسمو بنا وتجعل منا رجال جد وخير وصلاح . وهذا كسب روحى عظيم .

وهنا تتضح لنا قيمة الجرائد والمجلات والمؤلفات فى بعث هذه المثليات وتجديدها . لأن الصحيفة التى تدأب فى بحث المشكلات العالمية أو الوطنية تحرك أذهان قرائها الى ضرورة الحل لهذه المشكلات . ولا بد من التشخيص قبل العلاج . فاذا لم تعرض هذه المشكلات فى شرح وايضاح وتكرير حتى يتنبه الضمير الخامد ويستيقظ الذهن النائم فإن الشاب القارئ يبقى بلا مثليات ؛ وهو عندئذ لا يجد الغذاء الروحى كما لا يجد المجتمع النشاط الذى ينتظر من افراده لإصلاح مفاسده .

وقد علمتنا الحرب القائمة أن القوة الروحية أهم وأخطر من القوات المادية . فيجب ألا ننسى أن هذه القوة الروحية لها أيضا قيمتها وخطرها أيام السلم . وأن ما يغذوها هو المثليات يؤمن بها الشاب ويسعى لتحقيقها فيخدم المجتمع ويخدم نفسه معا .

فعلى كل شاب أن يأخذ على عاتقه بعض لواجبات الاجتماعية يؤديها لكى يرقى بالمجتمع الذى يعيش فيه سواء بنشر التعليم أو انشاء المستشفيات أو ايجاد الملاجئ كما عليه أن يبحث المذاهب السياسية والاجتماعية ويدرسها لكى يستنير بها ويعتمد عليها فى خطة البر والخير التى يتخذ . فان الرجل يجب أن يكون بصيرا بموقع بره على دراية بنتائج عمله . فهذا فورد الثرى الأمريكى مثلا يرى أن البر ليس الاحسان على الأعرج والأعمى والأصم بل هو استخدام كل هؤلاء حتى يشعروا بكرامتهم . وقد يكون القرش الذى نعطيه جزافا للصبى المتكفف أسوأ الأعمال التى تؤثر أسوأ الأثر فى حياة هذا الصبى .

والبر صلة التى ترشدنا فى سلوكنا وتجعل برنا مفيدا بعيدا عن الضرر هى المثليات التى نصور بها لأنفسنا المجتمع الأمثل .

الصحافة والثقافة

تجربة أمريكية تستحق النظر

كان الامبراطور فيلهلم يكره الصحف و يحمل على الصحفيين . وكان يبدى عجبه إذ يرى أن جميع الحرف العالية كالطب أو المحاماة أو الهندسة لا يؤذن لأحد بممارستها الا بعد الحصول على شهادة جامعية ، أما الصحافة فتفتح لكل طارق أو واغل . وتبدو على هذا الرأى مسحة الصدق . ولكن عندما نذكر أن الصحافة تعالج جميع الشؤون الثقافيـة تتضح لنا سخافة هذا الرأى . ففى اللغة الانجليزية نحو عشرين صحيفة — بين جريدة ومجلة — تعالج البترول الطبيعى والكيماوى صناعة وتجارة . وهنـاك فى هذه اللغة أيضا مئات المجـلات التى تعالج التصوير الفتوغرافى . ومئات أخرى تعالج البقالة والصيدلة والبناء والبورصة . بل إن للزراعة من المجلات الاختصاصية ما يعد أيضا بالمئات . فمنها ما يتعلق باللبن ومشتقاته صناعة أو تجارة ، ومنها ما يتعلق بالقطن وحده أو بالغابات أو بالحدائق أو بالفواكه . وليس من المعقول أن نطالب كل من يكتب فى هذه الموضوعات بأن يحمل شهادة جامعية تشهد على أنه قد درس آداب الاغريق أو الكيمياء أو الميكانيات . لأن هـذه العلوم لاتتصل بما تعالجه الصحف . ولأن كثيرا من هـذه الموضوعات لا تعرفه المدارس أو الجامعات إذ هو من ثقافة الشعب وإن انحصرت فى بيئات معينة .

والجريدة اليومية وان كانت تلتفت للسياسة المحلية أو العالمية أكثر مما تلتفت الى أى موضوع آخر تحتاج الى جميع هذه " الاختصاصات " فى فنون مختلفة . وهى تعنى أو تهمل بعض الموضوعات وفقا للبيئة التى تنبت وتنمو فيها . ففى الأقطار الزراعية بل حتى فى الأقاليم الزراعية نجد الالتفات الكبير لشؤون الزراعة . كما نجد صحف البيئة الصناعية تطالب محررها بمتابعة الرقى العلمى الذى يحتاج اليه رقى الصناعات .

والواقع أن الصحافة ستبقى شعبية . وإيجاد أقسام صحفية فى بعض الجامعات لا يقصد منه إلا الى تنظيم الفرصة للتعليم . فإن الصحيفة تحتاج الى الكتابة الصحيحة . والمحرر الذى يغذو نفسه و ينمى ثقافته يحتـاج الى الوقوف على لغتين أو ثلاث لغات أجنبية . ولكن الصحافة أكبر بكثير من معرفة اللغات والكتابة الصحيحة . والجريدة أو المجلة الراقية هى التى تبعث فى قرائها روح النمو الذهنى . والمحرر العظيم ليس هو المحرر الذى اختبر الصحافة وعرف

الفنون الصحفية من حيث القدرة على الترويج والكسب . بل لعل هذه الميزات قد تكون نقائص إذ هى تحيل الصحيفة إلى أداة للكسب فقط وتفقد بذلك رسالتها للتنوير والإرشاد والتعليم . ولذلك قد يكون المحرر العظيم الذى يرشد وينير هو أجهل الناس بالنواحى التجارية للصحيفة . وجهله لهذه النواحى لا ينقص من فضله وقيمته . والمثل على ذلك ليس بعيدا . فنحن نرى فى مصر مجلات أسبوعية قد برع أصحابها فى ترويجها ووصلوا الى أقصى الغايات فى الانتشار . ولكن المتأمل للون السائد فى تحرير هذه المجلات لا يسعه الا الاعتراف بأنه لون سيئ . وأن متوسط الذكاء عند قراء هـذه المجلات لا يمكن أن يزيد على المتوسط عند صبيان فى الثانية عشرة من أعمارهم . فالفن الصحفى هنا ليس ناقصا ولكن ما تحتاج إليه هذه المجلات هو المحرر الكبير الذى يرفض أن ينقاد الى قرائه وينزل على مستواهم الغريزى . أى هو الذى يصرّ على أن يرفعهم إلى المستوى العقلى ويبعثهم على التفكير ولو أدى هذا إلى أن ينقص عدد قرائه .

والمحرر الكبير هو ذلك الذى لا ينقطع عن الدراسة أى دراسة المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويحثها جميعها بروح العالم الاختصاصى ولكنه يشرحها بأسلوب الصحفى الذى يريد أن يصل إلى جمهوره . والصحافة الراقية هى التى تصل بين الاختصاص الثقافى وبين المعارف الشعبية . وكثيرا ماينقطع الشاب عقب تخرجه من الجامعة أو المدرسة عن التحصيل المنظم . بل هـذا هو الواقع فى جميع الشبان تقريبا ولا يبقى عند هؤلاء من وسيلة للاستمرار فى ترقيـة أذهانهم وتنمية ثقافتهم غير الجريدة أو المجلة . فاذا كان الصحفى غير المستنير قد ركد ذهنه منـذ سنوات فإنه بتفكيره وتحريره يؤخر جمهوره ويعمم القصور والجمود .

وفى هذا الصدد نذكر تجربة قامت بها جامعة هارفارد فى الولايات المتحدة الأمريكية . فقـد مات أحد الصحفيين الأثرياء وأوصت أرملته بمبلغ كبير تنفق منه جامعة هارفاد على ترقية المحررين والمخبرين . وقد تركت هذه السيدة — مسز نيمان — حق الاختيار والتوجيه والأسلوب للجامعة .

وعندئذ عمدت هذه الجامعة فى سنة ١٩٣٧ إلى تسعة من الصحفيين : أربعة منهم مخبرون وخمسة محررون . ولم توضح الجامعة الأسس التى اختارت عليها هؤلاء التسعة . إنما يتضح من البيانات التى نشرت عنهم أن كلا منهم قد قضى على الأقل خمس سنوات فى الصحافة وكثير منهم قضى عشر سنوات . وواحد منهم قضى عشرين سنة فى الصحافة . ومن هؤلاء ستة قد حصلوا على شهادات جامعية . أما الأعمار فتتراوح بين ٢٥ و ٤٠ سنة ، وقد طلب الى كل من يرشح نفسه أن يعين المواد التى يحتـاج إلى درسها لكى يرقى بها عمـله الصحفى وتعهـدت الجامعة زيادة على جعل التعليم بالمجـان بأن تؤدى لكل من هؤلاء التسعة أجره

الصحفى الذى كان يتناوله من الجريدة أو المجلة التى كان يعمل فيها قبل انتقاله الى الجامعة والإقامة هو وعائلته فى حيها .

وقد رحل هؤلاء التسعة مع عائلاتهم إلى جامعة هارفارد وهناك قضوا سنة كاملة فى الدرس .

وقد اختار أحد هؤلاء درس التاريخ الأمريكى من ناحية العلاقات بين الولايات المتحدة و بين الأقطار اللاتينية أى أمريكا الجنوبية . واختار آخر التوسع العلمى بدرس الطبيعيات لأنه يتخصص فى نشر الأخبار العلمية وشرحها فى مقالات شعبية . أما السبعة الآخرون فقد جعلوا دراساتهم عامة محيطة بما يتصل بالشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مثل الاقتصاديات والاقتصاديات الزراعية و إعانات المتعطلين والمسائل الخاصة بالأقاليم الجنوبية فى الولايات المتحدة .

هذه هى المسائل التى أراد هؤلاء الصحفيون أن يتخصصوا فيها . ولكن قاعات المحاضرات فى جميع الكليات فتحت لهم وأجيز حضورهم فيها لكى يزيدوا ثقافتهم ولكى يجدوا النزهة الذهنية التى تحبب إليهم الثقافة . وقد رتبت لهم الجامعة عشاء أسبوعيا يتناوب الحضور فيه عدد من الأساتذة الذين ينتفع الصحفيون بالتعرف إليهم والاسترشاد بآرائهم فى دراساتهم المختلفة . ومن هؤلاء الأساتذة الدكتور هنريش براوننج المستشار السابق فى ألمانيا سنة ١٩٣١ ، فإن جامعة هارفارد عقب الانقلاب الألمانى استقدمته للانتفاع بتدريسه .

وقد حضروا عشرات المحاضرات . ونضرب مثلا على ذلك بما فعله ذلك الصحفى الذى قلنا إنه يختص بتحرير المقالات العلمية وشرح العلوم بلغة يستطيع الجمهور فهمها . فإنه حضر المحاضرات فى الطبيعيات الذرية ، والفلك ، والفسيولوجية . والبكتريولوجية . والطب الوقائى . والانثربولوجية ، وتاريخ العلوم . وكل هذه مسائل يحتاج هذا المحرر إلى تبسيطها لقرائه . ونعم هذا الجمهور الذى يقرأ لهذا المحرر المتعلم .

وهكذا الشأن فى سائر الصحفيين . فإنهم جميعهم اختاروا ألوانا من الثقافة العامة أو مما يتصل بعملهم الصحفى . وقد أكب أحدهم على دراسة التاريخ البيزنطى مثلا . ووجدوا جميعهم فى آلاف المجلدات التى تزخر بها مكتبات الجامعة ما بعث فيهم روح البحث .

وعادوا بعد عام إلى صحفهم أكثر ثقافة وأعمق نظرا فى المشكلات العامة وأكثر نفعا لقرائهم .

فى البيوت

—

يحدث أحيانا أن نلاحظ على ربة البيت أنها ترسل الخادم فى شراء اللحم والخضراوات ثم تعود فترسله لشراء ما قيمته مليم من المقدونس لأنها نسيت أن تنبهه الى شرائه . ويتكرر مثل هذا النسيان منها ومثل هذه المشاوير المتعبة للخادم أو الخادمة، بل يتكرر مثل هذا الوقت المضيع منها ومن الخادم . فان شراء قطعة من الجبن أو مقدار من الزيت أو الحلوى يحتاج الى جملة مشاوير متكررة يذهب فيها وقت الخادم الذى كان يجب أن ينفقه فى تنظيف البيت أو فى الطبخ أو فى أى عمل مفيد آخر . وفى بعض البيوت لا يكاد الخادم يهدأ عن قطع المسافات بين البيت وبين السوق فى شراء الثمين والتافه من المأكولات أو من لوازم البيت الأخرى .

وليس البيت متجرا حتى نطلب من ربته أن "تمسك دفترا" وإن كان كثير من البيوت الأوربية والأمريكية يفعل ذلك الآن . ولكن كثيرا من الوقت والجهد العصبى والعضلى يمكن الاقتصاد فيه وتوفير الراحة والمتعة لجميع سكان البيت إذا عمدت ربة البيت فى الصباح فكتبت فى ورقة صغيرة جدولا بكل ما ستحتاج اليه طول النهار مما تهيأ به الوجبات الثلاث غير بعض اللوازم الأخرى . ثم بعد ذلك تناقش الخادم نحو ثلاث دقائق فيما يمكن شراؤه من هذا الجدول فى شارع معين أو شارعين قريبين، وهى حين تفعل ذلك يتوافر لها عمل الخادم فى البيت ويزول ذلك القلق الذى يبعثها على العجلة وعلى شراء "الموجود" مما قد لا يكون خير ما يجب شراؤه . ولكن إلحاح الساعة يجعلها تتسامح .

إننا نرى أن كثيرا من السيدات الأجنبيات فى القاهرة يخرجن فى الصباح الى دكاكين البقالة فيشترين خليطا متعدد الأصناف من اللحم والخضراوات والفواكه والخبز ويعدن بكل هذا وهو على ما يبدو من تعدد أصنافه يكفى استهلاك النهار كله . ويمكن سيداتنا أن يكتبن جميع حاجات البيت فى ورقة فى الصباح يشتريها الخادم جملة حتى لا يتكرر خروجه طول النهار.

ومما يجدر ذكره بشأن الخدم أننا نرى هندامهم على غير ما نحب . وتزيد هذه الظاهرة وضوحا عند ما يكون الخادم أو الخادمة من الفلاحين فاننا نسترخص أجورهم ونستكثر منهم ونأتى بهم صغارا لا تتجاوز أجرة الصبى أو الصبية ٣٠ أو أربعين قرشا وهم بالطبع يجهلون الخدمة ويحتاجون الى التعلم ويضيق صدر ربة البيت وأولادها فى تعليم هؤلاء الصغار. ولذلك كثيرا ما يلجأ أحدهم الى الشتم والضرب . وهم معذورون ، كما أن الخدم أيضا معذورون. فإن مستوى النظافة الذى نشأ عليه الصبى الفلاح أو الصبية الفلاحة هو دون المستوى الذى

تطبه عائلة تعيش فى القاهرة ، وليست النظافة مع ذلك كل ما يختلف عليه أعضاء العائلة مع خدمهم الفلاحين لأن سائر الأقيسة المدنية مختلفة . ومن هنا المواقف التى يستفز فيها الغضب فإن الأولاد يشتمون الخادم أو يضربونه . وهم زيادة على الأذى الذى يوقعونه به يؤذون أنفسهم بتعودهم العنف فى المعاملة .

وخير لنا جميعا أن نستغنى عن هؤلاء الخدم الصغار من الفلاحين . والخادمة الرشيدة المسنة هى زيادة على عرفانها ودربتها تنتزع من أعضاء البيت احتراما فيسود البيت جو من الهدوء يخلو من السباب والضرب و ينشأ الأولاد على أسلوب من الأخلاق ينتفعون به مدى حياتهم .

ومن أعظم الفروق التى ينفصل بها البيت المصرى من البيت الأجنبى نظافة المطبخ . فإننا حين نلاحظ غرفة المطبخ فى بيت أجنبى نجد ستارة رقيقة على الزجاج ونجد قصرية أو قصريات قد نضر فيها الزرع واشتعلت فيها ألوان الزهر ، ونجد الآنية من الألومينيوم الخفيف الذى لا يثقل على التناول كما تثقل علينا آنية النحاس . والألومينيوم لا يحتاج الى المبيض لكى يكسوه بالقصدير من وقت لآخر ، ونجد التوابل والمنبهات مهيأة كل منها فى علبة قد كتب عليها اسمها . أما مطبخنا فليس كذلك مع الأسف حتى الخزانات التى تحفظ فيها بعض الأطعمة ليست محكمة ولذلك تروح الصراصير وتغدو عليها . وفضلات الطعام تترك لكى تأكل منها هذه الحشرات وتمو وتتكاثر مع أن الحكومة قد وضعت لنا مستودعات للزبالة .

ومن بعض العادات التى لا تزال تتفشى فى جميع البيوت الفقيرة تقريبا وفى بعض البيوت المتوسطة تربية الدجاج والأرانب والأوز والبط حتى يستحيل البيت إلى " دوار " . وكثيرا ما مرت بنا ظروف رأينا أننا نستيقظ فيها فى الصباح بصياح الديكة فى منازل الجيران . وفى مدينة مكتظة بالسكان مثل القاهرة تعد تربية هذه الحيوانات خطرا على الصحة العامة لأن براز ها يجذب الذباب ، ولأن تربيتها تحتاج إلى توفير الطعام لها ، وهو فى العادة مما يتخلف من المطبخ . والبيت فى الريف بما له من سعة وفناء معرض للشمس يتحمل مثل هذه التربية للدجاج وغيره . ولكن بيوت القاهرة تضيق بها . وزيادة على ما تحدثه تربية الدجاج من إزعاج عام فى الليل والنهار تكون سببا لقذارة لا حد لها تعود بأسوأ النتائج على الصحة العامة . وبحسب ربة البيت أن تقنع بشراء ما ترغب من فراخ أو غيرها لاستهلاك اليوم فقط . وتترك التربية لمن يستطيعون ذلك من الريفيين .

وجمال البيت فى نظامه . ولا يمكن أن تؤدى الفوضى إلى راحة أو سعادة . ولذلك ليس من الحسن أن يستهان بالنظام . فإن الطعام مثلا يجب ألا يؤكل إلا على المائدة . لأن كل شىء فى غرفة المائدة مهيأ لأن ينظف . فالكراسى كاسية بالجلد أو المشمع وكلاهما يمسح بل يغسل بالصابون . فلا يؤثر عليه الطعام بدسمه . وكذلك المائدة تغطى بالمشمع أو

بالقماش وكلاهما ينظف. أما حين ينقل الطعام إلى غرفة النوم أو الجلوس فإنه يلوث الأثاث تلويثا لا يسهل تنظيفه منه . فاذا أصرت ربة البيت على ألا يوضع الطعام إلا على المائدة وعلى ألا يأكل أحد إلا فى غرفة المائدة فإن إصرارها هذا يعمم النظام فى المنزل و يوفر النظافة و يق الأثاث من الابتذال .

وما دمنا فى صدد المائدة فإننا يجب أن نذكر ربة البيت بضرورة التطور فى تهيئة الطعام فان طعامنا كثير السوائل التى لا تسهل معها نظافة التناول ورشاقته . وكيف يمكن مثلا أن نأكل الملوخية ونحرص مع ذلك على نظافة قماش المائدة ولا نقول نظافة ملابسنا؟ والطهى الأوربى يمتاز هنا ميزات متعددة . فإنه قليل السوائل قليل الدسم قليل التوابل . نستطيع أن نتناوله فى نظافة دون أن نرتبك . كما أن قلة دسمه تجعلنا ننهض ونحن متخففين فى نشاط لا نحسه حين نأكل أطعمتنا الدسمة التى تثقلنا خمولا بل نعاسا . ومن أسوأ ما نجد فى مائدتنا تلك الألوان التى يكثر فيها البصل والثوم ، مما يجعل الأنفاس كريهة بضع ساعات بعد تناول الطعام . وليس من أخلاق المتمدنين أن تكون أنفاسهم كريهة بمثل هذه التوابل التى يمكن الاستغناء عنها إلا أقلها .

والمائدة المصرية تعتمد على المطبخ المصرى. وهو الذى يحتاج الى الاصلاح من حيث تغيير الطبخ . فان الطبخ التركى لا يزال هو الطريقة العامة لتهيئة الطعام . وهو كثير الدسم كثير اللحوم . وما يقدم للفرد عندنا وقت الغذاء من الطعام يكفى لثلاثة أو أربعة من الانجليز أو الأمريكيين الذين يقنعون بكسرة من الخبز وقطعة من اللحم مع السلاطة ويقومون خفافا إلى العمل فى حين نتكفئ نحن بعد الغذاء إلى السرير لثقل ما تحمل من طعام دسم كثير .

إننا نريد بيتا متمدنا . ولا يمكن التمدن مع هذه الأحوال التى نعيش فيها من مطبخ قذر إلى تربية للدجاج، الى استخدام صبيان الريف، الى حشد المائدة بألوان من الطعام الدسم المتبول .

الأمراض الوبائية

إرشادات تقدمها وزارة الصحة إلى الجمهور

الدفتريا :

وهى المرض الذى يسميه العامة (الخَنَّاق) .

الدفتريا من الأمراض الشديدة الخطر التى تصيب الأطفال . وقد بلغ عدد من أصيب بها فى مدن و بنادر القطر المصرى فى سنة ١٩٢٧ : ٢٤٥٣ توفى منهم ١٠٥٧

وأكثر من ٨٠ فى المائة من هذه الوفيات تحدث فى الأطفال الذين يقل عمرهم عن عشر سنوات .

ويكثر انتشار هذا المرض فى فصل الخريف والشتاء ، من شهر أكتوبر إلى شهر يناير .

أسباب مرض الدفتريا ومكان إصابته من الجسم :

ينشأ مرض الدفتريا من ميكروب دقيق يطلق عليه اسم باشيلس (كلبز — لوفلر)

ميكروب مرض الدفتريا :

وهذا الميكروب يوجد فى الأشخاص المصابين بالدفتريا فى الجزء الذى يبتدئ فيه المرض (ويحصل ذلك غالبا فى اللوزتين أو الغشاء الداخلى للفم أو الأنف أو الزور أو الحلق) و يوجد أيضا فى زور بعض أشخاص غير مصابين بالمرض و يسمون (حاملى عدوى الدفتريا) وهم ينقلونه إلى الأصحاء بدون أن تظهر عليهم أعراض المرض . والقطط قد تصاب بهذا المرض وقد تنقل عدواه .

كيف تنتقل عدوى الدفتريا :

لا تأتى عدوى الدفتريا إلا من شخص مصاب بها أو حامل لميكروبها ، وهو يوجد فى إفرازات المرضى التى تتسرب من الأنف والفم أو أى غشاء مخاطى مصاب بالمرض و ينتقل من الشخص المصاب بها أو الحامل لميكروبها بالمخالطة — عند التقبيل مثلا — وفى الرذاذ الذى يتطاير منه عند العطس أو السعال . وهذا الرذاذ يحتوى عددا كبيرا من الميكروبات ، وهى تصيب الأشخاص المجاورين له ولذلك يزداد خطر انتقالها فى الأماكن المزدحمة أو المدارس أو الملاهى (التياترات) فان وجود شخص مصاب أو حامل للعدوى

فى مثل هذه الأماكن يكون سببا فى إصابة عدة أشخاص بهذا المرض الشديد الفتك . ولما كانت ذرات الرذاذ تتطاير فى الهواء فإن الأشخاص المجاورين له إما أن يستنشقوها أو تقع على أيديهم وتتسرب منها إلى أفواههم .

وأحيانا تنتقل العدوى بواسطة الملابس أو المفروشات أو السجاجيد والستائر أو أقلام الرصاص أو اللعب الصغيرة أو الفواكه أو أوانى الأكل أو أكواب الشرب أو ما أشبه ذلك من الاشياء التى يستعملها أو يتلهى بها الأطفال فيعلق بها الميكروب وإذا ما استعملها طفل سليم بعد ذلك أصيب بالمرض .

وفى بعض الأحيان تنتقل العدوى بواسطة اللبن إذا كان بين الأشخاص الذين يحلبون المواشى أو الذين يوزعون اللبن شخص حامل لعدوى المرض فيتسرب الميكروب الى الأصحاء عند استعماله . وبهذه الطريقة تنتقل العدوى الى عدة أشخاص فى وقت واحد .

الدفتريا وأعراضها :

إذا تعرض شخص لعدوى الدفتريا فلا تظهر عليه أعراض المرض إلا بعد مضى مدة تتراوح بين يومين وسبعة أيام وتسمى هذه المدة مدة التفريخ .

ويبتدئ المرض عادة باحتقان الجزء المصاب ثم بظهور غشاء قاتم اللون فى الجزء الذى به الميكروب وهو عادة (كما سبق القول) يكون فى اللوزتين أو الغشاء الداخلى أو الأنف أو الحلق أو الزور . وفى هذا الغشاء ينمو الميكروب ويتكاثر وأثناء نموه يفرز مواد سامة يمتصها الجسم ، وهى التى تسبب الأعراض التى تلاحظ على المريض وأحيانا تكون كافية لموت المصاب فى مدة قصيرة . وينمو هذه الميكروبات يلتهب الجزء المصاب وترتفع حرارة المريض وتخور قواه وتهبط حركة قلبه وتنتهى حالته غالبا بالموت إذا لم يسعف بالعلاج السريع .

وفى دفتريا الحلق — فضلا عن الأعراض السابقة — تفسد القصبة الهوائية (أى فتحة الهواء) فيتعسر التنفس حتى أن المريض قد يموت مختنقا .

مضاعفات الدفتريا :

من أهم وأخطر المضاعفات التى تحدثها الدفتريا شال عضلات الحلق والقلب وقد تستمر هذه المضاعفات مدة طويلة بعد شفاء المريض .

العلاج :

العلاج الوحيد للدفتريا هو حقن المصاب بالمصل الواقى منها فى أقرب وقت من ابتداء المرض . وكل تأخير فى عمل الحقن يزيد فى ضعف الأمل بشفاء المريض وكثرة حصول المضاعفات عند الناقهين .

ولكى نعلم مقدار تأثير المصل فى علاج الدفتريا نذكر أنه قد كانت وفيات هـذا المرض قبل اكتشاف هذا المصل بنسبة ١٠٠ لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان فى إحدى المدن الكبيرة . وبعد اكتشافه انخفضت أقصى نسبة للوفيات فى نفس هذه المدينة إلى ٢٧,٧ لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان .

فاذا لاحظت على طفلك أى عرض من أعراض الدفتريا فلا تتوان فى عرضه على الطبيب فى الحال فعليك وحدك فى هذه الحالة تتوقف حياة طفلك وفى يدك شفاؤه أو موته لأن شفاءه يتوقف على المبادرة فى الحال بمعالجته بالمصل الخاص .

كيفية الوقاية من الدفتريا :

(١) لاتسمح لأطفالك بالاختلاط بمريض بالدفتريا مطلقا .

(٢) إذا علمت بوجود مريض فى منزلك أو بين جيرانك أو فى المدرسة فكلف طبيبك الخاص بحقن أطفالك بالطعم الواقى (أنا توكسين رامون) أو خذهم الى أقرب مكتب من مكاتب الصحة لعمل هذا الحقن لهم مجانا ، وهذا الطعم يعطى مناعة أكيدة لمدة سنين طويلة ويجب إعطاؤه لجميع الأطفال الذين قد بلغوا من العمر ستة أشهر فما فوق لغاية الثانية عشرة سنة .

وإن التفاعل الذى يحصل من هذا الطعم هو بسيط جدا . وكلما كان سن الطفل المطعم صغيرا كان التفاعل أخف مع حدوث نفس المناعة . وقد ثبت بالتجارب العديدة أن كل طفل حقن بهذا الطعم ثلاث دفعات متتالية تحصل له مناعة عظيمة ضد مرض الدفتريا .

(٣) اذا لاحظت على أى طفل من أطفالك عرضا من أعراض الدفتريا فاسرع بعرضه على طبيب الصحة أو طبيبك الخاص ولا تعارض مطلقا فى حقنه بالمصل الواقى مهما كانت أعراض المرض بسيطة .

(٤) لا تستعمل لبنا فى المنزل الا بعد غليه جيدا قبل تناوله مباشرة .

(٥) جميع الأطفال خصوصا الناقهين منهم من هـذا المرض يجب أن يتعودوا عدم البصق على الارض . وأن يغسلوا أيديهم كلما تلوثت بالبصاق أو اللعاب ، وأن يستعملوا أوانى للأكل والشرب وفوطا وبشاكير مخصصة لكل منهم . وألا يتبادلوا مع غيرهم من الأطفال اللعب أو الحاوى أو المضغات التى يكونون قد وضعوها فى أفواههم ويجب عليهم أيضا ألا يقبلوا غيرهم أو يسمحوا للغير بتقبيلهم صغارا كانوا أو كبارا .

(٦) اعتن بالنظافة دائما لأنها من أكبر الوسائط التى تنقل بها الأمراض فما أحكم الحديث الشريف القائل بأن (النظافة من الايمان) .

كيف تعتنى بمريض بالدفتريا فى المنزل :

(١) يجب عزل المريض فى غرفة خاصة جيدة التهوية ويستحسن أن تكون فى الدور العلوى من المنزل .

(٢) لاتسمح لأحد بالدخول فى غرفة المريض غير الشخص الذى يقوم بالاعتناء به . ويجب منع الأطفال والحيوانات الأليفة من دخولها بتاتا .

(٣) يجب أن تكون غرفة المريض خالية من الأثاث والمفروشات والكتب واللعب والصور ويكتفى بالأشياء الضرورية فقط .

(٤) يجب أن تكون الأدوات والأوانى التى يستعملها المريض خاصة به وألا يستعملها أحد غيره ويجب غليها دائما قبل الاستعمال .

(٥) يجب أن تنظف إفرازات الأنف والفم والحلق بقطع من القطن أو خرقة قديمة وتغمر فى محلول مطهر كمحلول حمض الفنيك بنسبة ١ — ٢٠ ثم تحرق بعد ذلك .

(٦) على من يقوم بخدمة المريض أن يغسل يديه بمحلول مطهر بعد ملامسة المريض وملامسة أى إفراز من إفرازاته وألا يأكل داخل غرفة المريض .

(٧) على من يقوم بالتمريض أن يستعمل فوطة بيضاء نظيفة داخل غرفة المريض وألا يختلط بأحد من أهل المنزل. ويجب عليه خلع هذه الفوطة وتركها بغرفة المريض قبل خروجه منها.

(٨) اللبن أو أى نوع من المأكولات الأخرى الذى يؤتى به الى غرفة المريض ولا يستعمل يجب عدم استعماله لأى شخص آخر وإلقاؤه مع المتخلفات بعد وضع مطهر عليه .

(٩) لاتسمح لأحد بالدخول فى غرفة المريض بعد شفائه الا اذا طهرت الغرفة بواسطة وزارة الصحة التى تقوم باجراء ذلك مجانا . وعند حضور عمال الصحة يجب إعطاؤهم جميع الملابس والمفروشات واللعب وخلافها التى كان يستعملها المريض أوالتى كانت فى غرفته أثناء مرضه . وحاذر من غسل هذه الأشياء فى المنزل أوالمغسل العمومى لأن عدوى المرض تبقى عالقة فى هذه الاشياء مدة طويلة وتنتقل أثناء الغسيل من أدوات المريض الى أدوات السليم.

(١٠) لاتسمح للريض بالاختلاط بأحد قبل مضى ستة أسابيع من ابتداء المرض وقبل أن يتأكد الطبيب من خلوه من العدوى بواسطة فحص افرازات الحلق مرتين على الأقل ولا تسمح للأطفال الموجودين بالمنزل أن يتوجهوا إلى المدرسة أو يختلطوا بأطفال آخرين حتى يشفى المريض ويخلو زوره من ميكروب العدوى .

(١١) ونظرا لأن هذا المرض قد يترك تأثيرا فى القلب أوشللا وقتيا أثناء دور النقاهة فنوجه نظركم لضرورة ملاحظة الأطفال الناقهين منه ، وعدم السماح لهم بالجرى أوالقفز أوعمل حركات عنيفة بل يجب أن يوالوا الراحة التامة لمدة ثلاثة أو أربعة أسابيع عقب الشفاء خوفا من حصول هبوط فى القلب أو شلل تتبعه غالبا عواقب سيئة .

متفرقات اجتماعية

أمراض النفس

أكثر أقطار العالم أمراضا نفسية هو الولايات المتحدة الأمريكية . فان نصف الأسرة فى المستشفيات يحتلها مرضى لا يشكون علة جسمية ولكنهم يشكون علا عقلية أو عصبية مختلفة .

والسبب لهذه الحال ان المباراة للإثراء أو للكسب كبيرة جدا فى الولايات المتحدة . والرأى العام يؤيد هذه المباراة ويدعو اليها بشتى الوسائل فى التربية المنزلية أو التعليم المدرسى أو الحياة الاجتماعية .

وهو ينظر الى التخلف والإهمال نظرة الاستصغار والاحتقار . ولذلك يحرص الشاب والكهل والشيخ على أن يتفوقوا فى مضامير العمل وعلى أن ينشدوا النجاح ، وهو فى جميع الأحيان نجاح مالى . فاذا لم يوفقوا اليه فإنهم يحسون هوانا عظيما يؤدى الى إصابات نفسية . والمباراة بطبيعتها توتر الأعصاب وتبقى الذهن يقظا بالهموم المختلفة المتوالية .

والاعتدال فى الطموح حسن بل هو واجب . أما المبالغة فيه وقضاء الوقت والجهد فى محاولة الوصول الى الثراء أو زيادة الكسب فيفتتان الأعصاب و يقلقان بل يقلقلان الذهن . ومن هنا وفرة الأمراض النفسية بين الأمريكيين . والشرقيون يجدون فى القناعة فضيلة سامية ، وهم يطمئنون الى الحياة الوادعة مع القليل من الكسب الذى يكفى الضروريات . والغربيون ينعون على الشرقيين هذه القناعة . ولكن عندما نعرف أن المبالغة فى الطموح والامعان فى المباراة قد أدى كلاهما الى وفرة الأمراض النفسية بين الأمريكيين يجب علينا ألا نستهين بفضيلة القناعة فى الشرق .

سويسرا

لا تملك سويسرا مستعمرات وليس لها امبراطورية . ومع ذلك يبلغ متوسط الثروة للفرد فيها ٦٢٥ جنيها . فى حين أن متوسط الثروة للفرد فى الولايات المتحدة الأمريكية لا يزيد على ٤١٩ جنيها . والمشهور أن الولايات المتحدة أغنى أقطار العالم بالمواد الخامة والزراعة والصناعة .

والسبب لهذا الثراء العظيم فى سويسرا أن الشعب لا ينفق شيئا الا القليل على القوات الحربية . فإن لهجيشا صغيرا لا تزيد فيه رتبة الضباط على " كولونيل" فليس فيه "جنرال" أو " مارشال " ومعظم الأمم الكبيرة تستهلك القوات الحربية ميزانياتها . ولكن سويسرا تجاورها أقطار كبيرة مثل المانيا وايطاليا وفرنسا . وقد رأت أنها مهما تفعل فلن تستطيع مباراة هذه الدول فى القوات الحربية ولذلك قنعت منها بالقليل الشكلى .

ومعظم الثروة فى سويسرا يعود الى استغلال جبالها فى السياحة ، والى اتخاذ أبنائها للصناعات الدقيقة مثل الساعات والطوربين والموطور والمنسوجات الدقيقة والزيون والأصباغ والجبن والشكولاته ، والذهن السويسرى خصب فى الاختراع . ففى الولايات المتحدة الأمريكية مثلا تمنح ١٦٠ رخصة اختراع لكل مليون من السكان . ولكن فى سويسرا يبلغ المتوسط ٩٢٠ رخصة لكل مليون من السكان .

والسويسريون يعنون بالادخار . فإن فى مصلحة البريد ٢,٨٠٠,٠٠٠ دفتر للادخار مع أن السكان لا يزيدون على أربعة ملايين . والحكومة تعنى كثيرا بدراسة الاقتصاد الأهلى . مثال ذلك أنه لما حدثت الأزمة العالمية سنة ١٩٣٠ ادت الحكومة اعانة لتصدير الساعات كما منعت إنشاء مصانع جديدة لها ، وكذلك منعت بناء فنادق جديدة لقلة السائحين .

مبادئ ديوى فى التربية

جون ديوى هو أعظم الفلاسفة الأمريكيين . وهو الآن فى الحادية والثمانين من عمره . وقد بلغت مؤلفاته نحو الخمسين أو تزيد . ومعظمها فى التربية ، لأن الرجل معلم قبل أن يكون فيلسوفا . وقد دعته حكومتا تركيا والصين لتنظيم طرق التعليم عندهما . ومعظم التجديد الذى يعزى إلى المدارس الناهضة فى الولايات المتحدة وغيرها انما يرجع إلى تفكيره الذى بسطه فى مؤلفاته المختلفة .

ويرى ديوى أن التربية يجب أن تسترشد بأربعة مبادئ هى :

أولا — يجب أن تكون نموا مستمرا . وأحسن المدارس هى أقدرهن على تنمية التلميذ وعلى تعليمه كيف يستمر فى النمو حتى بعد خروجه منها .

ثانيا — يجب أن يتعلم التلميذ بالاختبار ، أى يجب أن يختبر ما تعلمه كالسباحة يتعلمها الصبى بأن ينزل فى الماء وليس بالتلقى من المعلم أو بدرس الكتاب . ومن هنا قيمة المشروعات التى يقوم بها التلاميذ ويتعلمون فى غضونها وهم يؤدون تفاصيلها .

ثالثا — كل تعليم يحتاج إلى الاهتمام والجهد . فلا يمكن أن نعلم تلميذا شيئا مالم نبعث فيه الاهتمام ونجعله يجهد راضيا لأنه مهتم . وكل تعلم يقسر عليه التلميذ وهو غير مهتم به إنما ينتهى بأن يصير تسخيرا لذهنه سرعان ما ينساه وينفضه عنه التلميذ .

رابعا — المدرسة هى جنين المجتمع . فيجب أن يعيش فيها التلميذ ويتعلم عن طريق المعيشة . ويجب الا تنفصل المدرسة من المجتمع . ولذلك يجب أن تنظم المدرسة بحيث يحس التلميذ فيها أنه عضو عامل فى مجتمع ديمقراطى .

فى مصانع فورد

من أحسن الكتب التى يجب أن يقرأها الشباب كتاب الفه فورد بعنوان "حياتى وعملى" فإن فورد يمثل أحسن مافى النظام الاقتصادى الحاضر فى العالم كله . وهو يتبع قاعدة إعطاء العمال أكبر مقدار ممكن من الأجور مع خفض الاثمان للبضائع إلى أقل مقدار ممكن . وهو فى كل عام يخفض ثمن اتومبيله . ويقول فى هذا الكتاب إن ٦٠ فى المائة من عماله ينالون اجرا يوميا قدره ٦ دولارات (الآن نحو ١٥٠ قرشا) وأن ٤٠ فى المائة من عماله ينالون أكثر من ذلك . وقد بلغ ما أنفقه من الأجور فى ١٩ سنة ألف مليون جنيه . وهو يستخدم الأعرج والاعمى والاصم بدلا من أن يقيم لهم الملاجئ . فان هناك أعمالا لاتحتاج الى بعض الحواس . وهو يستخدم هؤلاء العجزة فيها ويشعرهم بكرامتهم بما يكسبون .

ومع ان فورد أعظم الرجال الصناعيين فى العالم فان هواه لايزال عالقا بالزراعة . وهو يرى أن المجتمع الامثل يجب أن ينظم العمل الزراعى والصناعى بحيث يمكن كل عامل أن يقوم بهما معا . ففى الصيف يعمل العامل فى الزراعة حيث الهواء المطلق والدفء والصحو فينتفع صحة ورياضة ، وفى الشتاء يعمل فى المصانع لأن الزراعة فى هذا الفصل تبطؤ حركتها ولاتحتاج الا لأقل عدد من العمال . والصناعة تجرى داخل المصانع المدفأة .

وجميع مصانع فورد — وهى تنتشر فى أقطار مختلفة فى العالم — تجرى بالقوة الكهربائية وبأقل مجهود من العمال .

الكتب للجمهور

من العادات المألوفة فى تركيا أن تقتنى القهوات العامة مكتبة صغيرة ليس بها المجلات والجرائد فقط ، بل تحوى أيضا بضع مئات من الكتب الشعبية التى يمكن القاعد الذى قد يطول به الانتظار فى القهوة أن يتسلى بها ويستنير بما فيها اذا سئم الصحف . والمكتبة مع ذلك ليست كبيرة ، اذ هى خزانة صغيرة وليس بها مجلدات ضخمة للدرس وإنما بعض الكتب الصغيرة المسلية المنيرة .

وقد شاعت فى انجلترا مكتبات عامة يشترك فيها الجمهور . ولكن قيمة الاشتراك لا تزيد على ثمانية مليمات (بنسين) فى الأسبوع ، ويمكن المشترك أن يستعير بهذا الاشتراك كتابا قد يبلغ ثمنه نصف جنيه . وتحدث من وقت لآخر سرقات فى هذه المكتبات ولكنها لا تبلغ واحدة فى المائة . لأن المشتركين ينتفعون بالقراءة ويعاملون مكتباتهم بالأمانة والثقة . ولو لم ترج هذه المكتبات لما عاشت . وبقاؤها وانتشارها برهان على الأمانة المتبادلة بينها وبين قرائها وبرهان على استنارة الشعب الانجليزى أيضا .

وهذه المكتبات هى بالطبع غير المكتبات البلدية المجانية وهى تعد بالمئات فى انجلترا وتنفق عليها المجالس البلدية وتحتوى على آلاف المجلدات الضخمة سواء منها ما يقصد منه الى الإرشاد والتعليم أو الى التسلية والاستنارة العامة .

مدارس جيرى

مدارس جيرى Gary من المدارس "الناهضة" فى الولايات المتحدة الأمريكية . وقد كثرت فى ولاية أنديانا على الخصوص . وهى تتبع نظاما جديدا فى التعليم يراد منه على الأخص زيادة الرابطة بين البيت والمدرسة لمصلحة التلاميذ والآباء معا . وكذلك إحالة المدرسة من مكان معين للتعليم فقط الى مكان للحياة الاجتماعية فى الحى الذى تقوم فيه .

ففى المدرسة مكتبة يستعملها التلاميذ وآباؤهم . وفى الليل تقام الحفلات الساهرة فى القاعات الكبرى ، فتكسب المدرسة بذلك بعض نفقاتها . وهذه القاعات تؤجر مدة الدراسة ومدة الإجازة . وترتب اجتماعات بين المعلمين والآباء . كما ترتب بين التلاميذ وآبائهم حيث تلقى الخطب من التلاميذ أو تدرس بعض المسائل الخاصة أو العامة .

وللتلاميذ أن يبقوا بالمدرسة طول النهار . فالدراسة النظامية تنتهى مثلا عند الساعة الرابعة . ولكن يمكن التلاميذ أن يبقوا الى الساعة السابعة كأنهم فى ناد يلعبون أو يأتنسون بالاجتماع . ويراد من هذا الترخيص للتلاميذ بالبقاء بالمدرسة بعد الانصراف وقايتهم من اللعب فى الشوارع أو التعرف الى خلان السوء . ويشرف عليهم مدرسون يدربونهم ويسلونهم فى هذه المدة .

وفى مدارس جيرى لا يلتزم التلميذ فصلا معينا . فقد يكون فى السنة الرابعة الابتدائية ولكنه اذا أحس تخلفا فى الحساب أمكنه أن يقصد فى حصة الحساب الى فصل السنة الثالثة حتى يحضر الدروس التى يحس الضعف فيها .

التأمين فى مصر

استنت شركة مصر لعموم التأمينات سنة جديدة هى كتابة نبذة كل يوم فى جريدتين من جرائد القاهرة تشرح فيهما قيمة التأمين وتبين فوائده للجمهور . وهى حين تفعل ذلك تنير الجمهور فى المسائل الاقتصادية العامة وتبث فيه التبصر والحذر وتحضه على الاقتصاد المنير وليس على الادخار الخام وتبين له قيمة الحرص على سعادة الأطفال فى المستقبل . وقد أخذت الحكومات المتمدنة على عاتقها مهمة التأمين للفقراء بل أحيانا للتوسطين ، ولكن شركات التأمين لا تزال قوية متعددة . وليس فى الشركات التجارية ما هو أقرب الى الصلاح فى الحياة الاجتماعية من شركة التأمين ، لأن من مصلحة شركات التأمين أن تعلم الجمهور الأخلاق الحسنة فى التبصر والتدبر . كما تعلمه الصيانة الصحية وضرورة الاعتدال فى الطعام والشراب والجهد والسلوك العام . ومن وقت لآخر نجد لهذا السبب نبذا تنشرها شركات التأمين فى الولايات المتحدة الأمريكية كالإعلانات تبين فيها للجمهور الضرر الذى يعود من الانغماس فى التدخين أو الإسراف فى الطعام أو الإهمال للأمراض المبتدئة . لأن شركة التأمين تربح بصحة الناس و بطول أعمارهم وتخسر بمرضهم وقصر أعمارهم .

والتأمينات كثيرة ومختلفة ، منها التأمين من الشيخوخة ، ومن المرض ، ومن الوفاة بل هناك تأمينات يقصد منها الى تربية الأطفال أو غير ذلك مما سوف يحتاج اليه المؤمن فى المستقبل .

أشخاص الدرامة

المسرح للتسلية ولكنه للتعليم أيضا ومن هنا قوته فى التوجيه ، لأن الناس يقصدون اليه مختارين و يرون الآراء تلقى عليهم بل تنبث فيهم عن طريق القدوة أى قدوة الممثل الفنى الذى يبذل جهده لكى يتقن دوره و يحاول إقناع المتفرجين بعدالة موقفه . فإذا كان بطل الدرامة شخصا سيئ السيرة فإن من الضرر بالمتفرجين أن يروه ممثلا فى صورة حسنة جذابة .

وفى طورنا الاجتماعى الراهن نحتاج الى الحذر . فقد رأينا درامات من أشخاصها خليلة أو بغى أو رجل فاسق وهى تمثل على مسارحنا . وتبدو هذه الأشخاص فيها كأنها مظلومة أو عابثة أو لبقة فى الحديث أو الحركة . و يمكن المتفرجين الأوربيين الذين ألفوا الثقافة المسرحية أن يسبروا الغور فى هذه الأخلاق ولا يقتنعوا بالظواهر السطحية . أما نحن فاننا لم نألف الثقافة المسرحية الى الآن ولذلك ليس من الحسن أن تعرض علينا هذه الأخلاق فى صورة التسامح إن لم نقل فى صورة الإغراء .

والمجتمع العصرى يحفل بمئات بل آلاف الشخصيات التى يمكن إبرازها على المسرح . فالمؤلف أوالمترجم لن يضيق بهذه الشخصيات. ولذلك لايمكن الاعتذار بإيجاد بغى أو خليلة أو بعرض ألوان الفسق يتفرج برؤيتها نساؤنا ورجالنا .

صناعاتنا الفنية

كانت لنا الى وقت قريب صناعات فنية محترمة يعجب بها الجمهور و يقتنى مصنوعاتها كما يرتزق بها الصناع الفنيون . وكانت تبدأ من الخط المزخرف وتنتهى الى البناء المزوق . وفيما بين ذلك الخشب الملبس بالصدف أو المصفح بالنحاس الأصفر . والوسائد الكاسية بالأدم المصبوغ . وحواجز المشربية . ونحو ذلك مما كان يقوم به النجار " الدق " الذى نوشك أن نفقده إن لم نكن قد فقدناه بإقبالنا على المصنوعات الأوربية أو برغبتنا فى الأطرزة الأوربية فى الأثاث والبناء واللباس .

ومن عجيب ما نرى فى بيوت القاهرة أن النزلاء الأجانب يقتنون مصنوعاتنا المصرية الباقية و يعرضونها مفتخرين بها فى " صالوناتهم " التى يستقبلون فيها ضيوفهم . فهناك نجد طقما من فناجين القهوة بظروف من النحاس. وتجد طستا و إبريقا كما نجد بعض المنسوجات المصرية الصميمة التى تشترى من أسواقنا الوطنية . أما فى البيوت المصرية فلا نكاد نجد شيئا من ذلك لأنها تستغنى عن هذه الطرف بالإقبال على الأثاث الأجنبى أو الطراز الأجنبى حتى ولو كان الصانع مصريا .

ونعتقد أن صناعاتنا المصرية الفنية فى حاجة الى التشجيع ، وذلك بأن نقتنيها ولو على اعتبار أنها طرف العصر الماضى الذى لا ينبغى أن ننساه ونلاشيه . وقد أتيح لنا أن رأينا مصنعا صغيرا لصنع الأدوات الزجاجية بالنفخ . ولم يكن العمال على مقدار عظيم من الفنون العصرية ومع ذلك استطاعوا أن يخرجوا طستا وابريقا من الزجاج الصافى على الطراز القديم . وهما تحفة نادرة من البراعة والفن . ومن الاجحاف العظيم للفنون أن تهمل هذه العبقرية سواء من الأمة أم الحكومة .